



حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

دراسة وتحليل

الجزء الثاني

باقر شريف القرشي

منشورات سعيد بن جبير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ).

صدق الله العلي العظيم

القرآن الكريم

تقديم

(١)

في سيرة الإمام الرضا عليه السلام ملتقى أصيل للمثل العليا، والقيم الكريمة التي يعتز بها هذا الكائن الحي من بني الإنسان. ولعلّ الجانب الروحي من أظهر مميزاته وسماته، فقد انقطع إلى الله تعالى انقطاعاً كاملاً حتى تفاعل حبّه مع جميع ذاتياته وعناصره، وقد أثرت روحانيته على الزاهد المعروف بـ (معروف الكرخي) الذي كان من أعبد أهل زمانه فقد كانت هدايته، ونكرانه لذاته، وانصرافه عن ملاذ حياته على يد الإمام عليه السلام، فقد رأى صرحاً من القداسة والطهر فتكهرب به، وانجذب إليه، وسار على هديه في التجرد عن الدنيا، والإقبال على الخالق العظيم.

(٢)

لقد كانت قيم الإمام العظيم مضرب المثل، في عصره، واستوعبت جميع لغات العصر، فقد شاعت مواهبه وعبقرياته، واحتفاف العلماء والرواة به، وهم ينتهلون من نير علومه، ويسجلون ما يفتي به، وما يدلي به من روائع الحكم والآداب... وقد تحدثت الأندية والجالس عن روعة دفاعه عن الفكر الإسلامي؛ وذلك في مناظراته القيّمة، واحتجاجاته الصارمة على العلماء والفلاسفة من مختلف المذاهب والأديان، وقد خاض القسم الأوفر منها في البلاط العباسي في (خراسان)، وقد ذكرنا نماذج منها في الحلقة الأولى من هذا الكتاب.

(٣)

ولم يعرف السلك الدبلوماسي في العصر الأموي والعباسي مثل المأمون في

صياغته للمخططات السياسية، والتغلب على مجريات الأحداث مهما كانت غامضة ومعقدة، فقد أحاطت به أزمات خطيرة وحرحة جداً، كادت أن تقضي على حكومته، وتلف لواءها، وكان من أبرزها شيوع الفتن والثورات الشعبية في معظم أرجاء العالم الإسلامي التي سئمت من الحكم العباسي، بالإضافة إلى صراعه المسلح مع أخيه الأمين، وقتله له، وقد تخلّص من هذه الأحداث بمهارة فائقة فأجبر الإمام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد التي هي أسمى مركز في الدولة العباسية بعد الخلافة، وضرب السكّة الرسمية باسمه، وأخذت وسائل إعلامه تذيع بين المسلمين فضل المأمون وما أسداه من الإحسان إلى أهل البيت عليه السلام، فقد رشّح سيدهم وإمامهم لهذا المنصب الخطير، ونقل بذلك الخلافة من بني العباس إلى السادة العلويين الذين هم دعاة العدل الاجتماعي والعدل السياسي في الإسلام، وقد أخذت بهذه الخديعة نيران الحروب، وقضي على وسائل الفتن والتمرد على حكومته.

(٤)

وكان الإمام الرضا عليه السلام على علم - لا يخامره شك - بنوايا المأمون وزيف ما أظهره من الولاء الكاذب للأسرة العلوية، وأنّه يضمّر له بالذات خلاف ما يظهره، وأنّه يبغى له الغوائل، ويكيده في غلس الليل وفي وضح النهار، فلم يشترك عليه السلام مع جهاز حكومته، ولم يبد أي نشاط أو تجاوب بأي عمل من أعمال الدولة، فقد تجرّد تجرّداً تاماً عن جميع شؤونها، ولم يبق له سوى الاسم أنّه: ولي عهد المأمون. ويلقي هذا الكتاب الأضواء على هذه الجوانب، وما ألمّ بها من أحداث.

(٥)

وقد أحننا في تقديم الجزء إلى بحوث هذا الكتاب ومحتوياته بجزأيه، وإتّما كرّنا ذكر بعضها في هذا التقديم نظراً لأهميتها، وبعد نظر القراء إليها، سائلين من الله تعالى أن يحشرنا يوم نلقاه في زمرة العارفين بفضل أئمة أهل البيت عليه السلام، أنّه تعالى وليّ القصد والتوفيق.

النحف الأشرف / المؤلّف باقر شريف القرشي

علل الأحكام وغيرها

وأجمعت العدلية من الشيعة والمعتزلة على أنّ كل حكم صادر من الشارع المقدّس لم يكن عفويّاً مطلقاً، وإنّما كان منوطاً بمصلحة شاملة للفرد والمجتمع تعود عليهم بالخير العميم، سواء أكان ذلك الحكم واجباً أم مندوباً، وكذلك إذا كان الحكم محرّماً أم مكروهاً، فإنّه يشتمل على مفسدة ملزمة أو غير ملزمة تعود بالضرر الجسيم على الإنسان، وأنّ من المستحيل أن يصدر حكم من الشارع العظيم خالياً من المصالح أو فيه من المفسد، فإنّ ذلك يستلزم الطعن في حكمة الشارع، كما يستلزم لغوية التشريع، وعدم فائدته. ونخالف في ذلك الأشاعرة فزعمت أنّ أحكام الشارع كلّها عفوية ومحرّدة عن الحكم والمصالح وهذا الرأي بادي الوهن يترتّب عليه كثير من اللوازم الفاسدة ذكرتها مصادر علم الكلام.

وعلى أي حال فقد أعلن الإمام الرضا عليه السلام عن ضرورة اشتمال الأحكام الشرعية على المصالح في جانب الواجبات والمفسد في جهة المحرمات، وقد أدلى بذلك في تقديم أجوبته عن علة بعض الأحكام التي سأله عنها الفضل بن شاذان، قال عليه السلام: (إن سأل سائل هل يجوز أن يكلف الحكيم عبده فعلاً من الأفعال لغير علة ولا معنى؟ قيل له: يجوز ذلك لأنّه حكيم غير عابث ولا جاهل. فإن قال قائل: فأخبرني لم كلف الخلق؟ قيل لعل كثيرة. فإن قال فأخبرني عن تلك العلة

معروفة موجودة هي أم غير معروفة ولا موجودة قيل: بل هي معروفة موجودة عند أهلها^(١). وعلى أي حال فقد شاعت في عصر الإمام تساؤلات كثيرة عن علل بعض البحوث الكلامية كما شاعت تساؤلات أخرى عن الحكمة في تشريع بعض الأحكام الشرعية، وهناك تساؤلات أخرى عن أحوال الأنبياء وشؤون الأمم الماضية، وقد عُرضت على الإمام الرضا عليه السلام فأجاب عنها وقد عرض عليه كوكبة منها محمد بن سنان كما سمع الفضل بن شاذان جملة منها من الإمام عليه السلام وفيما يلي عرض لها:

المسائل الكلامية:

أما المسائل الكلامية التي ذكر عللها الإمام عليه السلام فهي:

أ - الحكمة في أمر الخلق بالإقرار بالله:

وأدلى الإمام عليه السلام بالحكم الوثيقة التي من أجلها وجب على العباد الإقرار بالله تعالى، ويرسله وبما جاء من عنده، قال عليه السلام: (فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار بالله، وبرسوله، وحبّته وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ؟!...) .

وأجاب الإمام بما يلي:

قيل: لعل كثيرة منها: إنّ من لم يقر بالله عزّ وجلّ ولم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب أحداً فيما يشتهي، ويستلذ من الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ووثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل.

ومنها: أنّ الله عزّ وجلّ حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلاّ الذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح ويزجر عن الظلم وينهى عن الفواحش، ولا يكون حظر الفساد والأمر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلاّ بعد الإقرار بالله عزّ وجلّ ومعرفة الأمر والناهي.

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٩٩ .

ولو ترك الناس بغير إقرار بالله عزّ وجل ولا معرفته لم يثبت أمر بصلاح ولا نُهي عن فساد؛ إذ لا أمر ولا ناهي، ومنها إنّنا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمر باطنة مستورة فلولا الإقرار بالله وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك المعصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد فكان يكون في ذلك خلاف الخلق أجمعين فلم يكن قوام الخلق وصلاحيهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السر وأخفى أمر بالصالح ناه عن الفساد لا تخفى عليه خافية ليكون في ذلك انزجار لهم عمّا يخلون به من أنواع الفساد^(١).

إنّ أوثق عملية لاستئصال الجريمة وإقصائها عن الفرد والمجتمع، وتطهير الأرض من الذنوب والآثام، هو غرس الإيمان بالله تعالى في أعماق النفوس ودخائل القلوب والاعتقاد بأنّه تعالى بالمرصاد لكل من يقترب جريمة وإثماً في حق نفسه ومجتمعه، وأنّه سيعاقبه بأقسى ألوان العقاب عليها. ومن الطبيعي أنّ الإنسان بمقتضى حبه لذاته، وسعيه لطلب الخير له، سوف يمتنع من اقتراف أي ذنب يؤدّي إلى هلاكه وشقائه.

لقد ازدادت الجرائم في هذه العصور وازدادت العمليات الإرهابية كقتل الأبرياء واختطاف الطائرات وما شابه ذلك من الجرائم والموبقات؛ وذلك مسبب عن ضعف الإيمان بالله وقلة الواع الديني في النفوس.

إنّ الإيمان بالله تعالى تبني عليه قوى الخير والسلام في الأرض، وأنّه أوثق طريق لإشاعة العدل والأمن والرخاء بين الناس، وبقلّة الإيمان وانعدامه ستزداد محنة الإنسان وشقاؤه وبلاؤه.

ب - بالإقرار لله بالوحدانية:

قال **عائلاً**: فإن قال قائل: فلمّ أوجب عليهم الإقرار والمعرفة بأنّ الله واحد أحد؟. قيل لعلل منها: أنّه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهموا مدبرين أو أكثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره؛ لأنّ كل

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٠.

إنسان منهم كان لا يدري لأنه إنما يعبد غير الذي خلقه ويطيع غير الذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم، ولا يثبت عندهم أمر أمر ولا نهي ناه إذا لا يعرف الأمر بعينه ولا الناهي من غيره.

ومنها أنه لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يُعبد ويُطاع من الآخر وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله، وفي إجازة أن لا يطاع الله كفر بالله وبجميع كتبه ورسله، وإثبات كل باطل وترك كل حق وتحليل كل حرام وتحريم كل حلال والدخول في كل معصية والخروج من كل طاعة.

وإباحة كل فساد وإبطال كل حق. ومنها أنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدعي أنه ذلك الآخر حتى يضاد الله تعالى في جميع حكمه ويصرف العباد إلى نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق... (١).

وحكى هذا المقطع ضرورة الإيمان بوحداية الله تعالى واستحالة وجود شريك له، وقد أدلى الإمام عليه السلام بأدلة الرائعة على ذلك، وأنه يلزم من وجود شريك لله تعالى اختلال النظام وفساد الكون وانعدام التوازن في هذه العوالم.

ج - الله ليس كمثله شيء:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أوجب عليهم الإقرار بالله بأنه ليس كمثله شيء؟)

قيل: لعل منها: أن لا يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره غير مشتبه عليهم أمر ربهم وصانعهم ورازقهم، ومنها أنهم لو لا يعلموا أنه ليس كمثله شيء لم يدروا لعل ربهم وصانعهم هذه الأصنام التي نصبها لهم آباؤهم والشمس والقمر والنيران، إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبه وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعته كلها وارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها، ومنها: أنه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٢.

والتغيير والزوال والفناء والكذب والاعتداء ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناءه، ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله وأمره ونهيه ووعدته ووعيدته وثوابه وعقابه وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبية...^(١)

ذكر الإمام عليه السلام في هذه المقطع العلل الوثيقة التي توجب على العباد الإيمان بأن الله تعالى ليس كمثل شئ ولا شبيه له؛ إذ لو كان له مثل لجرى عليه تعالى ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والفناء وغير ذلك وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبية.

د - العلة في تكليف العباد:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: لم أمر الله تعالى العباد ونهاهم؟

قيل: لأنه لا يكون بقاؤهم وصلاحهم إلا بالأمر، والنهي والمنع من الفساد والتغاصب...)^(٢).

أفاد الإمام عليه السلام أن العلة في التكليف الشرعية من الواجبات والمحرمات هي بقاء الإنسان واستمرار وجوده ففياً صلاحه والمحافظة على أمنه ومصالحه وسعادته وفي تركها شقاؤه وهلاكه.

هـ - العلة في معرفة الرسل:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أوجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟

قيل: لأنه لما أن لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملون به مصالحهم وكان الصانع متعالياً عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بد لهم من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به اجترار منافعهم ومضارهم فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته، لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة ولكان إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء...).

وحكى هذا المقطع الأسباب الموجبة لمعرفة الرسل والإقرار بنبوتهم وضرورة تصديقهم وإلا كانت معرفتهم عبثاً ولغواً.

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٣

و - الحكمة في إطاعة أولي الأمر:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: لهم جعل أولي الامر وأمر بطاعتهم؟

قيل: لعل كثيرة منها ان الخلق لما وقفوا على حد محدود وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره فجعل عليهم فيما يمنعهم من الفساد ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها إننا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورييس ولما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بد له منه ولا قوام إلا به فيقاتلون به عدوهم ويقسمون فيئهم ويقيم لهم جمعهم وجماعتهم ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها: أنه لو لم يجعل لهم إماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدين، وغيّرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك على المسلمين؛ لأننا وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت أنحائهم فلو لم يجعل لهم قيماً حافظاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله لفسدوا على نحو ما بينا وغيّرت الشرايع والسنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين^(١).

وتحدث الإمام عليه السلام في هذا المقطع عن ضرورة الإمامة، وأنها عنصر أساس لإقامة الحياة الإسلامية وإقامة حدود الله تعالى وأحكامه وقد أقام الإمام على ذلك المزيد من العلل والأسباب.

ز - الإمامة من نسل النبي:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول صلى الله عليه وآله؟

قيل: لعل منها أنه لما كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة تدل عليه ويتميز بها من غيره وهي القرابة المشهورة والوصية الظاهرة ليعرف من

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٠ - ١٠١.

غيره ويهتدي إليه بعينه، ومنها أنه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل إذ جعل أولاد الرسول أتباعاً لأولاد أعدائه كأبي جهل وابن أبي معيط؛ لأنه قد يجوز بزعمهم أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين فيصير أولاد الرسول تابعين وأولاد أعداء الله وأعداء رسوله متبوعين؛ فكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق.

ومنها: أن الخلق إذا أقرّوا للرسول بالرسالة وأذعنوا بالطاعة لم يتكبر أحد منهم أن يتبع ولده ويطيع ذريته، ولم يتعاضم ذلك في أنفس الناس وإذا كان ذلك في غير جنس الرسول كان كل واحد منهم في نفسه أهم أولى به من غيره ودخلهم من ذلك الكبر ولم تسخ أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم دونهم فكان ذلك داعية إلى الفساد والنفاق والاختلاف^(١).

لقد أقام الإمام عليه السلام هذه التعاليل الوثيقة على ضرورة كون الإمام من نسل النبي ومن ذريته فإنه أدعى لشمل الأمة وجمع الكلمة واجتنبها من ويلات التفرقة والاختلاف، كما حدث ذلك حينما أقصيت العترة الطاهرة عن مراكز الحكم والمسؤولية فاختلقت الأمة وشاعت فيها الأهواء وسادت فيها الفتن والعداوات وكان ذلك من أعظم ما مُنيت به الأمة من الكوارث والخطوب.

علل الأحكام الشرعية:

وأدلى الإمام الرضا عليه السلام بكثير من علل الأحكام الشرعية وأسباب تشريعها؛ وذلك فيما كتبه من أجوبة لأسئلة محمد بن سنان، وما نقله عنه الفضل بن شاذان، وتعتبر هذه البحوث من أروع البحوث وأكثرها فائدة؛ لأنها تلقي الأضواء على الأسباب الوثيقة التي من أجلها قنن الشارع العظيم أحكامه المقدسة وفيما يلي ذلك:

غسل الجنابة:

وتحدث الإمام عن الأسباب التي دعت الشارع إلى إلزامه بالغسل من الجنابة قال عليه السلام: (علّة غسل الجنابة: النظافة وتطهير الإنسان نفسه ممّا أصاب من أذاه

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٢.

وتطهير سائر جسده؛ لأنّ الجنابة خارجة من كل جسده فلذلك وجب عليه تطهير جسده كلّهُ (١).
وبيّن الإمام عليّ بن أبي طالب الغايات السامية التي من أجلها شرع الإسلام غسل الجنابة وهي:

أ - النظافة:

وعني الإسلام عناية بالغة بالنظافة واعتبرها من الإيمان؛ لأنّها من أحدث الوسائل في الوقاية من الأمراض التي تنشأ معظمها من الأوساخ والقذارة، والغسل من أظهر وسائل الطهارة والنظافة للجسم.

ب - إعادة الحيوية للجسم:

إنّ الجنابة توجب نحول الجسم وذبوله والغسل يعيد للبدن نشاطه وحيويته وقد أكّدت ذلك البحوث الطبيّة الحديثة.

غسل العيدين والجمعة:

قال عليّ بن أبي طالب فيما أجاب به عن أسئلة محمد بن سنان: (وعلّة غسل العيدين والجمعة وغير ذلك من الأغسل لما فيه من تعظيم العبد ربّه، واستقباله الكريم الجليل وطلب المغفرة لذنوبه وليكون لهم يوم عيد معروف يجتمعون فيه على ذكر الله تعالى فجعل فيه الغسل تعظيماً لذلك اليوم وتفضيلاً له على سائر الأيام وزيادة في النوافل والعبادة، وتكون تلك طهارة له من الجمعة إلى الجمعة (٢)...) .

ويستحب الغسل يوم عيد الأضحى وعيد الفطر ويوم الجمعة وغيرها من المناسبات الدينية كيوم (عيد الغدير) وزيارة مرقد الأئمة الطاهرين عليّ بن أبي طالب وغير ذلك ممّا ذكره الفقهاء وقد عرض الإمام عليّ بن أبي طالب إلى الحكمة في تشريع الغسل في هذه الموارد وهي:

١ - تعظيم الإنسان لخالقه العظيم وطلب العفو والمغفرة منه تعالى.

٢ - تعظيم الأعياد وتحفيز المسلمين إلى الاجتماع والتآلف فيما بينهم.

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٨٨ .

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٨٨ - ٨٩ .

- ٣ - تفضيل تلك الأيام على غيرها من أيام السنة لوقوع هذه المناسبة العظيمة فيها.
- ٤ - زيادة العبادة وإحياء تلك الأيام بذكر الله تعالى.
- ٥ - وأما الغسل في يوم الجمعة فحكيمته أن يكون البدن على طهارة ونظافة من الجمعة إلى الجمعة.

غسل الميت:

وعَلَّل الإمام عليه السلام وجوب غسل الميت بتعليقين:

الأول: قال عليه السلام:

وعلة غسل الميت، أنه يغسل لأنه يطهر، وينظف من أدناس أمراضه وما أصابه من صنوف علله؛ لأنه يلقى الملائكة ويباشر أهل الآخرة، فيستحب إذا ورد على الله، ولقي أهل الطهارة، ويماسونه ويماسهم أن يكون طاهراً نظيفاً موجهاً به إلى الله ليطلب به ويشفع له...

الثاني: قال عليه السلام: وعلة أخرى أنه يخرج منه المني الذي منه خلق فيجنب فيكون غسله له...^(١).

وعني الإسلام عناية بالغة بأموال المسلمين، وقد دعا المسلمين إلى تشييعهم ومواساة أهلهم بمصاحمهم، وأوجب على المسلمين وجوباً كفاً تغسيلهم والصلاة عليهم ومواراتهم، وقد علَّل الإمام عليه السلام لزوم تغسيلهم بما يلي:

أ - تطهير الميت من القذارة والجراثيم التي في جسمه من جرّاء مرضه؛ وذلك بغسله بماء السدر والكافور، وهما من معقّمات البدن.

ب - إنّ الميت بعد تغسيله يكون طاهراً نظيفاً فإذا كان مؤمناً صافح الملائكة والمؤمنين من أهل الآخرة.

ج - إنّ آخر ما يخرج من الميت هو الحوهم الذي خلق منه، وبهذا يستحق الغسل، وقد أكّدت بعض النظريات الحديثة هذه الجهة وذهبت إلى أنّ الحوهم الذي تكوّن منه الإنسان يبقى حياً ومنه يبعث وينتشر يوم القيامة.

وعلى أيّ حال فإنّ أروع ما قُنن للأموال من الأحكام هو ما قننه الإسلام

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٨٩.

لهم من التغسيل والمواراة في الأرض.

غسل مسّ الميت:

قال عليه السلام: وعلة اغتسال من غسله أو مسّه فطهارة لما أصابه من نضح الميت؛ لأنّ الميت إذا خرجت الروح منه بقي أكثر آفته؛ فلذلك يتطهّر منه ويطهر ^(١) إذا لامس الإنسان الميت بعد برده وحب عليه الغسل وكذلك إذا غسله، وقد علّل الإمام عليه السلام وجوب الغسل بأنّ الإنسان بعد موته يكون كتلة من الجراثيم فيجب على من لامسه الغسل للتخلّص من الإصابة بها.

عدم وجوب الغسل للبول والغائط:

قال عليه السلام: وعلة التخفيف في البول والغائط لأنّه أكثر وأدوم من الجنابة ففرض فيه بالوضوء لكثرتة ومشقّته ومجيئه بغير إرادة منهم ولا شهوة والجنابة لا تكون إلّا باستلذاذ منهم والإكراه لأنفسهم ^(٢). وعلّل الإمام عليه السلام عدم وجوب الغسل للبول والغائط واكتفى فيه بالطهارة للموضعين؛ لأنّ إيجاب الغسل فيه مشقّة شديدة وحرّج لا يطاق فلذا رفعه الشارع.

الوضوء:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أمرأ بالوضوء وبدئ به؟ قيل له: لأن يكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار وعند مناجاته له مطيعاً له فيما أمره نقياً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرده النعاس وتركية للفؤاد بين يدي الجبار ^(٣)).

علّل الإمام عليه السلام وجوب الوضوء بالمناحي الروحية وهي:

أ - إنّ الوضوء مقدّمة للصلاة وجوهر الصلاة هو الإقبال على الله خالق الكون وواهب الحياة، وعلى المصلّي أن يتخلّص من شواغل الحياة ويتجه بمشاعره

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٨٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / .

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / .

وعواطفه نحو الله تعالى وكان الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ إذا وقف للصلاة ترتعد فرائضه ويصفرّ لونه، وسُئِلَ عن سبب ذلك فقال: إنّه واقف بين يدي ملك جبّار. فالوضوء مقدمة لهذه العبادة العظيمة وهو عبارة عن نظافة الجسم من الأقدار والأدناس وهذا ممّا يناسب عظمة الصلاة.

ب - إنّ الوضوء يطرد الكسل ويذهب النعاس ويهيئ المصلّي للصلاة بنشاط وحيوية.

ج - إنّ في الوضوء تركية للفؤاد وطهارة للنفس؛ لأنّه مقدمة للوقوف بين يدي الله تعالى.

ويضاف لهذه الفوائد الروحية التي تفضّل بها الإمام عائلاً فإنّ فيه فوائد صحيّة بالغة الأهمية، كان منها: أنّه يقي العيون من الإصابة بالرمد؛ لأنّها تغسل بالماء النظيف عدّة مرات في اليوم.

ومنها غسل الأنف بماء بارد وهو ممّا يقي من الإصابة بالزكام الذي هو مفتاح الأمراض.

ومنها أنّ غسل الوجه واليدين يقيهما من الإصابة بالأمراض الجلدية والالتهابات فقد ذكر في الطب الحديث أنّ كثيراً من (الميكروبات) تصيب الإنسان من طريق اختراق الجلد خصوصاً طفيليات الديدان، ولا شك أنّ الغسل المتكرر للمواضع المكشوفة من بدن الإنسان من أهم طرق الوقاية من الإصابة بها. ومنها أنّ الجراثيم التي تدخل إلى الفم فإنّما هي من طريق تلويث الأيدي فإذا كانت الأيدي مغسولة نظيفة على الدوام كانت أحسن وقاية من الإصابة بتلك الجراثيم^(١).

أفعال الوضوء:

قال عائلاً فإنّ قائل: فلم وجب الغسل على الوجه واليدين وجعل المسح على الرأس والرجلين ولم يجعل ذلك غسلاً كلّه أو مسحاً كلّه؟

قيل: لعل شئى منها: أنّ العبادة العظمى إنّما هي الركوع والسجود وإتّما

(١) الإسلام والطب الحديث (ص ٦٢ - ٦٣) للدكتور عبد العزيز.

يكون الركوع والسجود بالوجه واليدين لا بالرأس والرجلين.
ومنها: أنّ الخلق لا يطيقون في كل وقت غسل الرأس والرجلين ويشتد ذلك عليهم في البرد والسفر
والمرض وأوقات من الليل والنهار وغسل الوجه واليدين أخف من غسل الرأس والرجلين، وإذا وضعت
الفرايض على قدر أقل الناس طاعة من أهل الصحة ثم عم فيها القوي والضعيف.
ومنها: أن الرأس والرجلين ليسا في كل وقت باديين ظاهرين كالوجه واليدين لموضع العمامة والخفين
وغير ذلك ^(١).

الوضوء عند أهل البيت عليهم السلام غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين وقد ذكر الإمام عليه السلام علل
هذه الأفعال وهي:

أ - إنّ الصلاة التي من أجلها تُرعى الوضوء قوامها: الركوع والسجود، وهما يقومان بالوجه واليدين
فالغسل يكون لهما لا لغيرهما.

ب - إنّ في غسل الرأس والرجلين مشقة عظيمة وحرماً شديداً، خصوصاً في أيام البرد والسفر
والمرض فاكتفى الشارع بالمسح لهما.

ج - إنّ الأعضاء البارزة في جسم الإنسان هي الوجه واليدين دون غيرهما فالغسل يكون لهما.
وعلّل الإمام عليه السلام فيما كتبه لمحمد بن سنان بتعليل آخر يقرب من هذا التعليل قال عليه السلام: وعلة
الوضوء التي من أجلها صار غسل الوجه والذراعين ومسح الرأس والرجلين فلقيامه بين يدي الله عزّ وجل،
واستقباله إياه بجوارحه الظاهرة وملاقاته بهما الكرام الكاتبين.

فغسل الوجه للسجود والخضوع وغسل اليدين ليقبلهما ويرغب بهما ويرهب ويتبتل ومسح الرأس
والقدمين لأنهما ظاهران مكشوفان يستقبل بهما في كل حالاته وليس فيهما من الخضوع والتبتل ما في
الوجه والذراعين ^(٢).

وهذا التعليل قريب من التعليل الأول وهو ظاهر لا يحتاج لإيضاح.

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٤.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٨٩.

الصلاة:

قال ﷺ: فإن قال قائل: فلم أمروا بالصلاة؟

قيل: لأنّ في الصلاة الإقرار بالربوبية وهو صلاح عام لأنّ فيه خلع الأنداد والقيام بين يدي الجبار بالذل والاستكانة والخضوع والخشوع والاعتراف وطلب الإقالة من سالف الذنوب، ووضع الجبهة على الأرض كل يوم وليلة ليكون العبد ذاكراً لله غير ناسٍ له ويكون خاشعاً وجللاً متذللاً طالباً راغباً في الزيادة للدين والدنيا مع ما فيه من الانزجار عن الفساد، وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة لئلا ينسى العبد مدبره وخالفه والقيام بين يدي ربه زاجراً له عن المعاصي وحاجزاً ومانعاً له عن أنواع الفساد^(١).

الصلاة معراج المؤمن وقربان كل تقي، وقد أدلى الإمام ﷺ ببعض المصالح والحكم في تشريعها وهي: أ - من فوائد الصلاة وثمراتها: الإقرار بالعبودية المطلقة لله تعالى الخالق العظيم الذي ليس كمثله شيء، وعلى المصلّي أن يزداد في خشوعه وخضوعه وتذلّله أمام الله ويطلب منه العفو والغفران من ذنوبه التي اقترفها في حياته.

ب - إنّ الصلاة إذا وقعت صحيحة جامعة للشرائط فإنها تقي الإنسان من المعاصي وتزجره عن المنكر وتوجهه نحو الخير.

ج - إنّ تكرار الصلاة في كل يوم من حكمته أن يكون الإنسان على صلة وثيقة ودائمة بخالقه ومدبّر شؤونه ومضافاً لهذه الثمرات التي أدلى بها الإمام عليه السلام فإنها من أقوى الأسباب التي تمد المجتمع الإنساني بالقوى الروحية الخالقة.

إنّ الإنسان إذا لم تتصل روحه بخالقها فإنه تظهر عليه مظاهر الوحشة والاكئاب والصلاة تتيح له الاتصال بالمبدأ الفيّاض فتزيل عنه ما ألمّ به من الهلع والوحشة والاكئاب وتودع فيه قوّة نفسية يستطيع بها أن يقف أمام الأحداث التي يُمنى بها.

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٣ - ١٠٤.

أذان الصلاة:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: أخبرني عن الأذان لم أمروا به؟ قيل: لعل كثيرة منها: أن يكون تذكيراً للساهي، وتنبهياً للغافل، وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة، وليكون ذلك داعياً إلى عبادة الخالق مرغباً فيها مقرراً له بالتوحيد مجاهراً بالإيمان معلناً بالإسلام مؤذناً لمن نسيها ^(١).
وإنما يقال: مؤذن لأنه يؤذن بالصلاة ^(٢).

وتحدث الإمام عليه السلام عن الحكمة في تشريع أذان الإعلام وهي:

أ - تذكير الساهي للصلاة وتنبه الغافل ليقوم بتأدية هذه الفريضة.

ب - التعريف بدخول وقت الصلاة ليستعد المسلمون لأدائها جماعة وفرادى.

ج - إن الأذان دعوة لعبادة الخالق العظيم وإقرار له بالتوحيد.

فصول الأذان:

وحكى الإمام عليه السلام العلل في فصول الأذان وهي:

أ - البدء بالتكبير:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم بدأ فيه - أي في الأذان بالتكبير - وهو الله أكبر - قبل التهليل - وهو لا اله إلا الله.

قيل: لأنه أراد أن يبدأ بذكره واسمه لأن اسم الله تعالى في التكبير في أول الحرف وفي التهليل في آخر الحرف، فبدأ بالحرف الذي اسم الله في أوله لا في آخره ^(٣).

عرض الإمام عليه السلام إلى الحكمة في افتتاح الأذان ب (الله أكبر) من دون أن يفتتح ب (لا إله إلا الله)؛ وذلك لابتداء الأذان ويفتتح باسمه تعالى بخلاف التهليل فإن اسمه تعالى يكون في الآخر وهذا غير مناسب لافتتاح الأذان.

ب - التكبير أربعاً:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم جعل التكبير في أول الأذان أربعاً؟

(١) في العلل (لمن يتساهى).

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٥.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٥.

قيل: لأنّ أول الأذان إنّما يبدأ غفلة وليس قبله كلام ينبّه المستمع له فجعل ذلك تنبيهاً للمستمعين لما بعده في الأذان^(١).

الغاية من الأذان هي تنبيه المسلمين للاستعداد للصلاة، وجعل فيه التكبير أربعاً لهذه الغاية كما يقول الإمام عليّ^(٢).

ج - فصول الأذان مثني:

قال عليّ^(٣): فلم جعل - أي الأذان - مثني، مثني؟

قيل: لأن يكون مكرراً في آذان المستمعين مؤكّداً عليهم إن سها أحد عن الأول لم يسه عن الثاني، ولأنّ الصلاة ركعتان، ركعتان، ولذلك جعل الأذان مثني مثني^(٤).

إنّ في كل فصل من فصول الأذان دعوة إلى الخير ودعوة إلى الفلاح والنجاح فتكرارها إنّما هو لأجل تثبيت هذه المفاهيم في أذهان السامعين.

د - الشهادتان:

قال عليّ^(٥): فإن قال قائل: فلم جعل بعد التكبير شهادتين؟

قيل: لأنّ أول الإيمان إنّما هو التوحيد والإقرار لله عزّ وجل بالوحدانية، والثاني الإقرار للرسول صلى الله عليه وآله بالرسالة وإنّ طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان، وإنّ أصل الإيمان إنّما هو الشهادة فجعل الشهادتين في الأذان كما جعل في سائر الحقوق شهادتين، فإذا أقر لله بالوحدانية وأقر للرسول بالرسالة فقد أقرّ بجملة الإيمان؛ لأنّ أصل الإيمان إنّما هو الإقرار بالله وبرسوله^(٦).

ويفتح الأذان بعد التكبير بالشهادتين: الشهادة لله تعالى بالوحدانية والشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالرسالة، وهما أصل الإسلام وشعاره، فمن قال بهما فتترتب عليه آثار الإسلام فيحققن دمه وماله، كما أنّ سائر الحقوق تثبت بشهادتين فكذلك الإسلام يثبت بالشهادتين.

د - الدعاء للصلاة:

قال عليّ^(٧): فإن قال قائل: فلم جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٠٥.

(٣) عيون أخبار الرضا.

الصلاة؟

قيل: لأنّ الأذان إنّما وضع لموضع الصلاة، وإنّما هو النداء إلى الصلاة فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان فقدّم المؤدّن قبلها أربعاً التكبيرتين والشهادتين وأخر بعدها أربعاً يدعو إلى الفلاح حتّى على البر والصلاة ثم دعا إلى خير العمل مرغباً فيها وفي عملها ثم نادى بالتكبير والتهليل ليتم بعدها أربعاً كما أمّ قبلها أربعاً وليختتم كلامه بذكر الله كما فتحه بذكر الله تعالى (١).

واهتمّ الإسلام اهتماماً بالغاً بالصلاة فجعلها في طليعة طقوسه الدينية، وشرّع الأذان للإعلام بدخول الوقت حتى يتهيأ المسلمون لأداء هذه الفريضة الكبرى، وقد جعل في الأذان بحد الشهادتين وحي على الصلاة وهي دعوة لإقامتها كما أنّ الدعوة إلى الفلاح والى خير العمل في فصول الأذان شاملتان للصلاة فهي من الفلاح كما أنّها من خير الأعمال.

هـ - التهليل في آخر الأذان:

قال عَائِشَةُ: فإن قال قائل: فلم جعل آخرها التهليل ولم يجعل آخرها التكبير كما جعل في أولها التكبير؟

قيل: لأنّ التهليل اسم الله في آخره فأحبّ الله تعالى أن يختم الكلام باسمه كما فتحه باسمه. إنّ التهليل في آخر الأذان هو نفي كل معبود وكل إله سوى الله تعالى مبدع الأكوان وخالق الحياة، وكما فتح الأذان ب (الله أكبر) فقد ختم ب (لا إله إلا الله) فكانت فاتحة الأذان هو اسم الله تعالى وخاتمته كذلك.

و - التهليل دون التسييح:

قال عَائِشَةُ: فإن قائل: فلم لم يجعل بدل التهليل التسييح والتحميد واسم الله في آخرهما؟ قيل: لأنّ التهليل هو إقرار الله تعالى بالتوحيد وخلع الأنداد من دون الله وهو أول الإيمان وأعظم من التسييح والتحميد.

وعرض الإمام عَائِشَةُ إلى الحكمة في جعل التهليل آخر الأذان دون

(١) عيون أخبار الرضا.

التسبيح وهو (سبحان الله)، والتحميد وهو (الحمد لله)؛ لأنّ التهليل أعظم منهما فإنّه إقرار الله تعالى بالوحدانية ونفي كل معبود سواه، ولا يعطى التسبيح والتحميد هذا المعنى.

فصول الصلاة:

وتحدّث الإمام عليه السلام عن الحكمة الكافية في معظم أجزاء الصلاة وشرايطها وفيما يلي ذلك:

١ - التكبيرات السبع:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم جعل التكبير في الاستفتاح سبع تكبيرات؟

قيل: إنّما جعل ذلك لأنّ التكبير في الركعة الأولى التي هي الأصل سبع تكبيرات تكبيرة الاستفتاح - وهي تكبيرة الإحرام التي يفتتح بها الصلاة - وتكبيرة الركوع - أي حين الهبوط للركوع - وتكبيرتان للسجود فإذا ذكر الإنسان أول الصلاة سبع تكبيرات فقد أحرز التكبير كله فإن سها في شيء منها أو تركها لم يدخل عليه نقص في صلاته...).

لهذه الغاية شرعت التكبيرات السبع حين الدخول في الصلاة وإحدى هذه التكبيرات تكبيرة الإحرام.

٢ - قراءة القرآن:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم أمروا بالقراءة - أي بقراءة القرآن - في الصلاة؟

قيل: لأنّ القرآن مهجوراً مضيقاً وليكون محفوظاً فلا يضمحل ولا يجهل.

ولهذه الحكمة فقد أمر بقراءة الفاتحة وسورة أخرى من القرآن في الصلاة في الركعة الأولى والثانية.

٣ - قراءة الفاتحة:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم بدأ بالحمد في كل قراءة دون سائر السور؟

قيل: لأنّه ليس شيء في القرآن والكلام جمع فيه جوامع الخير والحكمة ما

جمع في سورة الحمد؛ وذلك أنّ قوله تعالى: (الحمد لله): إنّما هو أداء لما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر وشكر ما وفق عبده للخير.

(رَبِّ الْعَالَمِينَ) تمجيد له وتحميد وإقرار وأنه هو الخالق المالك لا غيره.

(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ): استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه.

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ): إقرار له بالبعث والنشور والحساب والمجازات وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا.

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ): رغبة وتقرّب إلى الله عزّ وجل وإخلاص بالعمل له دون غيره.

(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) استزادة من توفيقه وعبادته واستدامته لما أنعم الله عليه وبصره.

(اهدنا الصراط المستقيم): استرشاد لأدبه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة برّبه وبِعظمتِه

وبكبريائه.

(صراط الذين أنعمت عليهم): توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما تقدّم من أياديه ونعمه على

أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم.

(غير المغضوب عليهم): استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستحقّين به وبأمره ونهيه.

(ولا الضالّين): اعتصام من أن يكون من الضالّين الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم

يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

فقد اجتمع فيها من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء...).

ولهذه المطالب العظيمة والمعاني السامية فقد أمر الشارع بافتتاح الصلاة بها لا بغيرها من سور القرآن

الكريم، فقد أثر عنه أنّه: لا صلاة إلاّ بفتحة الكتاب. وهذا النفي نفي للماهية لو جيء بغير الفتحة في

الصلاة.

٤ - التسبيح في الركوع والسجود:

قال عائشة: فإن قال قائل: فلم جعل التسبيح في الركوع والسجود؟

قيل: لعل منها أن يكون العبد مع خضوعه وخشوعه وتعبده وتورّعه واستكائه وتذلّله وتواضعه وتقرّبه إلى ربّه مقدّساً له ممجّداً مسبّحاً معظّماً شاكراً لخالقه ورازقه فلا يذهب به الفكر والأمانى إلى غير الله).

ولهذه الجهات السامية فقد جعل التسبيح في الركوع والسجود دون غيره من سائر الأذكار.

٥ - الركوع والسجدتان:

قال عليّ: فإن قال قائل: فلم جعل ركعة وسجدتان؟

قيل: لأنّ الركوع من فعل القيام والسجود من فعل القعود وصلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فضوعف السجود ليستوي بالركوع فلا يكون بينهما تفاوت؛ لأنّ الصلاة إنّما هي ركوع وسجود. ولهذه العلة فقد جعل السجود ضعف الركوع ليتساويا من هذه الحيثية كما أفاد الإمام عليّ.

٦ - الدعاء في القنوت:

قال عليّ: فإن قال قائل: فلم جعل الدعاء في الركعة الأولى قبل القراءة؟ ولم جعل في الركعة الثانية القنوت بعد القراءة؟

قيل لأنّه أحب أن يفتح قيامه - أي المصلّي - لربّه وعبادته بالتحميد والتقديس والرغبة والرهبّة ويختتمه بمثل ذلك، وليكون في القيام عند القنوت أطول).

عرض الإمام عليّ إلى الحكمة في استحباب الدعاء قبل الدخول في الصلاة؛ وذلك لإظهار العبودية المطلقة لله تعالى وإظهار الخضوع والتذلّل له، وليكون الدعاء في القنوت أطول؛ وذلك لإظهار الانقياد والطاعة لله تعالى.

٧ - الجهر والاختفات:

قال عليّ: (فإن قال قائل: فلم جعل الجهر في بعض الصلوات ولم يجعل في بعض؟

قيل: لأنّ الصلاة التي يجهر فيها إنّما هي صلوات تصلّى في أوقات مظلمة فوجب أن يجهر فيها ليمرّ المار فيعلم أنّ هاهنا جماعة فإذا أراد أن يصلّي صلّى وإن لم

ير جماعة تصليّ سمع وعلم ذلك من جهة السماع، والصلاتان اللتان لا يجهر فيهما إنّما هما بالنهار وفي أوقات مضيئة فهي تدرك من جهة الرؤية فلا يحتاج فيها إلى السماع).
الصلاة التي يجهر فيها بقراءة الفاتحة والسورة هي صلاة الصبح والعشاءين، وقد علّل الإمام ذلك لتنبه المار في الظلام ليتحفّز لأداء الصلاة، وأمّا الصلاة التي يخفف بقراءتها فهي صلاة الظهر والعصر فلا موجب للجهر فيها؛ وذلك لعدم وجود ظلمة في الوقت.

٨ - رفع اليدين في التكبير:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم يرفع - أي المصليّ - اليدين في التكبير؟
قيل: لأنّ رفع اليدين هو ضرب من الابتهاال والتبتّل والتضرّع فأحبّ الله عزّ وجل أن يكون العبد في وقت ذكره له متبتلاً متضرّعاً مبتهلاً، ولأنّ في رفع اليدين إحضار النيّة وإقبال القلب على ما قاله وقصده.

أمّا رفع اليدين في التكبير فهو ضرب من ضروب العبودية المطلقة لله تعالى كما فيه إحضار للنيّة التي هي بداية الدخول في الصلاة.

٩ - أوقات الصلاة:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم جعل الصلوات في هذه الأوقات ولم تقدّم ولم تؤخّر؟
قيل: لأنّ الأوقات المشهورة المعلومة التي تعم أهل الأرض فيعرفها الجاهل والعالم أربعة: غروب الشمس معروف مشهور يجب عنده المغرب، وسقوط الشفق مشهور معلوم يجب عنده العشاء الآخرة، وطلوع الفجر مشهور معلوم يجب عنده الغداة، وزوال الشمس مشهور معلوم يجب عنده الظهر، ولم يكن للعصر وقت معلوم مثل هذه الأوقات فجعل وقتها عند الفراغ من الصلاة التي قبلها.
ذكر الإمام عليه السلام الحكمة في جعل الأوقات الخاصة للصلاة وأتمّ مشهورة معروفة عند جميع أهل الأرض على اختلاف لغاتهم فكما أنّها مضبوطة؛ ولذلك كان من الحكمة جعلها أوقاتاً للصلاة وأضاف الإمام عليه السلام لذلك

علّة أخرى، قال عليه السلام:

وعلة أخرى: (إنّ الله أحب أن يبدأ الناس في كل عمل أولاً بطاعته فأمرهم أوّل النهار أن يبدأ بعبادته ثم ينتشروا فيما أحبوا من مَرَمة دنياهم فأوجب صلاة الغداة عليهم فإذا كان نصف النهار وتركوا ما كانوا فيه من الشغل وهو وقت يضع الناس فيه ثيابهم ويستريحون ويشتغلون بطعامهم وقيلولتهم فأمرهم أن يبدأ أولاً بذكره وعبادته فأوجب عليهم الظهر ثم يتفرغون لما أحبوا من ذلك فإذا قضاوا طهرهم وأرادوا الانتشار في العمل لآخر النهار بدأوا أيضاً بطاعته ثم صاروا إلى ما أحبوا من ذلك فأوجب عليهم العصر، ثم ينتشرون فيما شاءوا من حرمة دنياهم فإذا جاء الليل ووضعوا زينتهم وعادوا إلى أوطانهم ابتدؤوا أولاً بعبادة ربهم ثم يتفرغون لما أحبوا من ذلك فأوجب عليهم المغرب فإذا جاء وقت النوم وفرغوا ممّا كانوا به مشتغلين أحب أن يبدأ أولاً بعبادته وطاعته ثم يصيرون إلى ما شاءوا أن يصيروا إليه من ذلك فيكونون قد بدأوا في كل عمل بطاعته وعبادته فأوجب عليهم العتمة^(١) فإذا فعلوا ذلك لم ينسوه ولم يغفلوا عنه ولم تقس قلوبهم ولم تقل رغبتهم).

وأم كلام الإمام عليه السلام بالحكم والمصالح التي من أجلها شرعت الصلاة في هذه الأوقات الخاصة ولم تشرع في غيرها.

١٠ - صلاة العصر:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم إذا لم يكن للعصر وقت مشهور مثل تلك الأوقات أوجبها بين الظهر والمغرب، ولم يوجبها بين العتمة والغداة وبين الغداة والظهر؟
قيل: لأنّه ليس وقت على الناس أخف ولا أيسر ولا أحرى أن يعم فيه الضعيف والقوي بهذه الصلاة من هذا الوقت؛ وذلك أنّ الناس عامتهم يشتغلون في أول النهار بالتجارة والمعاملات والذهاب في الحوائج وإقامة الأسواق فأراد أن لا يشغلهم عن طلب معاشهم ومصلحة دنياهم وليس يقدر الخلق كلهم على قيام الليل ولا يشعرون به، ولا ينتبهون لوقته لو كان واجباً ولا يمكنهم ذلك فخفف

(١) العتمة: ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق والعشاء الآخرة.

الله عنهم ولم يجعلها في أشد الأوقات عليهم، ولكن جعلها في أخف الأوقات عليهم، كما قال الله عزّ وجل: **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)**. ذكر الإمام **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الحكمة في امتداد وقت صلاة العصر من صلاة الظهر إلى آخر وقت النهار؛ وذلك للتخفيف على الناس وإن كان قد جعل وقتاً لفضيلة أداء صلاة العصر وهو صيرورة الظل مثل سبعي الشاخص ومنتهى وقت الفضيلة ذهاب أربعة أسباع الشاخص ^(١).

١١ - صلاة الجماعة:

قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: فإن قائل: فلم جعل - أي الشارع - الجماعة؟ قيل: لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً؛ لأنّ في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب لله وحده عزّ وجل، وليكون المنافق والمستخف لما أقرّ بظاهر الإسلام والمراقبة وليكون شهادة الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى والذود عن كثير من معاصي الله عزّ وجل. صلاة الجماعة من أهم العبادات في الإسلام؛ وذلك لما يترتب عليها من المصالح والمنافع للمسلمين، ومن بينها تعارف المسلمين بعضهم ببعض وشيوع المحبة والتآلف ببعض منافعها وحكمها في هذا المقطع من كلامه.

١٢ - صلاة السنّة:

قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: فإن قال قائل: فلم جعل صلاة السنة أربعاً وثلاثين ركعة؟ قيل لأنّ الفريضة سبع عشرة ركعة فجعلت السنّة مثلي الفريضة كاملاً للفريضة. أمّا صلاة السنّة فيراد بها الرواتب اليومية وهي ثمان ركعات للظهر قبلها وثمان بعدها قبل العصر للعصر وأربع بعد المغرب لصلاة المغرب وركعتان من جلوس تعدان بركعة بعد صلاة العشاء وثمان ركعات لصلاة الليل وركعتا الشفع

(١) منهاج الصالحين ١ / ١١٣.

بعدها وركعة الوتر بعدها وركعتان لصلاة الصبح قبلها فمجموعها تكون أربعاً وثلاثين، وقد علّل الإمام عليه السلام ذلك بجعل السنّة مثلي الفريضة ليكون كمالاً لها.

١٣ - صلاة السنّة في أوقات مختلفة:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم جعل صلاة السنّة في أوقات مختلفة ولم يجعل في وقت واحد؟ قيل: لأنّ أفضل الأوقات ثلاثة: عند زوال الشمس وبعد المغرب وبالأسحر فأحب أن يصلّي له في كل هذه الأوقات الثلاثة؛ لأنّه إذا فرقت السنّة في أوقات شتى كان أداؤها أيسر وأخف من أن تجمع كلها في وقت واحد.

لقد ذكر الإمام عليه السلام الحكمة في تفريق أوقات صلاة السنّة فقد جعلت في أفضل الأوقات وأحبّها عند الله تعالى مضافاً إلى أنّ أدائها في وقت واحد لا يخلو من حرج وصعوبة.

١٤ - تحليل الصلاة بالتسليم:

قال: (فإن قال قائل: فلم جعل التسليم تحليل الصلاة، ولم يجعل بدله تكبيراً أو تسبيحاً أو ضرباً آخر قيل: لأنّه لما كان في الدخول في الصلاة تحريم الكلام للمخلوقين والتوجّه إلى الخالق كان تحليلها كلام المخلوقين والانتقال عنها وابتداء المخلوقين في الكلام إنّما هو بالتسليم. ولهذا الحكمة فقد جعل تحليل الصلاة بالتسليم فقد حرّم الشارع على المصلّي عند الشروع في الصلاة الكلام وغيره من سائر الأفعال وينتهي هذا التحريم بالتسليم.

صلاة الجمعة:

وأدلى الإمام عليه السلام ببعض الحكم والمصالح في صلاة الجمعة وفيما يلي ذلك:

أ - صلاة الجمعة ركعتين:

قال عليه السلام: فإن قال قائل: فلم صارت صلاة الجمعة إذا كانت مع

الإمام ركعتين وإذا كانت بغير إمام ركعتين وركعتين - يعني يصلي صلاة الظهر -؟
قيل: لعل شئى، منها أن الناس يتخطون إلى الجمعة من بعد فأحب الله عز وجل أن يخفف عنهم
لموضع التعب الذي صاروا إليه.

ومنها: إنَّ الإمام يجسهم للخطبة وهم منتظرون للصلاة ومن انتظر الصلاة فهو في صلاة في حكم
التمام.

ومنها: إنَّ الصلاة مع الإمام أتم وأكمل لعلمه وفقهه وعدله وفضله.
وإنما قصرت صلاة الجمعة فصارت ركعتين لهذه الحكم والعلل التي أدلى بها الإمام عليه السلام.

ب - حكمة الخطبة في صلاة الجمعة:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم جعلت الخطبة؟

قيل: لأنَّ الجمعة مشهد عام فأراد أن يكون الإمام سبباً لموعظتهم وترغيبهم في الطاعة وترهيبهم عن
المعصية وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما ورد عليه من الأوقات ومن
الأحوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة).

إنَّ من أعظم الحكم والمصالح في صلاة الجمعة هي الخطبة التي يدلي بها الإمام فإنها تستهدف نشر
الوعي الديني والسياسي بين المسلمين كما تنمي في نفوسهم النزعات الخيرة وتهديهم إلى سواء السبيل.

ج - خطبتان في صلاة الجمعة:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم جعلت خطبتان؟

قيل: لتكون واحدة للثناء والتحميد والتقديس لله عز وجل، والأخرى للحوائح والأعداء والإنذار وما
يريد أن يعلمهم من أمره ونهيهِ بما فيه الصلاح والفساد).

وأعرب الإمام عليه السلام عن الحكمة في تشريع الخطبتين في صلاة الجمعة فأولى الخطبتين تكون في الثناء
على الله تعالى خالق الكون، وواهب الحياة وبيان عظمته فيما أبدعه من العجائب في مخلوقاته والخطبة
الثانية تكون لبيان ما يصلح المسلمين في دنياهم، وآخرتهم.

د - خطبة الجمعة قبل الصلاة:

قال عليه السلام: فإن قال قائل فلم جعلت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة وجعلت في العيدين بعد الصلاة؟ قيل: لأنَّ الجمعة أمر دائم يكون في الشهر مراراً وفي السنة كثيراً، فإذا كثرت ذلك على الناس صلّوا وتركوه ولم يقيموا عليه وتفرّقوا عنه فجعلت قبل الصلاة ليحتسبوا على الصلاة ولا يتفرّقوا ولا يذهبوا. وأمّا العيدين فإنّما هما في السنة مرتان، وهما أعظم من الجمعة والزحام فيهما أكثر والناس منهم أرغب فإن تفرّق بعض الناس بقي عامتهم وليس هما بكثير فيملوا أو يستخفوا بهما).

وعلق الشيخ الصدوق (نضر الله مثواه) على هذا الحديث بقوله:

جاء الخبر هكذا والخطبتان في الجمعة والعيد بعد الصلاة لأنّهما بمنزلة الركعتين الأخيرتين وأنّ أول من قدّم الخطبتين عثمان بن عفان؛ لأنّه لما أحدث ما أحدث لم يكن الناس يقفون على خطبته ويقولون: ما نضع بمواعظه وقد أحدث ما أحدث: فقدم الخطبتين ليقف الناس انتظاراً للصلاة ولا يتفرّقوا عنه.

هـ - تجب صلاة الجمعة على من كان على فرسخين:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم وجبت الجمعة على من يكون على فرسخين لا أكثر من ذلك؟ قيل: لأنّ ما يقصر فيه الصلاة بريدان ذاهب أو بريد ذاهب وجائي، والبريد: أربع فراسخ فوجبت الجمعة على من هو نصف البريد الذي يجب فيه التقصير؛ وذلك أنه يجيء على فرسخين ويذهب فرسخين فذلك أربعة فراسخ وهو نصف طريق المسافر).

ولهذه الجهة التي ذكرها الإمام عليه السلام وجبت الجمعة على من كان على فرسخين لا أكثر

و - نافلة الجمعة:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم زيد في صلاة السنة يوم الجمعة أربع ركعات؟ قيل: تعظيماً لذلك اليوم وتفرقة بينه وبين سائر الأيام، ويستحب التنفّل يوم

الجمعة بعشرين ركعة وقد زاد أربع ركعات على الست عشرة التي هي نوافل سائر الأيام، ويستحب أن يصلي ستاً منها عند انبساط الشمس وستاً عند ارتفاعها وستاً قبل الزوال وركعتين عند الزوال).

صلاة المسافر:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم قصرت الصلاة في السفر؟

قيل: لأنّ الصلاة المفروضة أولاً إنّما هي عشر ركعات والسبع إنّما زيدت عليها بعد فحَقَّفَ اللهُ عنهم تلك الزيادة لموضع السفر وتعبه ونصبه واشتغاله بأمر نفسه وطمعته وإقامته لئلا يشتغل عمّا لا بد له من معيشتة رحمة من الله عزّ وجلّ وتعطفاً عليه، إلاّ صلاة المغرب فإنّها لم تقصر؛ لأنّها صلاة مقصورة في الأصل).

عرض الإمام عليه السلام إلى الحكمة في قصر صلاة المسافر وهي ما يعانیه من المتاعب والمصاعب من سفره، خصوصاً في تلك الأزمان التي كانت فيها وسائل النقل محصورة بالحيوانات وبالسفن وكلاهما يوجبان المشقة والعناء، فتنفّصل الشارع فأسقط عن المسافر نصف الصلاة الرباعية تفضلاً منه ورحمة بالعباد.

المسافة الموجبة للقصر:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم وجب التقصير في ثمانية فراسخ لا أقل من ذلك ولا أكثر؟

قيل: لأنّ ثمانية فراسخ مسيرة يوم للعامّة والقوافل والأثقال فوجب التقصير في مسيرة يوم).

بيّن الإمام عليه السلام الحكمة في جعل الشارع ثمانية فراسخ مسافة للتقصير ثم عقب عليه السلام ذلك بقوله:

(فإن قال قائل: فلم وجب التقصير في مسيرة يوم لا أكثر؟

قيل: لأنّه لو لم يجب في مسيرة يوم لما وجب في مسيرة سنة؛ وذلك لان كل يوم يكون بعد هذا اليوم، فإنّما هو نظير هذا اليوم فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره إذا كان نظيره مثله ولا فرق بينهما).

أفاد الإمام عليه السلام أنّه لو لم تجعل المسافة في تقصير الصلاة ثمانية فراسخ التي هي مسيرة يوم للزم منه أن

تكون مسافة التقصير في اليوم الثاني إذ هو نظير

اليوم الأول ولا ميزة له عليه وهكذا في اليوم الثالث وما زاد عليه ولازمه التسلسل المجمع على بطلانه، وأردف الإمام كلامه هذا بقوله:

(فإن قال قائل: قد يختلف السير فلم جعلت مسيرة يوم ثمانية فراسخ؟
قيل: لأنّ ثمانية فراسخ مسير الجمال والقوافل وهو سير الذي يسيره الجمالون والمكارون).

سقوط نوافل النهار:

قال عطاء بن رباح: (فإن قال قائل: فلم ترك تطوع النهار - أي نوافل النهار - ولم يترك تطوع الليل؟
قيل: لأنّ كل صلاة لا تقصير فيها فلا تقصير في تطوعها؛ وذلك أنّ المغرب لا تقصير فيها، فلا تقصير فيما بعدها من التطوع وكذلك الغداة لا تقصير فيما قبلها من التطوع).

عرض الإمام عطاء بن رباح إلى سقوط نافلة النهار وعدم سقوط نافلة الليل، وقد علل ذلك بأنّ سقوط النافلة تابع لقصر الصلاة ولا تقصير في صلاة الليل وقد عقب على هذا بقوله:

(فإن قال قائل: فما بال العتمة - أي صلاة العشاء - مقصورة وليس تترك ركعتاه؟
قيل: إنّ تلك الركعتين ليستا من الخمسين وإتّما هما زيادة في الخمسين تطوعاً ليتم بها بدل كل ركعة من الفريضة ركعتين من التطوع).

أفاد الإمام عطاء بن رباح بأنّ صلاة العشاء تقصر في السفر فلم لا تسقط نافلتها وهي ركعتان من جلوس، فأجاب الإمام عطاء بن رباح: إنّ نافلة العشاء عند الشارع تعادل ركعة من قيام والسبب في ذلك ليتم بدل كل ركعة من الفريضة ركعتين من النافلة ولهذا العلة فلا تسقط نافلة العشاء عن المسافر فيصلي صلاة الليل في أوله.

قال عطاء بن رباح: (فإن قال قائل: فلم جاز للمسافر والمريض أن يصلي صلاة الليل في أول الليل؟
قيل: لاشتغاله وضعفه ليحجز صلاته فيستريح المريض في وقت راحته ويشتغل المسافر بأشغاله وارتحاله وسفره).

أمّا صلاة الليل فهي في الهزيع الأخير من الليل، وقد أباح الشارع للمسافر والمريض أن يصلّيها في أوّل الليل؛ وذلك تفضّل ومنة منه عليهما كما أفاد الإمام (ع).

الصلاة على الميت:

وتحدّث الإمام عليه السلام عن بعض العلل في أحكام الأموات والتي منها الصلاة قال عليه السلام:

(فإن قال قائل: فلم أمروا بالصلاة على الميت؟

قيل: ليشفعوا له ويدعوا بالمغفرة؛ لأنّه لم يكن في وقت من الأوقات أحوج إلى الشفاعة فيه والطلب والاستغفار من تلك الساعة).

إنّ دعاء المؤمنين الذين يصلون على جنازة الميت بالمغفرة والرحمة له، من أهم ما يحتاج إليه الميت فلعل الله يستجيب الدعاء، ويعفو عنه ويمنحه المغفرة والرضوان.

التكبيرات الخمس على الميت:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم جعلت خمس تكبيرات دون أن يكبر أربعاً أو ستاً؟

قيل: إنّ الخمس إنّما أخذت من الخمس صلوات في اليوم والليلة).

إنّ التكبيرات الخمس ترمز إلى الصلاة اليومية التي هي خمس صلوات.

الصلاة على الميت بغير وضوء:

قال عليه السلام: (فلم جوّز الصلاة على الميت بغير وضوء؟

قيل: لأنّه ليس فيها ركوع ولا سجود وإنّما هي دعاء ومسألة، وقد يجوز أن تدعو الله وتسأله على أي

حال كنت وإنّما يجب الوضوء في الصلاة التي فيها الركوع والسجود).

ولهذا السبب فقد قيل بأنّ الصلاة على الميت دعاء وليست بصلاة حقيقية.

الصلاة على الميت في كل وقت:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم جوّزتم الصلاة عليه قبل المغرب وبعد الفجر؟

قيل: لأنّ هذه الصلاة إنّما تجب في وقت الحضور، والعلّة ليست هي مؤقتة كسائر الصلوات وإنّما هي صلاة تجب في وقت حدوث الحدث ليس للإنسان فيه اختيار وإنّما هو حق يؤدّى وجائز أن تؤدّى الحقوق في أي وقت إذا لم يكن الحق مؤقتاً).

ولم يجعل الشارع وقتاً خاصاً لصلاة الميت وإنّما يصلي عليه في جميع آتات الزمان؛ لأنّ الصلاة حق من حقوقه على الأحياء والحق يؤدّى في كل وقت.

تغسيل الأموات:

وقد تقدّم الكلام فيه تفصيلاً.

تكفين الأموات:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أمرؤا بكفن الميت؟

قيل: ليلقى ربه عزّ وجل طاهر الجسد، ولثلاً تبدو عورته لمن يحمله ويدفنه، ولثلاً يظهر الناس على بعض حاله وقبح منظره، وتغيّر ريحه، ولثلاً يقسو القلب من كثرة النظر إلى مثل ذلك للعاهة والفساد، وليكون أطيب لأنفس الأحياء، ولثلاً يبغضه حميم فيلغي ذكره ومودّته فلا يحفظه فيما خلف وأوصاه وأمره به واجباً كان أو ندباً).

ولهذه الحكم الوثيقة البالغة الأهمية فقد ألزم الشارع العظيم بتكفين الأموات احتراماً لهم وصيانة لأجسادهم التي إن بدت مجّها الأحياء، واحتقروها.

دفن الأموات:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أمر بدفنه؟ قيل: لثلاً يظهر الناس على فساد جسده وقبح منظره وتغيّر ريحه، ولا يتأدّى الأحياء بريحه وبما يدخل عليه من الآفة والفساد، وليكون مستوراً عن الأولياء والأعداء فلا يشمت عدوّه ولا يحزن صديقه).

ولهذه الحكم الوثيقة فقد أوجب مواراة الأموات ودفنهم للستر عليهم، فإنّه إذا تفسّخت أجسامهم وانتشرت جيفهم فإنهم يشكّلون خطراً على البيئة ويكونون مصدراً للأوبئة بالإضافة إلى قبح منظّهم وكراهة رائحتهم، وغير ذلك ممّا أفاده الإمام (ع).

صلاة الكسوف:

(فإن قال قائل: فلم جعلت للكسوف صلاة؟)

قيل: لأنه آية من آيات الله عزّ وجل لا يدري لرحمة ظهرت أم لعذاب؟

فأحب النبي ﷺ أن تفرغ أمته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويطيهم مكرها، كما صرف عن قوم يونس حين تضرّعوا إلى الله عزّ وجل).

لهذه الجهة فقد أمر الشارع بالصلاة عند كسوف الشمس وخسوف القمر وعند كل مخوف سماوي أو أرضي كالرياح السوداء والحمراء والخسف وغير ذلك مما ذكره الفقهاء.

الحكمة في كيفية صلاة الآيات:

قال عائشة: (فإن قال قائل: فلم جعلت عشر ركعات؟)

قيل: لأنّ الصلاة التي نزل فرضها من السماء إلى الأرض أولاً في اليوم والليله فإتّما هي عشر ركعات فجمعت تلك الركعات، وإتّما جعل فيها السجود؛ لأنه لا يكون صلاة فيها ركوع إلا وفيها سجود، ولكي يتختموا أيضاً صلاتهم بالسجود والخضوع، وإتّما جعلت أربع سجود لأنّ كل صلاة نقص سجودها من أربع سجود لا تكون صلاة؛ لأنّ أقلّ الفرض السجود في الصلاة لا يكون إلا على أربع سجود).

صلاة الآيات ركعتان في كل واحدة خمسة ركوعات ينتصب بعد كل واحد فيها وسجودتان بعد الانتصاب من الركوع الخامس ويتشهد بعدهما ويسلم، وقد حكى الإمام عائشة الحكمة في جعل عشر ركوعات لهذه الصلوة وهي أنّها ترمز إلى ما كلف به العباد من الصلاة أولاً وهي عشر ركعات.

عيد الفطر:

قال عائشة: (فإن قال قائل: فلم جعل يوم الفطر عيداً؟)

قيل: لكي يكون للمسلمين مجمع يجتمعون فيه ويبرزون إلى الله عزّ وجل فيحمدونه على ما منّ عليهم فيكون يوم عيد ويوم اجتماع ويوم فطر ويوم زكاة، ويوم رغبة، ويوم تضرّع، ولأنّ أول يوم من السنة يحل فيه الأكل والشرب، لأنّ أول شهور السنة عند أهل الحق (شهر رمضان) فأحب الله عزّ وجل أن يكون لهم في ذلك اليوم مجمع يحمدونه فيه، ويقدمونه).

لهذه العلة والحكم التي أدلى بها الإمام عليه السلام فقد جعل يوم الفطر عيداً للمسلمين يجتمعون فيه ويبارك بعضهم بعضاً على توفيق الله لهم بصيام شهر رمضان المبارك.

صلاة العيد:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم جعل التكبير فيها أكثر منه في غيرها من الصلاة؟)

قيل: لأنّ التكبير إنّما هو لله، وتمجيد على ما هدى وعانى، كما قال الله عزّ وجل: (وَلِكُلِّمُوا الْعِدَّةَ وَلِكُتَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ^(١).
وأعرب الإمام عليه السلام عن الحكمة في جعل التكبير في صلاة العيد أكثر من غيره؛ وذلك للتدليل على عظم هذا اليوم الأغر عند الله تعالى.

الصوم:

وتحدث الإمام عليه السلام عن الحكمة في تشريع الصوم وعن بعض علل التشريع فيما يتعلّق بأحكام شهر رمضان المبارك.

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أمر بالصوم؟)

قيل: لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلوا على فقر الآخرة وليكون الصائم خاشعاً، ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً على ما أصابه من

الجوع والعطش فيستوجب الثواب مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ورايضاً لهم على ما كلفهم ودليلاً لهم في الآجل وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا إليهم ما افترض الله لهم في أموالهم).

لقد تحدث الإمام عليه السلام عن الحكم والفوائد المترتبة على الصوم والتي منها العطف على الفقراء، فإنّ الصائم عندما يجوع يشعر بألم الجوع فيدفعه ذلك للعطف على الفقراء والمساكين، ومن حكم الصوم المساواة بين الأغنياء والفقراء في هذا الواجب.

ومن حكمة تقوية الإرادة في نفس الإنسان؛ وذلك بامتناعه عن الأكل

(١) سورة البقرة آية ١٨٥.

والشرب وغيرهما من متطلبات الجسد وقد وضع (جيهاردت) الألماني كتاباً في تقوية الإرادة، جعل أساسه الصوم، وذهب إلى أنّ الصوم هو الوسيلة الفعّالة لسلطان الروح على الجسد، وأنّ الإنسان يعيش مالكاً زمام نفسه وليس أسيراً لميوله المادية.

هذه بعض حكم وفوائد الصوم، وقد أدلى الإمام عليه السلام بالكثير من فوائده.

شهر رمضان:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم جعل الصوم في (شهر رمضان) خاصة دون سائر الشهور؟ قيل: لأنّ (شهر رمضان) هو الشهر الذي أنزل الله تعالى فيه القرآن، وفيه فرق بين الحق والباطل، كما قال الله عزّ وجل: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ) (١).

وفيه نبيّ محمد صلى الله عليه وآله، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وفيها يفرق كل أمر حكيم، وهو رأس السنة يقدر فيها ما يكون في السنة من خير أو شر أو ضر أو منفعة أو رزق أو أجل؛ ولذلك سميت ليلة القدر).

ولهذه الحكم فرض الله تعالى الصوم في هذا الشهر المبارك وميّزه على بقية الشهور.

اقتصار الصوم على شهر رمضان:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أمروا بصوم (شهر رمضان) لا أقل من ذلك ولا أكثر؟ قيل: لأنّه قوة العبادة الذي يعم فيها القوي والضعيف وإتّما أوجب الله الفرائض على أغلب الأشياء وأعم القوي ثم رخص لأهل الضعف ورغب أهل القوّة في الفضل ولو كانوا يصلحون على أقل من ذلك لنقصهم ولو احتاجوا إلى أكثر من ذلك لزادهم).
إنّ حكمة الله تعالى وتدييره للأشياء اقتضت أن تكون مصلحة العباد صيام

(١) سورة البقرة آية ١٨٥.

ثلاثين يوماً ولو كانت المصلحة أقل من ذلك لنقصهم، كما أنّ المصلحة لو كانت أكثر لزوّدهم عليه.

ترك الحائض للصوم والصلاة:

قال عائشة: (فإن قال قائل: فلم إذا حاضت المرأة لا تصوم ولا تصلي؟

قيل: لأنّها في حد نجاسة^(١) فأحب الله أن لا تعبدّه إلّا طاهرة ولأنّه لا صوم لمن لا صلاة له).

ولهذه الجهة فقد سقط الصوم والصلاة عن الحائض إلّا أنّها تقضي الصوم دون الصلاة إذا طهرت من الحيض.

قضاء الحائض للصوم:

قال عائشة: (فلم صارت تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟

قيل لعل شئ: فمنها أنّ الصيام لا يمنعها من خدمة نفسها وخدمة زوجها وإصلاح بيتها والقيام

بأمرها، والاشتغال بمرمة معيشتها والصلاة تمنعها من ذلك كله لان الصلاة تكون في اليوم والليله مرارا فلا تقوى على ذلك والصوم ليس كذلك.

ومنها: أنّ الصلاة فيها عناء وتعب واشتغال الأركان وليس في الصوم شيء من ذلك وإنّما هو

الإمساك عن الطعام والشراب وليس فيه اشتغال الأركان.

ومنها: أنّه ليس من وقت يجيء إلّا عليها صلاة جديدة في يومها وليتها وليس الصوم كذلك؛ لأنّه

ليس كلّما حدث يوم وجب عليها الصوم وكلّما حدث وقت الصلاة وجبت عليها الصلاة).

ولهذه العلل الوثيقة فقد أسقط الشارع الصلاة عن الحائض قضاءً؛ لأنّ في الإتيان بها مشقّة وجهداً

على المرأة بخلاف الصوم فإنّ قضاءه ليس فيه جهد

وخرج عليها.

(١) لعلّ الصحيح في حال نجاسة.

قضاء شهر رمضان:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: إذا مرض الرجل أو سافر في شهر رمضان فلم يخرج من سفره، أو لم يفق من مرضه حتى يدخل عليه (شهر رمضان) آخر وجب عليه الفداء للأول وسقط القضاء فإذا أفاق بينهما أو أقام ولم يقضه وجب عليه القضاء والفداء؟

قيل: لأنّ ذلك الصوم إنّما وجب عليه في تلك السنة في ذلك الشهر، فأما الذي لم يفق فإنّه لما أن مرت عليه السنة كلها، وقد غلب الله تعالى عليه فلم يجعل له السبيل إلى أدائه، سقط عنه، وكذلك كلما غلب الله عليه مثل المغمى عليه الذي يغمى عليه يوماً وليلة فلا يجب عليه قضاء الصلاة، كما قال الصادق عليه السلام: كلما غلب الله عليه العبد فهو أعذر له؛ لأنّه دخل الشهر وهو مريض فلا يجب عليه الصوم في شهره ولا سنته للمرض الذي كان فيه ووجب عليه الفداء؛ لأنّه بمنزلة من وجب عليه صوم فلم يستطع أدائه فوجب عليه الفداء كما قال الله عزّ وجل: (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) ^(١)، وكما قال الله عزّ وجل: (فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) ^(٢) فأقام الصدقة مقام الصيام إذا عسر عليه...).

عرض الإمام عليه السلام إلى المريض إذا استمرّ به المرض من رمضان إلى رمضان الآخر ولم يبرأ فإنّه لا قضاء عليه، وإنّما تجب عليه الفدية والسبب في ذلك أنّه لا تكليف له بالقضاء لمرضه، وأمّا من برأ في أثناء السنة ولم يصم ما عليه فإنّه يجب عليه القضاء؛ وذلك لتمكّنه كما تجب عليه الفدية، وعقّب الإمام على ذلك بقوله: (فإن قال قائل: فإن لم يستطع إذ ذاك فهو الآن يستطيع؟

قيل له: إنّهُ لَمَّا دخل عليه شهر رمضان آخر وجب عليه الفداء للماضين؛ لأنّه كان بمنزلة من وجب عليه صوم في كفارة فلم يستطعه فوجب عليه الفداء، وإذا وجب الفداء سقط الصوم والصوم ساقط والفداء لازم، فإن أفاق فيما بينهما ولم يصمه وجب عليه الفداء لتضييعه الصوم لاستطاعته).

(١) سورة المجادلة: آية ٤.

(٢) سورة البقرة: آية ١٩٦.

الصوم بدل تحرير الرقبة:

قال عائشة: (فلم وجب في الكفارة على من لم يجد تحرير رقبة الصيام دون الحج والصلاة وغيرهما؟ قيل: لأن الصلاة والحج وسائر الفرائض مانعة للإنسان من التقلب في أمر دنياه ومصالحة معيشتة مع تلك العلة التي ذكرناها في الحائض التي تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة).
ولهذه العلة فقد جعل الشارع الصيام بدلاً من تحرير الرقبة، ولم يجعل الصلاة والحج وغيرها عوضاً عنها؛ لأنّ لازم ذلك تعطيل الأعمال وعدم استطاعة الإنسان على تحصيل معاشه.

صيام شهرين متتابعين:

قال عائشة: (فإن قال قائل: فلم وجب عليه صوم شهرين متتابعين دون أن يجب عليه شهراً واحداً أو ثلاثة أشهر؟ قيل: لأنّ الفرض الذي فرض الله على الخلق وهو شهر واحد فضوعف في هذا الشهر في كفارته توكيداً وتعليظاً عليه).

التتابع في صيام شهرين:

قال عائشة: (فلم جعل متتابعين؟ قيل: لئلا يهون عليه الأداء فيستخف به لأنه إذا قضاها متفرقاً هان عليه القضاء).
إنّ التتابع في صيام الشهرين إنما هو عقوبة لمن أظفر متعمداً منتهكاً حرمان الله تعالى فشدد عليه تعالى بذلك.

الحج:

وتحدث الإمام عن العلة في تشريع الحج وعلل بعض الأحكام المتصلة به.

وجوب الحج:

قال عائشة: (فإن قال قائل: فلم أمر بالحج؟

قيل: لعلّ الوفادة إلى الله عزّ وجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً ممّا مضى مستأنفاً لما يستقبل مع ما فيه من إخراج الأموال، وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد وحظر الأنفس عن اللذات، شاخص في الحر والبرد ثابت ذلك عليه دأب مع الخضوع والاستكانة والتذلل مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع في شرق الأرض وغربها ومن في البرد والحر (١) ممّن يحج وممّن لا يحج من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها من النفقة ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية كما قال الله تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (٢).

الحج مؤتمر عام يهدف إلى غايات عظيمة ومنافع مهمّة تعود بالخير العميم على العالم الإسلامي، وقد أدلى الإمام الرضا عليه السلام ببعضها، ولو أردنا أن نستقصي ثمرات الحج وفوائده لضاق بنا المجال وأهم ما فيه تعارف الشعوب الإسلامية بعضها بحاجات البعض منها؛ وذلك للوصول إلى مستوى رفيع بين شعوب العالم وأمم الأرض، ومضافاً لذلك هي الناحية الاقتصادية فإن لكل شعب من الشعوب الإسلامية صناعات ومنتجات لا توجد في غيرها وبواسطة الحج يمكن إبرام اتفاقات تجارية فيما بينها لتبادلها.

وعلى أي حال فالحج يرمز إلى رفع مستوى الحياة الفكرية والعملية والاقتصادية للمسلمين، ولا يضاويه أي مؤتمر من مؤتمرات الدول العالمية.

الحج مرة واحدة:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أمروا بحجّة واحدة لا أكثر من ذلك؟

قيل له: لأنّ الله تعالى وضع الفريضة على أدنى القوم مرة كما قال الله عزّ وجل: (فما استيسر من الهدى) يعني شاة؛ ليسع له القوي والضعيف، وكذلك سائر الفرائض إنّما وضعت على أدنى القوم قوّة فكان من تلك الفرائض الحج

(١) لعلّ الصحيح: في البر والبحر.

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٢.

المفروض واحداً، ثم رغب بعد أهل القوّة بقدر طاقتهم).
حجّة الإسلام إنّما تجب على المسلم مرة واحدة ولم يفرض فيها التعدد للحكمة التي أدلى بها الإمام
عليه السلام، وهي أنّ الإسلام قد وضع تكاليفه وأحكامه على أدنى الناس قوّة وأدناهم قوّة في البدن والمال لا
يتمكن الحج أكثر من مرة واحدة.
فلذا وجب على الجميع مرة واحدة، نعم قد يجب الحج بالنذر وشبهه وبالإجارة، وغير ذلك ممّا ذكره
الفقهاء.

الإحرام:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم أمروا بالإحرام؟
قيل: لأنّ يخشعوا قبل دخول حرم الله عزّ وجل وأمنه ولئلاّ يلهوا ويشتغلوا بشيء من أمر الدنيا
وزينتها، ويكونوا جادين فيما بينهم قاصدين نحوه مقبلين عليه بكلّيتهم مع ما فيه من التعظيم لله تعالى
ولبيته، والتذلّل لأنفسهم عند قصدهم إلى الله تعالى ووفادتهم إليه راجين ثوابه راهبين من عقابه ماضين
نحوه مقبلين إليه بالذل والاستكانة والخضوع).
إنّ الحاج إذا أحرم للحج أو للعمرة فيجب عليه أن يتعد عن شهوات نفسه وملذّاتها، ويخرج عن
مألوفاتها فتحرم عليه وسائل الرفاهية والزينة من النساء ولبس المخيط والطيب وحلق شعر رأسه ويجتنب
هجر الكلام ومره فلا جدال ولا فسوق في الحج.
إنّ الإحرام رياضة للنفس على احتمال المشاق والمكروه وفيها من التعظيم لله تعالى، وإذلال النفس
أمامه، إلى غير ذلك من الحكم التي ذكرها الإمام عليه السلام.

الطواف بالبيت:

قال عليه السلام فيما كتبه لمحمد بن سنان: (وعلّة الطواف بالبيت إن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: (إِنِّي
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) فردوا على الله تعالى بهذا
الجواب فندموا ولاذوا بالعرش واستغفروا فأحب الله عزّ وجل أن يتعبد بمثل تلك العبادة فوضع في السماء
الرابعة

بيتاً بجذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى (المعمور) بجذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم فطاف به فتاب الله عزّ وجل عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة).
إنّ الطواف حول الكعبة المقدسة فيه من الدروس الرفيعة التي منها: أنّه تخليد لذلك المكان العظيم الذي بناه شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام لعبادة الله الواحد القهار في وقت لم يكن هناك بيت للعبادة سواه، ومنها: أنّ الطواف معراج للمؤمن كالصلاة فيه سمو للروح واتصال بالخالق العظيم، إلى غير ذلك من الثمرات والفوائد.

استلام الحجر:

قال عليه السلام: (وعلمة استلام الحجر: أنّ الله تبارك وتعالى لمّا أخذ ميثاق بني آدم ألقمه الحجر، فمن ثمّ كلف الناس تعاهد ذلك الميثاق، ومن ثمّ يقال: عند الحجر أمانتي أديتها وميثاق تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، ومنه قول سلمان ليحيى الحجر يوم القيامة مثل أبي قبيس له لسان وشفتان يشهد لمن وافاه بالموافاة).

لقد تحدث الإمام عليه السلام عن الحكمة في استلام الحجر الأسود الذي هو موضع تقديس وتعظيم عند المسلمين، فقد كرمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبله، ومما لا شبهة أنّ ذلك ينم عن سمو هذا الحجر الذي يشهد لمن وافاه يوم القيامة بالموافاة له.

الحج في ذي الحجة:

قال عليه السلام: (فإن قال قائل: فلم جعل وقتها عشر ذي الحجة؟

قيل: لأنّ الله تعالى أحب أن يعبد بهذه العبادة أيام التشريق، وكان أوّل ما حجّت إليه الملائكة وطافت به في هذا الوقت فجعله سنة ووقتاً إلى يوم القيامة فأما النبيون: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين وغيرهم من الأنبياء إنّما حجّوا في هذا الوقت فجعلت سنة في أولادهم إلى يوم القيامة).

ولهذه الأسباب فقد جعل الحج في هذا الوقت المبارك دون غيره.

كلمة فيليب حتي في الحج:

ومن الحدير بالذكر أن نختم هذا البحث عن الحج بكلمة للدكتور فيليب حتي قال: (ولا يزال الحج على كثر العصور نظاماً لا يبارى في تشديد عرى التفاهم الإسلامي والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة مرة في حياته على الأقل، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعاً أخوياً ويوحد شعوره مع شعور من سواه من القادمين من أطراف الأرض، وبفضل هذا النظام يتيسر للزوج والبربر والصينيين والفرس والترك والعرب وغيرهم - أغنياء كانوا أم فقراء عظماء أم صغاليك - أن يتألفوا لغةً وإيماناً وعقيدةً، وقد أدرك الإسلام نجاحاً لم يتفق لدين آخر من أديان العالم في القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية خاصةً بين أبنائه؛ فهو لا يعترف بفاصل بين أفراد البشر إلا الذي يقوم بين المؤمنين وبين غير المؤمنين، ولا شك أن الاجتماع في مواسم الحج أدى خدمة كبرى في هذا السبيل).

الزكاة:

قال **عائلاً**: فيما كتبه محمد بن سنان عن أجوبة مسائله في علل الأحكام قال: (وعلة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحسين أموال الأغنياء لأن الله تبارك وتعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة - وهم المرضى - والبلوى كما قال الله تعالى: **(لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)** ^(٢) في أموالكم بإخراج الزكاة وفي أنفسكم بتوطين الأنفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل، والطمع في الزيادة مع ما فيه من الرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة، والحث لهم على المواساة، وتقوية الفقراء، والمعونة على أمر الدين، وهم عظة لأهل الغنى وعبرة لهم؛ ليستدلوا على فقراء الآخرة بهم، وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله تبارك وتعالى لما حولهم وأعطاهم، والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات، وصلة الأرحام،

(١) تاريخ العرب ١ / ١٨٧ ط ٢.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٦.

واصطناع المعروف).

الزكاة نظام اجتماعي خلاق يحفظ التوازن بين طبقات الأمة، ويقضى على داء الفقر الذي هو مأوى لكل جريمة ففي البيئات التي يشيع الفقر فيها تروج المذاهب المتطرفة وتستحل الأعمال الوحشية. إنّ الزكاة تطهّر النفوس من البخل والقسوة والأثرة والطمع، وغير ذلك من أرجاس الرذائل الاجتماعية التي تبعث على الفتن والكراهية والعدوان... وقد تحدث الإمام عليه السلام عن ثمراتها ومصالحها التي تعود على المجتمع بالخير العميم.

علل بعض المحرمات:

وأدلى الإمام عليه السلام بالعلل التي من أجلها حُرمت بعض الأعمال في الإسلام ذلك فيما كتبه إلى محمد بن سنان عن أجوبة مسائله وهي:

١ - قتل النفس:

قال عليه السلام: (وحرم الله قتل النفس لعلّ فساد الخلق في تحليله لو أحل وفنائهم وفساد التدبير). تعتبر جريمة القتل العمد من أخطر الجرائم وأشدّها إخلالاً بالأمن وقد حرّمه الإسلام وشدّد في العقوبة على الجاني قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ^(١) ولو حلّت هذه الجريمة لأوجبت فساد الخلق وفناءهم.

٢ - عقوق الوالدين:

قال عليه السلام: (وحرم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج عن التوقير...). إنّ الله تعالى قرن حقوق الوالدين بحقوقه وطاعتهما بطاعته، وإنّ من أفحش المحرمات عقوقهما والتنكّر لما أسدياه على الولد من ألوان البر والإحسان.

٣ - الزنا:

قال عليه السلام: (وحرم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد).

(١) سورة البقرة: آية ١٧٩.

الزنا من أفحش ألوان الرذائل ووصفه القرآن بالفاحشة قال تعالى: **(وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)** (١).

والزاني يشكل جريمة على المجتمع الإنساني؛ لأنه إن نشأ منه طفل فإنه ينشأ بلا أب يريعه ويصاب بالعقد النفسية، ويقترف أفظع الجرائم، بالإضافة إلى إضاعة الأنساب، بينما الزواج ناموس طبيعي يفرض على المرء أن يبذل حياته لتربية أطفاله تربية صالحة ليكونوا قرّة عين له.

عقوبة الزاني:

قال **عائشة**: (وعلة ضرب الزاني على جسده بأشد الضرب لمباشرته الزنا واستلذاذ كله به فجعل الضرب عقوبة له وعبرة لغيره وهو أعظم الجنايات).

وكان من محاسن التشريع الإسلامي أن شرع العقوبات الصارمة لهذه الرذيلة وهي مائة جلدة لغير المحصن والرحم للمحصن قال تعالى: **(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشْهَدَ عَدَاِبُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)** (٢).

الشهادة المثبتة للزنا:

قال **عائشة**: (والعلة في شهادة أربعة - أي الشهود - في الزنا واثنين في سائر الحقوق لشدة حد المحصن؛ لأنّ فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفة لما فيه من قتل نفسه وذهاب نسب ولده وفساد الميراث).

إنّ عقوبة الزنا لا تثبت إلاّ بأربعة شهود عدول يرون حقيقة الزنا بالمشاهدة ولا بد أن يشهدوا جميعاً، فإذا تخلف واحد منهم تعرض الثلاثة الباقيون لعقوبة القذف والحكمة في هذا التشديد لئلاّ يتجرأ الناس على اتّهام بعضهم بعضاً دون مبالاة.

(١) سورة الإسراء: آية ٣٢.

(٢) سورة النور: آية ٢.

٤ - اللواط والمساحقة:

قال عليه السلام: (وعلة تحريم الذكران للذكران والإناث بالإناث لما ركب في الإناث، وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران للذكران والإناث من انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا).
أما اللواط فإنه من الجرائم الخلقية، وفيه خروج عن سنن الطبيعة، وقد سماه الله تعالى بالفاحشة قال تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) ^(١).
وعقوبة اللواط القتل؛ لأن في هذه الجريمة إضاعة الأنساب وخراب الدنيا كما قال الإمام عليه السلام.
وأما المساحقة فإنها من الرذائل الخلقية، وفيها شذوذ عن سنة الله تعالى وخروج عن طبيعة الإنسان.

٥ - النظر إلى شعور النساء:

قال عليه السلام: وحرّم النظر إلى شعور النساء المحجوبات بالأزواج والى غيرهن من النساء؛ لما فيه من تهيج الرجال، وما يدعو التهيج إليه من الفساد والدخول فيما لا يحل، ولا يحل، وكذلك ما أشبه الشعور إلا الذي قال الله تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) ^(٢).
أي غير الجلباب فلا بأس بالنظر إلى شعور مثلهن.

إنّ النظر إلى شعر المرأة وزينتها يكهرب الرجل ويدفعه إلى اقتفاف الحرام، أمّا النظر إلى شعر العجائز الطاعنات في السن فإنه لا يبعث غراماً ولا يولّد شهوة؛ فلذا أباحه الإسلام.

٦ - الربا:

وعرض الإمام عليه السلام إلى بيان الأسباب والعلل في تحريم الربا؛ وذلك في عدة بيانات وهي:

(١) سورة العنكبوت: آية ٢٨.

(٢) سورة النور: آية ٦٠.

أ - قال ﷺ: (وعلة تحريم الربا: إنما نهي الله عنه لما فيه من فساد الأموال؛ لأنّ الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمان الآخر باطلاً فبيع الربا وكس على كل حال على المشتري وعلى البائع فحرم الله تبارك وتعالى الربا لعلة فساد الأموال كما حظر عل السفية أن يدفع ماله إليه لما يتخوف عليه من إفساده حتى يؤنس منه رشده فلهمذه العلة حرم الله الربا وبيع الدرهمين يداً بيد).

ب - قال ﷺ: (وعلة تحريم الربا بعد البينة لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم وهي كبيرة بعد البيان، وتحريم الله تعالى لها، ولم يكن ذلك منه - أي من المرابي - إلا استخفاف بالتحريم للحرام والاستخفاف بذلك دخول في الكفر).

ج - قال ﷺ: (وعلة تحريم الربا بالنسيئة لعلة ذهاب المعروف وتلف الأموال، ورغبة الناس في الربح، وتركهم القرض والغرض، وصنایع المعروف، ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال).

حرم الإسلام تحريماً شاملاً الربا واعتبره من أفحش أنواع الظلم وهو يتنافى مع تعاليم الإسلام التي تدعو إلى المعونة والمساعدة والرحمة، والربا يسبب العداوة والبغضاء، وينشر البؤس والفقر بين الناس. إنّ الربا يؤدّي إلى وجود طبقة رأسمالية في المجتمع تتضخم عندها الأموال وهي لا تعمل ولا تبذل جهداً في الحركة الاقتصادية.

وقد ثبت أنّ الربا وسيلة لاستعمار الشعوب واحتلالها، فالحكومات التي تستقرض تتضاعف عليها الفوائد فتعجز عن تسديدها وتقع بذلك تحت شبكة الاستعمار الذي ينهب الثروات ويترك البؤس شائعاً في البلاد.

وجاء تحريم الربا في القرآن تحريماً قاطعاً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً) ^(١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) ^(٢).

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٠ - ١٣١.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٧٨.

وقد لعن الإسلام صاحب رأس المال والمدين والكاتب والشاهد؛ لأنهما أعانا على ما نهى الله عنه.

٧ - أكل مال اليتيم:

قال عليه السلام: (وحرّم أكل مال اليتيم ظلماً لعلل كثيرة من وجوه الفساد أول ذلك أنّه إذا أكل الإنسان مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله؛ إذ اليتيم غير مستغن، ولا محتمل لنفسه ولا علم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه فإذا أكل ماله فكأنّه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة مع ما خوف الله عزّ وجل، وجعل من العقوبة في قوله عزّ وجل: **(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ)** ^(١).

ولقول أبي جعفر عليه السلام: (إنّ الله عزّ وجل وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة ففي تحريم مال اليتيم استبقاء اليتيم واستقلاله بنفسه والسلامة للعقب أن يصيبه ما أصابه لما وعد الله فيه من العقوبة، مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثأره إذا أدرك ووقوع الشحنة والعداوة والبغضاء حتى يتفانوا).

لقد شدّد الإسلام في تحريم أكل مال اليتيم وأمر بصيانة أمواله والمحافظة عليها حتى يبلغ، قال تعالى: **(وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)** ^(٢).
وقد أدلى الإمام عليه السلام بالأسباب الناجمة عن حرمة أكل مال اليتيم.

٨ - السرقة:

قال عليه السلام: (وحرمة السرقة لما فيه من فساد الأموال، وقتل الأنفس لو كانت مباحة، ولما تأتي في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد، وما يدعو إلى ترك التجارات والصناعات في المكاسب واقتناء الأموال إذا كان الشيء المقتنى لا يكون أحد أحق به من أحد).

(١) سورة النساء: آية ٩.

(٢) سورة النساء: آية ٦.

أمّا السرقة فهي من أفحش المحرمات؛ لأنّها أكل لأموال الناس بغير حق فالسارق يأخذ مال الغير الذي أفنى عمره في تحصيله ويترك شبح الفاقة جائئاً عليه، وينعم هو بما سرقه منه وهو من أسوأ ألوان الظلم، وقد جعل الشارع العظيم عقوبة السارق قطع اليد قال تعالى: **(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا)** (١).

ويشترط في السرقة التي توجب قطع اليد عدّة شروط ذكرها الفقهاء، فإذا توفّرت فتقطع يد السارق.

قطع يد السارق اليمنى:

قال **عليه السلام**: (وعلّة قطع اليمين من السارق، ولأنّه يباشر الأشياء بيمينه، وهي أفضل أعضائه وأنفعها له، فجعل قطعها نكالاً وعبرة للخلق لئلاّ ييغوا أخذ الأموال من غير حلّها، ولأنّه أكثر ما يباشر السرقة بيمينه).

وحرّم غضب الأموال وأخذها من غير حلّها لما فيه من أنواع الفساد، والفساد محرّم لما فيه من الفناء وغير ذلك من وجوه الفساد).

ولهذه الأسباب الوثيقة التي أدلى بها الإمام **عليه السلام** فقد أمر الإسلام بقطع يد السارق اليمنى دون اليسرى.

٩ - الخمر:

قال **عليه السلام**: (حرّم الله الخمر لما فيها من الفساد، ومن تغييرها عقول شاربيها وحملها إياهم على إنكار الله عزّ وجل، والغفلة عليه وعلى رسله وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل والقذف والزنا وقلة الاحتجاز من شيء من الحرام؛ فبذلك قضينا على كل مسكر من الأشربة أنّه حرام محرّم لأنّه يأتي من عاقبتها ما يأتي من عاقبة الخمر فليجتنبه من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتولّنا ويتحلّ مودّتنا فإنّه لا عصمة بيننا وبين شاربيها).

أمّا مضار الخمر على الإنسان وعلى المجتمع فهي كثيرة لا تحصى، وقد حرّمها

(١) سورة المائدة: آية ٣٨.

الإسلام تحريماً باتاً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا حُرُّوهُمُ الْمَيْسِرُ^(١) وَالْأَنْصَابُ^(٢) وَالْأَزْلَامُ^(٣) رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ^(٤)).

إنَّ الخمر سبب لكل رذيلة ومنشأ لارتكاب كل منكر، وأنَّ كثيراً من حوادث الزنا والسرقة وغيرهما من الجرائم تنشأ من الخمر، مضافاً إلى تدميره لصحة الإنسان فإنَّ الكحول التي فيها تتسرب إلى دم الإنسان حتى أنه لو أخذ مقدار من دم السكران فإنه يحترق كما يحترق السيروتو، مضافاً إلى ما يسببه من التهاب الجهاز الهضمي وارتفاع الضغط الدموي، وغير ذلك، وقد ذكرنا أضراره الصحية في كتابنا (العامل وحقوق العامل في الإسلام).

١٠ - الميتة:

قال عائِلَة: (وحرمت الميتة لما فيها من فساد الأبدان والآفة الخ...).
أما أكل الميتة فهو يسبب كثيراً من الأمراض، وربما أدى الأكل منها إلى الوفاة (٥) فإنَّ الجرائم لا تزال ملازمة لها، وإن تعقيم لحم الميتة بطريق النار لا يجدي شيئاً، كما نصَّ على ذلك الطب الحديث.

١١ - الدم:

قال عائِلَة: (وحرم الله عزَّ وجل الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الأبدان؛ ولأنَّه يورث الماء الأصفر، ويخثر الفم، وينتج الريح، ويسبب الخُلق، ويورث القسوة للقلب، وقلة الرَّافة والرحمة حتى لا يؤمن أن يقتل والده وصاحبه).

وحرم الإسلام شرب الدم؛ لأنَّه يحمل إفرازات وسعوماً قاتلة، أما إذا أخذ من دم حيوان مريض فإنَّ الجرائم التي فيه تنتقل إلى من يتناوله، وإجماع الأطباء أنَّ الدم لا يعتبر غذاءً مطلقاً.

(١) الميسر: هو القمار.

(٢) حجارة أو أصنام كان العرب يذبحون قربانهم عندها.

(٣) الأزلام: قطع من الخشب بهيئة السهام كانوا في الجاهلية يستقسمون بها لأجل التفاؤل والتشاؤم.

(٤) سورة المائدة: آية ٩٠.

(٥) الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز إسماعيل (ص ١٧).

١٢ - الطحال:

قال عليه السلام: (وحرّم الطحال؛ لما فيه من الدم، ولأنّ علته وعلّة الدم والميتة واحدة؛ لأنّه يجري مجراها في الفساد).

أمّا الطحال فقد حرّمه الإسلام واعتبره كالدم والميتة؛ وذلك لما يترتب على تناوله من الأضرار والمفاسد لجسم الإنسان كما أفاد الإمام عليه السلام.

١٣ - الخنزير والقرد:

قال عليه السلام: (وحرّم الخنزير؛ لأنّه مشوّه، جعله الله عزّ وجل عظة للخلق وعبرة وتخويفاً ودليلاً على ما مسخ على خلقته، ولأنّ غذاءه أفدر الأقدار مع علل كثيرة).

وكذلك حرّم القرد؛ لأنه مسخ مثل الخنزير، وجعل عظة وعبرة للخلق ودليلاً على ما مسخ على خلقته وصورته، وجعل فيه شبيهاً من الإنسان ليدل على أنّه من الخلق المغضوب عليهم).

لقد حرّم الإسلام لحم الخنزير، وقد أنقذ المسلمين بذلك من شر عظيم يقول بيتي وديسكون: إنّ الإصابة بدودة لحم الخنزير تكاد تكون عامة في جهات خاصة من (فرنسا) و (ألمانيا) و (إيطاليا) و (بريطانيا)، ولكنّها تكاد تكون نادرة الوجود في البلاد الشرقية؛ لتحريم دين أهلها أكل لحم الخنزير، وينقل لحم الخنزير كذلك مرض (الترنجينا) للإنسان.

وفيما يلي بعض الحقائق عن لحم الخنزير ومدى خطورته:

أ - لا يمكن للطبيب الأخصائي أن يقرّر أنّ خنزيراً غير مصاب بهذه الديدان بل أنّ جميعها مصابة بها.

ب - إنّ الأنثى الواحدة من هذه الديدان تضع (١٥٠٠ جنين) في الغشاء المخاطي المبطنّ للأمعاء المصاب فتوزع الملايين المولودة من الإناث جميعاً بطريق الدورة الدموية وتبشها في جميع أجزاء الجسم وتتجمع الأجنة في العضلات.

فتسبب آلاماً شديدة والتهابات عضلية مؤلمة جداً، ويصاب بعد ذلك بأورام خبيثة.
ج - أنه لا يوجد علاج لهذا المرض، ومضافاً لذلك فإنّ لحم الخنزير ينقل للإنسان بعض الجراثيم العفنة (البارا تيفود) وهي تسبب للإنسان تسمماً حاداً مصحوباً بالتهابات شديدة في الجهاز الهضمي قد تسبب الوفاة في بضع ساعات^(١).

١٤ - الأرنب:

قال عليه السلام: (وحرم الأرنب؛ لأنّها بمنزلة السنور ولها مخالب كمخالب السنور وسباع الوحش فحرت مجراها مع قدرها في نفسها، وما يكون منها من الدم كما يكون من النساء؛ لأنّها مسخ).
أمّا الأرنب فحرام أكله، وقد ذكر الإمام عليه السلام علل ذلك، ولكنّ بعض المذاهب الإسلامية لم تستقدره وأباحته أكله.

١٥ - سباع الطير والوحش:

قال عليه السلام: (وحرم سباع الطير والوحش كلها لأكلها الجيف ولحوم الناس والعدرة وما أشبه ذلك؛ فجعل الله عزّ وجل دلائل ما يحل من الوحش والطير وما حرم كما قال أبي عليه السلام: كل ذي ناب من السباع وذو مخلب من الطير حرام وكل ما كانت له قانصة من الطير فحلال.
وعلة أخرى يفرق بين ما يحل من الطير وما حرم قوله عليه السلام: كل ما دفّ ولا تأكل ما صف).
وحرم الإسلام سباع الطير: كالبازي والرخمة، وكذا يحرم من الطيور ما ليس له قانصة ولا حوصلة ولا صيصية وهي الشوكة خلف رجل الطائر خارجة عن الكف ويكفي وجود واحدة منها في حل الطير^(٢).
وقد علّل الإمام عليه السلام الحرمة بأنّها تأكل الجيف ولحوم الناس والعدرة، ويتأثر لحمها بذلك، فلحومها غير صالحة لمعدة الإنسان.

١٦ - ما أهل به لغير الله:

قال عليه السلام: (وحرم ما أهلّ به لغير الله الذي أوجب الله عزّ وجل

(١) روح الدين الإسلامي (ص ٤٠٥) ط الثالثة.

(٢) منهاج الصالحين ٢ / ٢٧٤.

على خلقه من الإقرار به وذكر اسمه على الذبائح المحلّلة، ولئلاّ يسوى بين ما تقرب به إليه وبين ما جعل عبادة للشياطين، والأوثان؛ لأنّ في تسمية الله عزّ وجل الإقرار بربوبيته وتوحيده وما في الإهلال لغير الله من الشرك به والتقرّب به إلى غيره؛ ليكون ذكر الله وتسميته على الذبيحة فرقاً بين ما يحل الله وبين ما حرّم الله).

لقد حرّم ما أهل به لغير الله تعالى ممّا يتقرّب به إلى الأصنام والأوثان، وهو ما تعمله الجاهلية الأولى التي لا تملك وعياً ولا فكراً، فهي كالبهائم، وقد حرّم الإسلام ذبائحها استقذاراً لأفكارها وأعمالها وأنّ ذبائحهم غير نظيفة ولاصالحة للأكل.

كراهة أكل لحوم البغال:

قال عائشة: (وكره أكل لحوم البغال والحمير الأهلية لحاجة الناس إلى ظهورها واستعمالها، والخوف من قتلها، لا لقدر خلقتها، ولا لقدر غذائها).

لقد كره الإسلام أكل لحوم البغال والحمير الأهلية؛ وذلك لأنّهما من أهم وسائل النقل في تلك العصور، وذبحها ممّا يوجب الشحّة في وسائل النقل؛ فلذا كره الإسلام ذبحها، أمّا لحمها فهو صالح للأكل وليس فيه شيء ممّا يوجب الضرر بالصحة العامة.

زواج الرجل بأربعة نسوة:

قال عائشة: (وعلمت تزويج الرجل أربعة نسوة وتحريم أن تتزوج المرأة أكثر من واحد؛ لأنّ الرجل إذا تزوّج أربع نسوة كان الولد منسوباً إليه، والمرأة لو كان لها زوجان وأكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو؟ إذ هم مشتركون في نكاحها، وفي ذلك فساد الأنساب والموارث والمعارف).
لقد بيّن الإمام عائشة الحكمة في جواز زواج الرجل بأربع نساء دون المرأة، فليس لها ذلك، فإنّه لو أُبيح لها الزواج بأكثر من زوج واحد في زمان واحد فإنّ من يولد منها لمن يكون من الزوجين؟ وبذلك تضيع الأنساب وتفسد الموارث.

الطلاق ثلاثاً:

قال عائشة: (وعلمت الطلاق ثلاثاً لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة إلى الثلاث لرغبة تحدث أو سكون غضبه إن كان، وليكون ذلك تخويفاً وتأديباً للنساء وزجراً لهن عن معصية أزواجهن فاستحقت المرأة الفرقة والمباينة لدخولها

فيما لا ينبغي معصية زوجها).

طلاق العدة هو أن يطلق الرجل زوجته مع اجتماع الشرائط، ثم يراجع قبل خروجها من العدة فيواقعها، ثم يطلقها في طهر آخر فتحرم عليه حتى تنكح زوجاً آخر، وقد ذكر الإمام عليه السلام الحكمة في هذا الطلاق وأسبابه.

المطلقة تسع تطليقات:

قال عليه السلام: (وعلة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات، فلا تحل له أبداً عقوبة لئلا يتلاعب بالطلاق، ولا يستضعف المرأة، وليكون ناظراً في أمره متيقظاً معتبراً، وليكون يأسا لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات).

المرأة إذا طُلقَت على النحو المذكور في المسألة السابقة فتزوجها شخص ثم طلقها فتزوجها زوجها الأول فطلقها ثلاثاً، على النهج السابق، حرمت عليه حتى تنكح زوجاً آخر، فإذا تزوجها آخر وطلقها ثم تزوجها زوجها الأول فطلقها ثلاثاً على النهج السابق حرمت عليه مؤبداً، وقد علل الإمام عليه السلام ذلك بما ذكره، وأما إذا كان الطلاق ليس عدياً فإنها لا تحرم المطلقة مؤبداً وإن زاد عدد الطلاق على التسع.

ميراث المرأة:

أما ميراث المرأة فإنها ترث نصف ما يرث الرجل وقد علل عليه السلام ذلك بتعليقين وهما:
الأول: قال عليه السلام: (وعلة إعطاء النساء نصف ما يعطي الرجال من الميراث؛ لأن المرأة إذا تزوجت أخذت والرجل يعطي، فلذلك وفر على الرجال).

الثاني: قال عليه السلام: (وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى؛ لأن الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت، وعليه أن يعولها، وعليه نفقتها، وليس على المرأة أن تعول الرجل، ولا يؤخذ بنفقتها إن احتاج فوفر الله تعالى على الرجال لذلك، وذلك قول الله عز وجل: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا) ^(١).

بما أن الرجل مسؤول عن الإنفاق على المرأة بما تحتاجه من المسكن والطعام

(١) سورة النساء: آية ٢٣٤.

واللباس، وغير ذلك مما ذكره الفقهاء؛ فلذا كان ميراثها نصف ميراث الرجل كما أفاد الإمام عليه السلام، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن علل بعض الأحكام التي أشرت عن الإمام عليه السلام.

أحوال الأنبياء والأمم السالفة:

وسئل الإمام عليه السلام عن علل أحوال بعض الأنبياء والأمم السالفة فأجاب وفيما يلي بعضها:

غرق فرعون:

روى إبراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: لأي علة أغرق الله عز وجل فرعون، وقد آمن به وأقر بتوحيده؟

قال عليه السلام: (لأنه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول؛ وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف، قال الله عز وجل: **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**) ^(١) وقال عز وجل: **(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا)** ^(٢) وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال: **(آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** ف قيل له: **(الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً)** ^(٣).

وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد وقد لبسه على بدنه، فلما أغرق ألقاه الله على نحوه من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة، فيرونه مع ثقله بالحديد على مرتفع من الأرض وسبيل التثقيل أن يرسب ولا يرتفع وكان ذلك آية وعلامة.

ولعللة أخرى أغرق الله عز وجل فرعون وهي أنه استغاث بموسى لما أدركه الغرق، ولم يستغث بالله، فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى لم تغث فرعون؟ لأنك لم

(١) سورة المؤمن: آية ٨٤ - ٨٥.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٥٨.

سورة يونس: آية ٩٠ - ٩٢.

تخلقه ولو استغاث بي لأغثته).

غرق الدنيا أيام نوح:

روى عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله لأيّ علّة أغرق الله عزّ وجل الدنيا كلها في زمن نوح وفيهم الأطفال، وفيهم من لا ذنب له؟
قال عليه السلام: (ما كان فيهم الأطفال؛ لأنّ الله عزّ وجل أعمم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم، فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله عزّ وجل ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأما الباقون من قوم نوح فأغرقوا بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهدته وأتاه).

معجزة موسى:

قال ابن السكيت للإمام الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله عزّ وجل موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء آلة السحر، وبعث عيسى بالطب، وبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟
فقال عليه السلام: (إنّ الله تبارك وتعالى لمّا بعث موسى كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله عزّ وجل بما لم يكن عند القوم وفي وسعهم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات - وهي العلل والأمراض - احتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله عزّ وجل بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وأثبت به الحجّة عليهم وإنّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من كتاب الله عزّ وجل ومواعظه وأحكامه، ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم).

وبهر ابن السكيت وراح يقول: تالله ما رأيت مثلك اليوم قط فما الحجّة على الخلق اليوم؟
فقال عليه السلام: (العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه).
فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب...

أولو العزم:

قال عليه السلام: (إنما سُمِّيَ أولو العزم بأولي العزم لأنهم كانوا أصحاب الشرائع والعزائم؛ وذلك أن كل نبي بعد نوح وكل نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعته ومنهجه وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فهؤلاء الخمسة أولو العزم، فهم أفضل الأنبياء والرسل، وشريعة محمد صلى الله عليه وآله لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة، فمن ادعى بعده نبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب قدمه مباح لكل من سمع ذلك منه...).

الحواريون:

روى علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لم سُمِّيَ الحواريون الحواريين؟

قال عليه السلام: (إنما عند الناس فإنهم سُمُّوا حواريين لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز الحوار^(١). وأما عندنا فسُمِّيَ الحواريون الحواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير.

قال: فقلت له: فلم سُمِّيَ النصراني؟ قال: لأنهم من قرية اسمها (ناصر) من (بلاد الشام) نزلتها مريم وعيسى بعد رجوعهما من مصر).

إبراهيم خليل الله:

روي الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام أنه قال: إنما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليله؛ لأنه لم يرد أحداً، ولم يسأل أحداً قط غير الله عز وجل.

إسماعيل صادق الوعد:

روى سليمان الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: أتدري لم سمي إسماعيل صادق الوعد؟

قلت:

(١) الخبز الحوار هو الذي نخل مرة بعد مرة. وفي القاموس: إنه الدقيق الأبيض.

لا أدري فقال: وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره.
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن علل أحوال بعض الأنبياء والأمم السالفة التي أدلى بها الإمام عليه السلام.

علل بعض الشؤون الإسلامية:

وأثرت عن الإمام عليه السلام كوكبة من الأحاديث في تعليل بعض الشؤون الإسلامية وهي:

القرآن غض:

روى إبراهيم بن العباس عن الإمام الرضا عليه السلام أنه روى عن أبيه: أن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام فقال له: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلا غضاضة؟ فقال عليه السلام: لأن الله لم ينزله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة).
إنّ القرآن الكريم المعجزة الكبرى للإسلام؛ وذلك لما فيه من أحكام خلاقية تسامر الزمن وتسامر التطور، وليس فيها ما يشد عن سنن الكون ولا ما يخالف الفطرة، مضافاً لروعة فصاحته وعظيم بلاغته، فمهما تداولته الأيام فهو غض جديد.

علي قسيم الجنة والنار:

قال المأمون للرضا عليه السلام: يا أبا الحسن أخبرني عن جدك أمير المؤمنين بأي وجه هو قسيم الجنة والنار؟ وبأي معنى، فقد كثر فكري في ذلك؟

قال عليه السلام: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آباءه عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (حب علي إيمان وبغضه كفر) فقال: بلى.

فقال الرضا عليه السلام: (فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار).

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو الصلت الهروي: فلما انصرف الرضا إلى منزله أتته فقلت له: يا بن رسول الله

صلى الله عليه وآله ما أحسن ما أجبته به المأمون؟ فقال الرضا: (يا أبا الصلت إنما كلمته من حيث هو، ولقد سمعت

أبي يحدث عن آباءه عن علي

عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ: هَذَا لِي وَهَذَا لَكَ...).

الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو رمز لكل مكرمة في الإسلام، فهو قسيم الجنة والنار ليس في ذلك شك، وقد تواترت الأخبار بذلك عن النبي (ص) ^(١)، وقد علّل الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا التعليل الوثيق الذي أعجب به المأمون.

عدم إرجاع فذك:

روى علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سألته عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم لم يسترجع فذك لما ولي أمر الناس؟
قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَأَنَا أَهْلُ بَيْتِ إِذَا وَلِينَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْخُذُ لَنَا حَقُوقَنَا مِمَّنْ ظَلَمْنَا إِلَّا هُوَ، وَنَحْنُ أَوْلِيَاءُ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا نَحْكُمُ لَهُمْ وَنَأْخُذُ حَقُوقَهُمْ مِمَّنْ يَظْلِمُهُمْ وَلَا نَأْخُذُ لَأَنْفُسِنَا...).

استولى أبو بكر على فذك وأخذها من يد سيدة نساء العالمين والسبب في ذلك أن لا تقوى شوكة الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي حرب اقتصادية الغرض منها شل الحركة المعادية للحكم القائم، وقد ظلت فذك بأيدي الولاة والحاكمين، وقد استرجعت للسادة العلويين أيام عمر بن عبد العزيز وأيام المأمون، والحديث عنها ذو شجون، والحاكم هو الله تعالى يحكم بين عباده بالحق في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

صحابة النبي (ص):

روى محمد بن موسى بن نصر الرازي قال: حدثني أبي قال سئل الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول النبي (ص): (أَصْحَابِي كَالنَّجْمِ بِأَيْهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ) وعن قوله: (دَعَا لِي أَصْحَابِي)، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: هذا صحيح يريد مَنْ لَمْ يَغْيِرْ بَعْدَهُ وَلَمْ يَبْدُلْ قَيْلًا وَكَيْفًا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ غَيَّرُوا أَوْ بَدَلُوا؟ قال: لما يروونه من أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَذَادَنَّ ^(٢) بَرَجَالٍ مِنْ

(١) الصواعق المحرقة (ص ٧٥) وفي كنز العمال ٦ / ٤٠٢ قال علي: أنا قسيم النار. وفي كنوز الحقائق للمناوي (ص ٩٢) قال

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: علي قسيم النار.

(٢) ليذادن: أي ليطردن.

أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تزداد غرايب الإبل عن الماء فأقول: يا رب أصحابي أصحابي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: بعداً لهم وسحقاً^(١) افتري هذا لمن لم يغير ولم يبدل).

وليست الصحبة عاصمة عن الخطأ ففي الصحابة سمرة بن جندب وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وغيرهم من رؤوس النفاق والضلال.

انحراف الناس عن علي (ع):

روى علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال: سألت الإمام الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام كيف مال الناس عنه إلى غيره وقد عرفوا فضله وسابقته ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: (إنما مالوا عنه إلى غيره وقد عرفوا فضله؛ لأنه كان قتل من آبائهم وأجدادهم وإخوانهم وأعمامهم وأحوالهم وأقربائهم المحادين لله ولرسوله عدداً كثيراً، فكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم فلم يحبوا أن يتولى عليهم، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك؛ لأنه لم يكن له في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما كان له فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى سواه).

لقد وتر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الأقربين والأبعدين في ذات الله تعالى، وحصد رؤوس المشركين بسيفه الذي أقام به الإسلام، وقد أترعت نفوس القوم بالكراهية والبغض له فمالوا عنه وحكموا غيره.

سكوت الإمام عن أخذ حقه:

روى الهيثم بن عبد الله الرماني قال: سألت علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله أخبرني عن علي بن أبي طالب عليه السلام لم لم يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه

وآله)، ثم جاهد في أيام ولايته؟

(١) روى النجاري ٦ / ١١٩ ط الأميرية عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا فرطكم على الحوض وليرفعن معي رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وبهذا المضمون روايات كثيرة.

قال عليّ: (لأنّه اقتدى برسول الله ﷺ في تركه جهاد المشركين بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة تسعة أشهر؛ وذلك لقلّة أَعوانه عليهم، وكذلك عليّ ترك مجاهدة أعدائه لقلّة أَعوانه عليهم فلما لم تبطل نبوة رسول الله ﷺ مع تركه الجهاد ثلاث عشر سنة وتسعة أشهر فكذلك لم تعطل إمامة علي مع تركه الجهاد خمساً وعشرين سنة؛ إذ كانت العلة المانعة لهما واحدة).

إنّ الإمام أمير المؤمنين ترك حقّه ولم يجاهد أعداءه؛ وذلك لقلّة الناصر فقد قال عليّ: (وظفقت أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شحى...).

إنّ الإمام لم تكن له فئة ينصرونه، ولم يكن يأوي إلى ركن شديد مع كثرة أعدائه ومناوئيه، فصبر سلام الله عليه وترك حقّه إيثاراً للمصلحة العامة، وحفظاً على كلمة المسلمين.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن علل بعض الشؤون الإسلامية التي أدلى بها الإمام عليّ.

جوامع الكلم

وأثرت عن الإمام الرضا عليه السلام جمهرة من غرر الحكم والآداب والوصايا والنصائح وغيرها مما ينفع الناس، وقد دلت على أنه كان المرئي الأكبر للعالم الإسلامي في عصره، وأنه قد جهد على تهذيب المسلمين وتربيتهم بلباب الحكمة، ونلمح لبعض ما أثر عنه:

فضل العقل:

أمّا العقل فهو أفضل نعمة أنعمها الله به على الإنسان وميّزه به عن الحيوان السائم، وقد تحدث الإمام الرضا عليه السلام عنه في بعض أحاديثه وهي:

أ - قال عليه السلام: (صديق كل امرئ عقله، وعدوّ جهله) ^(١).

ما أروع هذه الكلمة الحكيمة فإنّ العقل هو الصديق الأكبر للإنسان الذي يحميه ويصونه وينقذه من محن الدنيا وخطوبها، وعدو الإنسان الأكبر هو الجهل الذي يلقي به في متاهات سحيقة من هذه الحياة.

(١) أصول الكافي ١ / ١١، وسائل الشيعة ١١ / ١٦١.

ب - روى أبو هاشم الجعفري قال: كُنَّا عند الرضا عليه السلام فتذاكرنا العقل والأدب فقال عليه السلام:
(يا أبا هاشم العقل حياء من الله والأدب كلفة، فمن تكلف الأدب قدر عليه، ومن تكلف العقل لم
يزدد بذلك إلا جهلاً) ^(١).

أما الأدب فهو أمر مكتسب يقدر على تحصيله الإنسان، وأما العقل فإنه هبة ومنحة من الله تعالى لا
يتمكّن الإنسان من كسبه.

ج - روى الحسن بن الجهم قال ذكر العقل عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال:
(لا يعبأ بأهل الدين ممن لا عقل له...) قلت له: جعلت فداك إنَّ ممن يصف هذا الأمر قوما لا بأس
بهم عندنا وليست لهم تلك العقول، فقال: (ليس هؤلاء ممن خاطب الله، إنَّ الله خلق العقل فقال له
اقبل فأقبل وقال له: ادبر فأدبر فقال: وعزّي وجلالي ما خلقت شيئاً أحسن منك أو أحب إليّ منك بك
أخذ وبك أعطي...) ^(٢).

إنَّه ليس هناك شيء خلقه الله أفضل من العقل، وعليه يرتكز التكليف، فالذي فقد عقله غير مكلف
وغير مأثوم بما يقتضيه من أنواع المحرّمات، فالعقل هو أحد الشروط في صحّة التكليف ونفوذته على
المكلف.

د - قال عليه السلام: (أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه) ^(٣).
إن الإنسان إذا عرف نفسه كيف صوّرت، وكيف تنتهي، فقد ظفر بالخير العميم، فإنّ ذلك يبعده
عن النزعات الشريرة، ويبعثه نحو النزعات الخيرة كما يدل ذلك على معرفة خالقه العظيم، وفي الحديث:
(من عرف نفسه فقد عرف ربه).

التفكر في أمر الله:

قال عليه السلام: (ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم إنّما العبادة كثرة التفكر في أمر الله عزّ وجل) ^(٤).

(١) أصول الكافي ١ / ٢٣.

(٢) أصول الكافي ١ / ١١.

(٣) أعيان الشيعة ٤ / ٢ ق ١٩٦.

(٤) الميزان ٨ / ٣٦٩، وسائل الشيعة ١١ / ١٥٣.

إنّ التفكير في مخلوقات الله، والتأمل في بدائع خلقه، والنظر فيما يحتويه هذا الكون من الأسرار والعجائب يدلّل ذلك - بصورة واضحة - على الخالق العظيم، وإذا عرف الإنسان ربّه فقد نجا من اقتراف الشر وارتكاب الجريمة، وصار مصدر عطاء وخير لنفسه ومجتمعته.

محاسبة النفس:

قال عائِلَة: (مَن حاسب نفسه ربح، ومَن غفل عنها خس) ^(١).

إنّ محاسبة الإنسان لنفسه فيما يعمله من حسنات وسيئات، فيردعها عن اقتراف السيئات، وينمي فيها الخيرات دليل على سمو النفس والظفر بالريح والخير، ومَن غفل عن محاسبة نفسه فإنّها تمبسط به إلى مستوى سحيق من الشر ماله من قرار.

الحلم:

قال عائِلَة: (لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً) الحديث ^(٢).

إنّ الحلم من أفضل النزعات الكريمة التي يتصف بها الإنسان، فالحلم عن المسيء، والصفح عن المعتدي عليه من سمو النفس وبلوغها أرقى درجات الكمال، وإنّ الإنسان بالحلم يسود غيره ويكون لمجتمعته رائد خير ودليل هدى.

الصمت:

قال عائِلَة: (من علامات الفقه - أي المعرفة - الحلم والعلم، والصمت: إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنّ الصمت يكسب المحبّة، إنّه دليل على كل خير) ^(٣).

إنّ الصمت وحفظ اللسان يقيان الإنسان من شر عظيم، ويجنبه المكاره التي هي وليدة الكلام والنطق.

التواضع:

قال عائِلَة: (التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تُعطاه).

(١) أصول الكافي ٢ / ١١١.

(٢) أصول الكافي ٢ / ١١٣.

(٣) أصول الكافي ٢ / ١٢٤.

وقال عليه السلام فيما كتبه لمحمد بن سنان: (التواضع درجات، منها: أن يعرف المرء قدر نفسه فينزها منزلتها بقلب سليم لا يجب أن يأتي لأحد إلاّ مثل ما يؤتي إليه إن أتى إليه بسيعة درأها^(١) بالحسنة، كاظم الغيظ، عافٍ عن الناس، والله يحب المحسنين)^(٢).

إنّ حقيقة التواضع أن يعطي الإنسان للناس من التكريم والإحسان والبر مثل ما يجب ويتمنى أن يعطى لنفسه.

إنّ التواضع دليل على شرف النفس وسموّها، ومَن تواضع للناس أحبوه وأكرموه، وأحبّه الله ورفعاه.

الخصال الكريمة في المؤمن:

قال عليه السلام: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه، فأما السنّة من ربّه: فكنمان سرّه، قال الله عزّ وجل: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ)، وأما السنّة من نبيّه فمداراة الناس فإنّ الله عزّ وجل أمر نبيّه بمداراة الناس فقال: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) وأما السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضراء)^(٣).

يا لها من خصال كريمة ترفع مستوى الإنسان إلى قمة الشرف والكمال، وتجنّبه من الوقوع في المهالك.

أحسن الناس وأسوأ الناس:

قال علي بن شعيب^(٤) دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي:

- يا علي من أحسن الناس معاشاً؟

- يا سيدي أنت أعلم به منّي.

- يا علي من حسن معاش غيره في معاشه.

- يا علي من أسوأ الناس معاشاً؟

(١) درأها: أي دفعها.

(٢) الدر العظيم ورقة ٢١٦.

(٣) وسائل الشيعة ١١ / ٢٤١.

(٤) قال صاحب تنقيح المقال: لم أقف على علي بن شعيب بهذا العنوان في كتب الرجال وإنما وقفت على

علي بن أبي شعيب المدائني وإن له كتاباً صغيراً والظاهر كونه امامياً.

- يا سيدي أنت أعلم به مَيّ.

- مَنْ لم يعيش بخيره في معاشه.

وجعل الإمام عليّ يوصيه بفعل الخير والإحسان إلى الناس قائلاً:

(يا علي أحسنوا حوار النعم فإنّها وحشية ما نأت عن قوم فعادت إليهم. يا علي إنّ شر الناس مَنْ منع رفته وأكل وحده وجلد عبده^(١)).

وحتوت هذه الكلمات الدعوة إلى فعل الخير والإحسان إلى الناس والبر بهم.

الإيمان والإسلام:

قال عليّ: (الإيمان فوق الإسلام بدرجة والتقوى فوق الإيمان بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقل من التقوى)^(٢).

إنّ اليقين بالله من أقوى درجات الإيمان، وهو من صفات المتقين العظام الذين عزّ وجل امتحن الله قلوبهم للإيمان.

العجب المفسد للعمل:

سأل أحمد بن نجم الإمام الرضا عليّ عن العجب المفسد للعمل؟

فقال عليّ:

(العجب درجات: منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً ويحسب أنّه يحسن صنعاً. ومنها أن يؤمن العبد فيمن على الله، والله المنّة عليه فيه)^(٣).

إنّ العجب بالمعنى الثاني ناشئ عن فقدان الإيمان وعدم نضوج الفكر وهو المفسد للعمل.

الذنوب:

قال عليّ: (كلّمًا أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)^(٤).

لقد أحدث الناس ألواناً رهيبية من المعاصي والذنوب ما لم تكن معلومة

(١) البحار ٧٨ / ٣٤١.

(٢) مواهب الرحمن ١ / ٦٤.

(٣) البحار ٧٨ / ٣٣٥.

(٤) وسائل الشيعة ١١ / ٢٤٠.

ومعروفة من قبل فصب الله عليهم أنواعا من المحن والبلاء ولم يعرفونها من قبل.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال عليه السلام: (لتأمرنّ بالمعروف ولتنهينّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم!)^(١).

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهج أصيل في الحياة الإسلامية، وإنّ إهماله له مضاعفاته السيئة التي منها: إشاعة المنكرات، وعدم استجابة دعاء الأخيار.

مَنْ أَحَبَّ عَاصِيًا:

قال عليه السلام: (مَنْ أَحَبَّ عَاصِيًا فَهُوَ عَاصٍ، وَمَنْ أَحَبَّ مَطِيعًا فَهُوَ مَطِيعٌ، وَمَنْ أَعَانَ ظَالِمًا فَهُوَ ظَالِمٌ، وَمَنْ خَذَلَ ظَالِمًا فَهُوَ عَادِلٌ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، وَلَا تَنَالُ وَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ)^(٢).
إنّ مَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ حَشَرَ فِي زَمْرَتِهِمْ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، فَمَنْ أَحَبَّ الْعَاصِيَّ كَانَ عَاصِيًا وَمَنْ أَحَبَّ الْمَطِيعَ كَانَ مَطِيعًا.

خيار الناس:

سئل الإمام عليه السلام عن خيار العباد فقال عليه السلام: (الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا)^(٣).
حقاً إنّ مَنْ يتصف بهذه الصفات الكريمة فهو من أفضل الناس، ومن خيارهم، وإنّهُ قد بلغ قَمَّةَ الكمال والفضل.

شرف العمل:

قال عليه السلام: (إنّ الذي يطلب من فضله يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله)^(٤).

(١) وسائل الشيعة ١١ / ٣٩٤.

(٢) وسائل الشيعة ١١ / ٤٤٦.

(٣) تحف العقول: (ص ٤٤٥).

(٤) تحف العقول: (ص ٤٤٥).

إنَّ العمل لإعاشة العيال جهاد في سبيل الله، وشرف يكتسبه العامل، ومجد يفخر به.

تمامية العقل:

قال **عائشة**: (لا يتم عقل امرئ مسلم حتى يكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يمل من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه، والحمول أشهى إليه من الشهرة).

ثم قال **عائشة**: العاشرة وما العاشرة؟ قيل له: ما هي؟

قال **عائشة**: (لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان: رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى قال: لعلَّ خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شر لي، وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد أهل زمانه) ^(١).

حقاً إنَّ من يتصف بهذه الصفات العشر فقد كمل إيمانه، وكمل عقله، وكان على اتصال وثيق بالله تعالى؛ فيعزّه ويعلي ذكره في الدنيا ويمنحه الدرجات العليا يوم القيامة.

حقيقة التوكّل على الله:

سأله رجل عن قول الله تعالى: **(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)** ^(٢) فقال **عائشة**: (التوكّل درجات: منها أن تثق به في أمرك كلّه فيما فعل بك فما فعل بك كنت راضياً وتعلم أنّه لم يألك إلا خيراً ونظراً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له فتوكّل عليه بتفويض ذلك إليه، ومن ذلك الإيمان بغيوب الله التي لم يحط علمك بما فوّكّلت علمها إليه والى أمنائه عليها ووثقت به فيها وفي غيرها) ^(٣).

(١) تحف العقول: (ص ٤٤٣)

(٢) سورة الطلاق: آية ٣.

(٣) تحف العقول: (ص ٤٤٣).

وأعطى الإمام عليه السلام صورة واضحة عن حقيقة التوكّل على الله تعالى، وهو أن يفوّض الإنسان أموره كلها إليه تعالى، فإنّ ذلك هو محض الإيمان واليقين بالله.

أركان الإيمان:

قال عليه السلام: (الإيمان أربعة أركان: التوكّل على الله، والرضى بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله قال العبد الصالح: ^(١) (وَأُقَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكْرُوهًا) ^(٢)).

إنّ الإيمان بالله يقوم على هذه الأركان الأربعة فإذا اتصف بها الشخص فقد بلغ ذروة الإيمان ومنتهاه.

خصال كريمة:

قال عليه السلام: (خمسة من تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم تعرف الوثاقة في أرومته، والكرم في طباعه، والرضى في خلقه، والنبيل في نفسه، والمخالفة لربه) ^(٣).
إنّ من اتصف بهذه الصفات الكريمة قد حاز قصب السبق في الشرف والمروءة، وهو الذي يرجى رفده وكرمه.

شكر النعم:

قال عليه السلام: (من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجل) ^(٤).
إنّ شكر المنعم واجب فمن لم يشكره وتنكّر له فإنه لا يشكر الله عزّ وجل على نعمه وألطافه التي أسداها إليه.

وصايا ونصائحه:

وأدلى الإمام عليه السلام ببعض الوصايا والنصائح لخواص شيعته، كان منها ما يلي:

(١) العبد الصالح: هو مؤمن آل فرعون.

(٢) تحف العقول: (ص ٤٤٥).

(٣) تحف العقول: (ص ٤٤٦).

(٤) وسائل الشيعة: ١١ / ٥٤٢.

أ - وصيته لأحمد:

وأوصى الإمام عليه السلام أحمد بن محمد بن أبي نصر بوصية جاء فيها: (لا تمل الدعاء فإنه من الله بمكان، وعليك بالصبر وطلب الحلال وصله الرحم، وإياك ومكاشفة الناس فإننا أهل بيت نصل من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة)^(١).
لقد أوصاه بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال التي يسمو بها الإنسان.

ب - وصيته لإبراهيم:

وأوصى الإمام عليه السلام إبراهيم بن أبي محمود بوصية جاء فيها: (أخبرني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس. إلى أن قال: يا بن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقتنا فارقتنا، فإن أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة)^(٢).

وحفلت هذه الوصية بلزوم اتباع أهل البيت عليهم السلام والاقتران بنهجهم والاهتداء بسيرتهم؛ فإن ذلك النجاة، والأمن من الهلاك، والفوز برضوان الله تعالى.

ج - نصيحته لأحمد والحسين:

قال أحمد بن عمر والحسين بن يزيد: دخلنا على الرضا عليه السلام فقلنا له: إننا كنا في سعة من الرزق ونضارة من العيش فتغيّرت الحال بعض التغيّر فادع الله أن يرد ذلك إلينا.
فأجابهما الإمام بلزوم القناعة والرضى بما قسم الله لهما قائلاً:

(١) وسائل الشيعة ٤ / ١١٢٩.

(٢) وسائل الشيعة ١٨ / ٩٢.

(أي شيء تريدون أن تكونوا ملوكاً؟ أيسركم أن تكونوا مثل طاهر^(١) وهرثمة^(٢) وأتكم على خلاف ما أنتم عليه؟).

فانبرى أحدهما قائلاً:

لا والله ما سرّني أنّ لي الدنيا بما فيها ذهباً وفضة وإني على خلاف ما أنا عليه - يعني منحرفاً عن أهل البيت - .

فقال عليه السلام: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلًا مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ)^(٣).

أحسن الظن بالله، فإنّ من حسن ظنّه بالله كان الله عند ظنّه، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤنته ونعم أهله وبصره الله داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام)^(٤).

لقد أوصاهما الإمام عليه السلام بالقناعة التي هي كنز لا يفنى، وعرفهما أنّهما يملكان ما هو أثمن وأغلى من الذهب والفضة، وهو الولاء لأهل البيت عليهم السلام الذي هو من أعظم نعم الله على عباده المخلصين.

د - المساواة بين الغني والفقير:

وأوصى الإمام أصحابه بالمساواة بين الغني والفقير بالسلام، فقد قال: (مَنْ لَقِيَ فَقِيرًا مُسْلِمًا فَسَلِّمْ عَلَيْهِ خِلافَ سَلامِهِ عَلَى الْغَنِيِّ؛ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضِيبَانِ)^(٥).

ومثلت هذه الوصية الأخلاق العظيمة عند أهل البيت عليهم السلام الذين خلقهم الله رحمة لعباده، فقد ألزموا شيعتهم بالمساواة بين أبناء المسلمين حتى بالسلام وكرهوا التمايز بينهم.

(١) طاهر هو أبو الطيب الملقب بذي اليمينين لأنه ضرب شخصاً بيساره ففقد نصفين وفيه يقول بعض الشعراء: (كلنا يديك يمين حين تضربه) كان والياً على خراسان من قبل المأمون وهو الذي أطاع بحكومة الأمين وقتله وأقام المأمون مكانه وكان شيعياً من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) هرثمة بن أعين كان من قادة المأمون ومن أصحاب الإمام الرضا وخواصه.

(٣) سورة سبأ: آية ١٢.

(٤) تحف العقول (ص ٤٤٨).

(٥) وسائل الشيعة ٨ / ٤٤٢.

هـ - التبتسم في وجه المؤمن:

وأوصى الإمام أصحابه بالتبتسم في وجه المؤمن وعدم مقابله بالغيظ قال
عليه السلام: (من تبتسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة ومن كتب الله له حسنة لم يعدّبه) (١).
هذه هي معالي الأخلاق التي كان الأئمة عليهم السلام يوصون بها أصحابهم ليكونوا قدوة حسنة إلى الناس.

و - وصية عامة:

وأوصى الإمام عليه السلام أصحابه وسائر الناس بهذه الوصية القيّمة: (اتقوا الله أيّها الناس في نعم الله عليكم فلا تنفروها عنكم بمعاصيه، واعلموا أنّكم لا تشكرون الله بشيء، بعد الإيمان بالله ورسوله وبعد الاعتراف بحق أولياء الله من آل محمد ﷺ، أحبّ من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لكم إلى جنان ربّهم؛ فإنّ من فعل ذلك كان من خاصة الله) (٢).
لقد حفلت هذه الوصية بالحث على: تقوى الله تعالى، ومعونة الإخوان، وإسداء المعروف إليهم.

صلة الأرحام:

وأثرت عن الإمام الرضا عليه السلام كوكبة من الأحاديث في حث أصحابه وشيعته على صلة الأرحام كان منها ما يلي:

أ - قال عليه السلام: (يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث ستين: فيصيرها الله ثلاثين سنة ويفعل الله ما يشاء) (٣).

ب - قال عليه السلام: (ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم حتى أنّ الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم

(١) وسائل الشيعة ٨ / ٤٨٣.

(٢) الدر النظيم ورقة ٢١٥.

(٣) وسائل الشيعة ١٥ / ٢٤٣.

فينقصه الله ثلاثين سنة، ويجعل آجله إلى ثلاث سنين^(١).

ج - قال عليّ: قال أبو عبد الله عليه السلام: (صل رحمك ولو بشرية ماء، وأفضل ما توصل به الرحم كفت الأذى عنها، وصله الرحم منسأة في الأجل، محبة في الأهل)^(٢).

إنّ خير وسيلة لترايط المجتمع وتضامنه هو البر بالأرحام والإحسان إليهم فإنّ ذلك يوحد ما بين عواطفهم ومشاعرهم؛ وبذلك تتكوّن الخلايا الصالحة التي ينشأ منها المجتمع.

من حكم بعض الأنبياء:

روى الإمام الرضا عليه السلام بعض الحكم القيمة التي أدلى بها بعض الأنبياء عليهم السلام، وفيما يلي بعضها:

مناجاة موسى:

قال عليّ: (إنّ موسى بن عمران لمّا ناجى ربّه قال: يا ربّ أبعيد أنت منّي فأناديك أم قريب فأناجيك؟ فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني، قال موسى: إنّي أكون في حالٍ أجل أن أدرك فيها قال يا موسى اذكرني على كل حال)^(٣).

في صحف إبراهيم:

قال عليّ: (في صحف إبراهيم: أتتها الملك المغرور إنّي لم أبعثك لتبني البناء، ولا لتجمع الدنيا، ولكن بعثتك لترد عني المظلوم فإنّي لا أردّها ولو كانت من كافر)^(٤).

عيسى مع الحواريين:

قال عليّ: (قال عيسى للحواريين: يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا

(١) وسائل الشيعة ١٥ / ٢٤٥.

(٢) أصول الكافي ٢ / ١٥١.

(٣) الفصول المهمة (ص ٢٢٤)، وسائل الشيعة ١ / .

(٤) تاريخ يعقوبي.

دنياهم) ^(١).

وقد أخصنا في البحوث السابقة إلى بعض ما أثار عن الإمام عليّ من أحوال الأنبياء، وقد حفلت ببعض ما أدلوا به من الكلمات الحكيمة.

وعظ وإرشاد:

ونقل الرواة والمؤرخون طائفة من كلام الإمام وشعره في الوعظ، والإرشاد كان منها ما يلي:

١ - قال محمد بن عبيدة: دخلت على الرضا عليّ فبعث إلى صالح بن سعيد فوعظنا جميعاً، وكان من وعظه أنه قال:

(قال أبو جعفر - يعني الإمام محمد الباقر عليّ - كن خيراً لا شرّ معه، كن ورقاً لا شوك معه، ولا تكن شوكاً لا ورق معه، وشرّاً لا خير معه).

ثم قال: (إنّ الله يبغض القليل والقال، وإيضاع المال وكثرة السؤال).

ثم قال: (إنّ بني إسرائيل شدّدوا فشّدّ الله عليهم قال لهم موسى: اذبحوا بقرة، قالوا: ما لوئها؟ فلم يزالوا يشدّدون حتى ذبحوا بقرة بملء جلدتها ذهباً).

ثم قال: (إنّ علي بن أبي طالب عليّ قال: إنّ الحكماء ضيّعوا الحكمة لما وضعوها عند غير أهلها) ^(٢).

٢ - كتب المأمون إلى الإمام يطلب منه أن يعظه فكتب إليه هذه الأبيات:

إتّك في دنيا لها مدّة	يقبل فيها عمل العاملي
أما ترى الموت محيطاً بها	يسلب فيها أمل الآملي
تعجّل الذنب بما تشتهي	وتأمل التوبة من قابلي
والموت يأتي أهله بغتةً	ما ذاك فعل الحازم العاقل ^(٣)

(١) أصول الكافي ٢ / ١٣٧.

(٢) البحار ٧٢ / ٣٤٥.

(٣) أعيان الشيعة: ٤ / ق ٢ / ١٩٩، نقلاً عن الاختصاص.

٣ - ومما نظمته في الوعظ هذه الأبيات:

كلنا يأمل مدداً في الأجل والمنايا هنّ آفات الأمل
لا تغرّزك أباطيل المني والزم القصد ودع عنك العلل
إنّما الدنيا كظلّ زائلٍ حلّ فيه راكبٌ ثمّ ارتحل^(١)

٤ - قيل له: كيف أصبحت؟ فقال عليه السلام: (أصبحت بأجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابنا، والنار من ورائنا، ولا ندري ما يفعل بنا!)^(٢).

٥ - قال ياسر الخادم: سمعت علياً الرضا بن موسى عليه السلام يقول: (أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع: يوم ولد إلى الدنيا ويخرج المولود من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا. وقد سلّم الله تعالى على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا). وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)^(٣).

٦ - شكّا إليه رجل أخاه فأنشأ عليه السلام يقول:

أعذر أخاك على ذنوبه واستر وغطّ على عيوبه
واصبر على بهت السفية وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضّلاً وكل الظلوم إلى حبيبه^(٤)

٧ - وأنشد النوفلي للإمام عليه السلام هذه الأبيات:

رأيت الشيب مكرهاً وفيه وقار لا تليق به الذنوب
إذا ركب الذنوب أخو مشيبٍ فما أحد يقول: متى يتوب
سأصحبه بتقوى الله حتى يفرّق بيننا الأجل القريب^(٥)

(١) عيون التواريخ ٣ / ٢٢٧ مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل ٢٧٦٩، البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٠.

(٢) تحف العقول (ص ٤٤٦).

(٣) نور الأبصار (ص ١٤٠).

(٤) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ١٩٨.

(٥) عيون التواريخ ٣ / ٢٢٧.

كلماته القصار:

- وأثرت عن الإمام الرضا كوكبة من الكلمات القصار حفلت بروائع الحكم والآداب، كان منها ما يلي:
- ١ - قال عليه السلام: (إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً ونشاطاً وفتوراً، فإذا أقبلت بصرت وفهمت وإذا أدبرت كلَّت وملَّت؛ فخذوها عند إقبالها ونشاطها، وتركوها عند إدبارها وفتورها) ^(١).
 - ٢ - قال عليه السلام: (اصحب السلطان بالحدز، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحرز، والعامة بالبشر) ^(٢).
 - ٣ - قال عليه السلام: (الأجل آفة الأمل، والبر غنيمة الحازم، والتفريط مصيبة ذي القدرة، والبخل يمزق العرض، والحب داعي المكاره وتحقيق أمل الأمل، وتصديق مخيلة الراجي، والاستكثار من الأصدقاء في الحياة والباكين بعد الوفاة) ^(٣).
 - ٤ - قال عليه السلام: (إنَّما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن متعظ فأتما صاحب سوط وسيف فلا) ^(٤).
 - ٥ - قال عليه السلام: (من تعرَّض لسطانٍ جائرٍ فأصابته منه بليَّة لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر فيها) ^(٥).
 - ٦ - قال عليه السلام: (ما التقت فتتان قط إلاَّ نصر الله أعظمهما عفواً) ^(٦).
 - ٧ - قال عليه السلام: (إنَّ مشي الرجال مع الرجل فتنه للمتبع ومذلَّة للتابع) ^(٧).
 - ٨ - قال عليه السلام: (صاحب النعمة يجب أن يوسَّع على عياله) ^(٨).

(١) أعيان الشيعة.

(٢) أعيان الشيعة.

(٣) أعيان الشيعة.

(٤) تأريخ يعقوبي ٣ / ١٨١.

(٥) تأريخ يعقوبي ٣ / ١٨١.

(٦) تأريخ يعقوبي ٣ / ١٨١.

(٧) تأريخ يعقوبي ٣ / ١٨١.

(٨) بحار الأنوار ٧٨ / ٣٣٥.

- ٩ - قال عائشة: (التودد إلى الناس نصف العقل) ^(١).
- ١٠ - قال عائشة: (الأخ الأكبر بمنزلة الأب) ^(٢).
- ١١ - قال عائشة: (من أخلاق الأنبياء التنظف) ^(٣).
- ١٢ - قال عائشة: (لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن) ^(٤).
- ١٣ - قال عائشة: (ما من شيء من الفضول إلا ويحتاج إلى فضول من الكلام) ^(٥).
- ١٤ - قال عائشة: (إن الله يبغض القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال) ^(٦).
- ١٥ - سئل الإمام عائشة عن السفلة؟ فقال: (من كان له شيء يلهيه عن الله) ^(٧).
- ١٦ - قال عائشة: (من السنة إطعام الطعام عند الترويح) ^(٨).
- ١٧ - قال عائشة: (السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه) ^(٩).
- ١٨ - قال عائشة: (إننا أهل بيت نرى وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله ﷺ) ^(١٠).
- ١٩ - قال عائشة: (يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعة منها في اعتزال الناس وواحد في الصمت) ^(١١).
- ٢٠ - قال عائشة: (عونك للضعيف أفضل من الصدقة) ^(١٢).
- ٢١ - قال عائشة لأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري: (يا داود إن لنا عليكم حقاً برسول ﷺ وإن لكم علينا حقاً فمن عرف حقنا وجب حقه، ومن لم يعرف حقنا فلا حق له) ^(١٣).
- ٢٢ - قال عائشة: (ليس لبخيل راحة، ولا لحسود لذة، ولا للملوك وفاء، ولا لكذوب مروءة) ^(١٤).
- ٢٣ - قال عائشة: (إذا ذكرت الرجل وهو حاضر فكته، وإذا كان غائباً فسمه) ^(١٥).

(٢) بحار الأنوار ٧٨ / ٣٣٥.

(٤) بحار الأنوار ٧٨ / ٣٣٥.

(٦) بحار الأنوار ٧٨ / ٣٣٥.

(٨) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(١٠) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(١٢) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(١٤) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(١) بحار الأنوار ٧٨ / ٣٣٥.

(٣) بحار الأنوار ٧٨ / ٣٣٥.

(٥) بحار الأنوار ٧٨ / ٣٣٥.

(٧) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(٩) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(١١) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(١٣) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

(١٥) تحف العقول (ص ٤٤٦ - ٤٥٠).

٢٤ - قال عليّ: (المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، ملعون ملعون من اتهم أخاه، ملعون ملعون من غشّ أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه) (١).

٢٥ - قال عليّ: (من استفاد أحاً في الله استفاد بيتاً في الجنة) (٢).

٢٦ - قال عليّ: (المؤمن الذي إذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر، والمسلم الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده، وليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه) (٣).

٢٧ - قال له رجل: سل لي رتك التقية الحسنة والمعرفة بحقوق الإخوان والعمل بما أعرف من ذلك؛ فقال الرضا عليّ: (قد أعطاك الله ذلك، لقد سألت أفضل شعار الصالحين ودثارهم) (٤).

٢٨ - قال عليّ: (لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضرّه عليك أكثر من نفعه لهم) (٥).

٢٩ - قال عليّ: (من فرج عن مؤمن فرج الله عنه يوم القيامة) (٦).

٣٠ - قال عليّ: (لا يجتمع المال إلا بخصال خمس: ببخلٍ شديد، وأملٍ طويل، وحرصٍ غالب، وقطيعةٍ لرحم، وإيثار الدنيا على الآخرة) (٧).

٣١ - قال عليّ: (إنّ الإنسان إذا ادخر طعام سنته خفّ ظهره واستراح) (٨).

(١) وسائل الشيعة ٨ / ٥٦٣.

(٢) وسائل الشيعة ٨ / ٥٦٥.

(٣) وسائل الشيعة ٨ / ٤٨٨.

(٤) وسائل الشيعة ١١ / ٤٧٤.

(٥) وسائل الشيعة ١١ / ٥٤٤.

(٦) وسائل الشيعة ١٢ / ٥٨٧.

(٧) وسائل الشيعة ١٢ / ١٩.

(٨) وسائل الشيعة ٢ / ٣٢٠.

- ٣٢ - قال عليه السلام: (مَن كثرت محاسنة مدح بها واستغنى عن التمدح بذكرها).
- ٣٣ - قال عليه السلام: (مَن طلب الأمر من وجهه لم يزل وإن زال لم تحذله الحيلة).
- ٣٤ - قال عليه السلام: (كفاك مَن يريد نصحك بالنميمة ما يجد في نفسه من سوء الحساب في العاقبة).
- ٣٥ - قال عليه السلام: (المسكنة مفتاح البؤس).
- ٣٦ - قال عليه السلام: (مَن لم يتابع رأيك في صلاحه فلا تصغ إلى رأيه).
- ٣٧ - قال عليه السلام للحسن بن سهل في تعزيتة: (التهنئة بأجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة).
- ٣٨ - قال عليه السلام: (إنّ البراءة من أبي موسى الأشعري من محض الإسلام، وإنّه من كلاب أهل النار).
- ٣٩ - قال عليه السلام: (الغوغاء قتلة الأنبياء).
- ٤٠ - قال عليه السلام: (الصغائر من الذنوب طرق إلى الكبائر).
- ٤١ - قال عليه السلام: (مَن لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير).
- وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض ما أثر عنه من روائع الحكم والآداب.

أصحابه ورواة حديثه

وكان الإمام الرضا عليه السلام - في عصره - عملاق الفكر الإسلامي وأعلم إنسان على وجه الأرض - كما يقول المأمون - وقد أمدّ العالم الإسلامي بجميع مقومات الارتقاء والنهوض، وقد اتخذ الجامع النبوي - زاده الله شرفاً - معهداً لدروسه ومحاضراته، وقد احتفّت به العلماء والرواة وطلبة الفقه وهو ابن نيف وعشرين عاماً^(١) وهم يسجلون فتواه وما يدلي به من روائع الحكم وفنون الآداب.

ووجد العلماء في أحاديثه امتداداً ذاتياً لأحاديث جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الملهم الأول لقضايا الفكر والعلم في الأرض، وامتداداً مشرقاً لأبائه الأئمة الطاهرين رواد النهضة العلمية والحضارية في دنيا الإسلام، ويقول الرواة: إنّه ليس في الأرض سبعة أشراف كتب عنهم الحديث عند الخاص والعام إلاّ علي بن موسى عليه السلام^(٢).

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) البحار ١٢ / ٢٩.

ويبلغ من اهتمام العلماء بأحاديثه أنّه حينما اجتاز في نيسابور ازدحموا عليه، وقد بلغ عددهم ما ينيف على عشرين ألفاً، وهم يحملون المخابر، وطلبوا منه أن يتحفهم بحديث عن جدّه رسول الله ﷺ فروى لهم الحديث - الذي سُمّي بالحديث الذهبي - كما سنذكره، ونظراً لأهميته فقد كتبه بعض أمراء السامانية بالذهب وأوصى أن يدفن معه (١).

وقد حظي بالرواية عنه بعض تلامذة جدّه الإمام الصادق عليه السلام، وبعض تلامذة أبيه الإمام موسى عليه السلام (٢)، كما روى عنه جمهرة من العلماء المعاصرين له، ونعرض إلى تراجم أصحابه ورواة حديثه؛ لأن ذلك - فيما نحسب - من متممات البحث عن شخصيته؛ لأنّه يكشف عن جانب مهم من حياته العلمية.

(١)

إبراهيم بن العباس:

ابن محمد الصولي الشاعر الملهم الكبير يكنى أبا إسحاق، من ألمع شعراء عصره ومن أكثرهم ولاءً ومحبةً لائمة أهل البيت عليهم السلام اتصل بالإمام الرضا عليه السلام اتصالاً وثيقاً، وكان إبراهيم يكنّ في نفسه أعمق الود وخالصة للإمام عليه السلام، ونعرض إلى بعض الجوانب من حياته.

وفادته على الإمام:

وفد إبراهيم مع شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي على الإمام الرضا عليه السلام حينما بايع له المأمون بولاية العهد، وقد أنشده دعبل قصيدته الخالدة التي تُعدّ من محاسن الشعر العربي، وسنذكرها في ترجمته، وانبرى من بعده إبراهيم فأنشده قصيدته التي لم يعرف منها غير هذا البيت:

أزالت عزاء القلب بعد التجلّدِ مصارع أولاد النبي محمّدِ

ويحكي هذا البيت توجّع الصولي وأساها على ما حلّ بأهل بيت النبوة من عظيم المحن والخطوب التي صبّها عليهم أعداء الإسلام، وفيما أحسب أنّ القصيدة كلها بهذه الجودة والمتانة والتفجّع على مصائب أهل البيت، ولمّا فرغ من إنشادها وهب الإمام لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه الشريف، أمّا دعبل

(١) أخبار الدول (ص ١١٥).

(٢) رجال البرقي (ص ٥٣).

فصار بجائزته إلى قم المقدّسة فاشتري أهلها كل درهم بعشرة فباع حصّته بمائة ألف درهم، وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها حتى مات (١).

ومن شعره في مدح الإمام الرضا عليه السلام هذه الأبيات:

كفى بفعال امرئٍ عالمٍ على أهله عادلاً شاهداً (٢)
 أرى لهم طرفاً مونقياً ولا يشبهه الطارف الثالث (٣)
 يمن عليكم بأموالكم وتعطون من مائة واحداً (٤)
 فلا حمد الله مستنصراً يكون لأعدائكم حامداً
 فضلت قسيمك في قعدٍ كما فضل الوالد الوالداً (٥)

وحكت هذه الأبيات عميق إيمانه بأهل البيت، وولائه لهم، وقد كتّى عنهم خوفاً من السلطة العاتية التي كانت تأخذ بالظن والتهمة لكل من وإلى عترة رسول الله صلى الله عليه وآله.

نماذج من شعره:

ويعتبر شعر الصوفي من روائع الشعر العربي، ومن مختار شعره قوله:

دنت بأناس عن ثناء زيادة وشطّ بليلى عن دنو مزارها
 وإنّ مقيمات بمنعرج اللوى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها (٦)
 وله:

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها مخرج
 ضاقت فلمّا استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنّها لا تُفرج (٧)

(١) أمالي المرتضى ١ / ٤٨٥، وجاء في أعيان الشيعة ٦ / ١٦ أنّ الأبيات التي قالها إبراهيم كتبت على ظهر دفتر، وعليها توقيع (متوقّ خائف)، وإنّه كان يكتّي عن الإمام في مدحه له.

(٢) يقول السيد الأمين: في شرحه لهذا البيت: كفى بفعال آل أبي طالب شاهداً على طيب أصلهم.

(٣) علّق السيد الأمين على هذا البيت بقوله: الطارف: الحديث، والتالد القديم، كتّى به عن بني العباس بأنّ لهم طرفاً مونقياً بتوليهم الخلافة، ولكنّه لا يشبه أصلهم بطيب أفعاله.

(٤) لم يصرّح إبراهيم باسم المخاطبين، فقد عنى آل أبي طالب وعلى رأسهم الإمام الرضا عليه السلام، وقد منّ عليهم المأمون بما أعطاهم من بعض الهبات التي هي من أموالهم.

(٥) المخاطب بقوله: فضلت هو الإمام العظيم الرضا عليه السلام والمراد بقسيمه هو المأمون.

(٦) وفيات الأعيان ١ / ٢٥.

(٧) وفيات الأعيان ١ / ٢٩.

وله أيضاً:

كنت السواد لمقلتي فكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر^(١)

حرقه لديوان شعره:

كان إبراهيم صديقاً لإسحاق بن إبراهيم، فأنسخه شعره في الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ودفع إليه شيئاً من شعره بخطه، وكانت النسخة عنده حتى ولي الطاغية المتوكل، وولى إبراهيم ديوان الضياع، وقد حصل تباعد وكرهية بين إبراهيم وإسحاق فعزله إبراهيم عن ضياع كانت بيده وطالبه بمال وأخ عليه، وأساء مطالبته، فدعا إسحاق بعض من يثق به من أخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس فاعلمه أنّ شعره في علي بن موسى بخطه عندي، وبغير خطه، والله لئن استمرّ على ظلمي، ولم يزل عني المطالبة لأوصلن الشعر إلى المتوكل، قال:

فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس فأخبره بذلك، فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر في ذلك إلى الوساطة، فاسقط عنه جميع ما كان طالبه به، وأخذ الشعر منه، وأحلفه أنّه لم يبق عنده منه شيء، فلما حصل عنده عمد إلى إحراقه بحضرته^(٢).

نموذج من كتابته:

وكان إبراهيم كاتباً بليغاً، ومن بديع ما كتبه عن بعض ملوك العباسيين إلى بعض البغاة الخارجين يتهدّدهم، ويتوعّدهم:

(أمّا بعد: فإنّ لأمر المؤمنين أناة، فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً، فإن لم يغن أغنت عزائمهم والسلام).

وعلق ابن خلكان على هذه الرسالة بقوله: وهذا الكلام مع وجازته في غاية الإبداع^(٣).

وفاته:

توفي إبراهيم في منتصف شعبان سنة (٢٤٣ هـ) ب (سُرّ من رأى)^(٤).

(١) وفيات الأعيان ١ / ٢٩.

(٢) أمالي المرتضى ١ / ٤٨٥.

(٣) وفيات الأعيان ١ / ٢٩.

(٤) وفيات الأعيان ١ / ٢٩.

٢ - إبراهيم بن أبي البلاد:

واسم أبي البلاد يحيى بن سليم الغطفاني، يكنى أبا إسماعيل، عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قال: (كان ثقة فقيهاً قارئاً، وعمّر دهنراً طويلاً حتى كاتبه علي بن موسى الرضا برسالة، وروى عنه ابنه يحيى ومحمد، ومحمد بن سهل بن اليسع، وآخرون) ^(١).
قال النجاشي: (كان إبراهيم ثقة، قارئاً، أدبياً، وكان أبوه ضريباً راوية للشعر، وله يقول الفرزدق: (يا لهف نفسي على عينيك من رجل).

وروى إبراهيم عن أبي عبد الله، وأبي الحسن موسى، والرضا عليهم السلام.
بعث إليه الإمام الرضا رسالة، وأثنى عليه. له كتاب يرويه عنه جماعة ^(٢).

٣ - إبراهيم بن أبي محمود الخراساني:

وثقه النجاشي، وقال: (إنه روى عن الإمام الرضا عليه السلام له كتاب يرويه أحمد بن محمد بن عيسى) ^(٣).
قال الكشي: (قال نصر بن الصباح: إبراهيم بن أبي محمود كان مكفوفاً، روى عنه أحمد بن عيسى مسائل موسى عليه السلام تقدّر بخمس وعشرين ورقة، عاش بعد الرضا).
روى حمدويه قال: حدثنا الحسن بن موسى الخنّاب، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي محمود قال: دخلت على أبي جعفر، ومعني كتب إليه من أبيه فجعل يقرأها، ويضع كتاباً كبيراً على عينيه، ويقول: خط أبي والله، ويكي حتى سالت دموعه على خديّه، فقلت له: جعلت فداك قد كان أبوك ربّما قال لي في المجلس الواحد مرات أسكنك الله الجنة، فقال: وأنا أقول لك: أدخلك الله الجنة، فقلت: جعلت فداك تضمن لي على ربّك أن تدخلني الجنة، قال: نعم، قال: فأخذت رجله فقبّلتها ^(٤).

(١) لسان الميزان ١ / ٤١.

(٢) النجاشي.

(٣) النجاشي.

(٤) النجاشي.

٤ - إبراهيم بن إسحاق:

النهاوندي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه صالح بن محمد الهمداني ^(١).

٥ - إبراهيم بن إسماعيل:

ابن داود، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه موسى بن جعفر المدائني ^(٢).

٦ - إبراهيم بن بشر:

قال النجاشي: (له مسائل إلى الإمام الرضا عليه السلام، روى عنه محمد بن عبد الحميد ^(٣)).

٧ - إبراهيم بن سلامة النيشابوري:

عدّه الشيخ من أصحاب الرضا عليه السلام وأضاف أنه وكيل ^(٤) قال السيد الخوئي: (اختلف في حال الرجل فمنهم من أعتبره حجة، ومنهم من لم يعتبره، واستدل من قال باعتباره بمقدمتين: الأولى انه كان وكيلاً عن الإمام الرضا عليه السلام. الثانية: أنهم سلام الله عليهم لا يوكلون الفاسق) وناقش السيد في كلا المقدمتين ^(٥).

٨ - إبراهيم بن شعيب:

الواقفي قال: كنت جالسا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى جانبي رجل من أهل المدينة، وحادثته مليا، وسألني من أين أنت؟ فأخبرته أني رجل من أهل العراق، قلت له: فمن أنت؟ قال: مولى لأبي الحسن الرضا عليه السلام، فقلت له: لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قلت: توصل لي إليه رقعة، قال: نعم إذا شيءت فخرجت، وأخذت قرطاسا، وكتبت فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم إن من كان قبلك من آبائك كان يخبرنا بأشياء فيها دلالات وبراهين، وقد

(١) التهذيب الجزء السادس باب فضل زيارة أبي الحسن علي بن موسى عليه السلام.

(٢) التهذيب الجزء الرابع: باب صيام ثلاثة أيام في كل شهر.

(٣) النجاشي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) معجم رجال الحديث ١ / ٩١.

أحببت أن تخبرني باسمي واسم أبي وولدي).
قال: ثم ختمت الكتاب، ودفعته إليه، فلما كان من الغد أتاني بكتاب مختوم
ففضضته وقرأته، فإذا في أسفل الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم يا أبا إبراهيم إن من
آبائك شعيبا وصالحا، وإن من أبنائك محمدا وعليا وفلانا وفلانة) (١).

٩ - إبراهيم بن شعيب:

العقروفي (٢)، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام قال الشيخ المامقاني: (هو عندنا مجهول
الحال، والعلم عند الله) (٣).

١٠ - إبراهيم بن صالح:

عدّه الشيخ في رجاله من غير تلقيب ولا توصيف من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٤) قال النجاشي:
(إبراهيم بن صالح الأنماطي (٦) الأسدي ثقة روى عن أبي الحسن عليه السلام ووقف، له كتاب يرويه عدّة) (٧).

١١ - إبراهيم بن عبد الحميد:

قال الشيخ: إنّه من أصحاب الإمام أبي عبد الله عليه السلام أدرك الإمام الرضا عليه السلام، ولم يسمع منه على
قول سعد بن عبد الله، واقفي، له كتاب (٨)

وقال: في (الفهرست): (إبراهيم بن عبد الحميد ثقة له أصل أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان المقيّد) (٩).

وتوثيق الشيخ له في (الفهرست) يدل على أنّه ليس واقفياً، ويمكن أن يكون أنّه

(١) الكشي.

(٢) العقروفي: نسبة إلى عقروف، قيل: هي قرية من نواحي الدجيل، وقيل من نواحي نهر عيسى بينها وبين بغداد أربعة فراسخ
إلى جانبها تل عظيم عال يرى من مسافة خمسة فراسخ، جاء ذلك في مراصد الاطلاع.

(٣) رجال الطوسي. * هكذا ورد هذا الهامش في الكتاب المطبوع من غير رقم له في المتن. [الشبكة].

(٤) تنقيح المقال.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) الأنماطي: نسبة إلى أنماط جمع نمط وهو ثوب من الصوف يطرح على المودج له حمل رقيق.

(٧) النجاشي.

(٨) رجال الطوسي.

(٩) فهرست الطوسي.

رجع عن الوقف، ودان بدين الحق.

١٢ - إبراهيم بن علي:

ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمّ علي سيّدة النساء بطلّة كربلاء السيّدة زينب عليها السلام، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

١٣ - إبراهيم بن محمد:

الأشعري، القمّي، قال النجاشي: إنّه ثقة، روى عن الإمام موسى، والإمام الرضا عليهما السلام، وأخوه الفضل، وكتابهما شركة رواه الحسن بن أبي علي بن فضال عنهما ^(٢)، وثقة ابن داود في رجاله، والفاضل المجلسي وغيرهم ^(٣).

١٤ - إبراهيم بن محمد:

الخزاز، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه الحسن بن سعيد ^(٤).

١٥ - إبراهيم بن محمد:

مولى خراساني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥).

١٦ - إبراهيم بن محمد:

الهمداني، كان وكيلاً للإمام الرضا عليه السلام ^(٦)، وعدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد، والإمام الهادي عليهم السلام ^(٧)، قال الكشي: إنّه حجّ أربعين حجّة ^(٨).

١٧ - إبراهيم بن موسى:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه محمد بن حمزة ^(٩).

(١) رجال الطوسي.

(٢) النجاشي.

(٣) تنقيح المقال.

(٤) معجم رجال الحديث ١ / ١٥٢.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) النجاشي.

(٧) رجال البرقي.

(٨) الكشي.

(٩) معجم رجال الحديث ١ / ١٦٢.

١٨ - إبراهيم بن هاشم:

أبو إسحاق القمّي، أصله من (الكوفة)، وانتقل إلى (قم المقدّسة)، عدّه الشيخ النجاشي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وقال: إنّ أصحابنا يقولون: إنّه أوّل من نشر حديث الكوفيين ب (قم)، له كتب منها: كتاب النوادر، وكتاب قضايا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

١٩ - إبراهيم بن هاشم:

العباسي ^(٢)، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣) وظاهره أنّه إمامي مجهول الحال ^(٤)، قال السيد الخوئي: والصحيح هاشم بن إبراهيم لا إبراهيم بن هاشم كما في النجاشي ^(٥).

٢٠ - أحمد بن أبي نصر:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن محمد ^(٦).

٢١ - أحمد بن أشيم:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٧) روى عن يونس وروى عنه أحمد بن محمد ^(٨).

٢٢ - أحمد بن عامر:

ابن سليمان بن صالح بن وهب الذي استشهد مع ریحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله، حدث ابنه عبد الله قال: ولد أبي سنة (١٥٧ هـ) ولقي الإمام الرضا عليه السلام سنة (١٧٤ هـ) ومات الرضا بطوس سنة (٢٠٢ هـ) يوم الثلاثاء لثمان عشر خلون من جمادى الأولى وشاهدت أبا الحسن، وأبا محمد عليه السلام، وكان أبي مؤدّناً لهما، هكذا جاء في النجاشي.

(١) النجاشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) تنقيح المقال ١ / ٣٩.

(٥) معجم رجال الحديث ١ / ١٥٢.

(٦) التهذيب الجزء السادس باب المهور والأحور.

(٧) رجال الطوسي.

(٨) التهذيب الجزء الأول باب تلقين المختصر.

٢٣ - أحمد بن عمر:

الحلال، كان يبيع الحل - يعنى الشيرج - روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وله عنه مسائل^(١).

٢٤ - أحمد بن الفيض:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام^(٢)، وهو إمامي مجهول الحال.

٢٥ - أحمد بن محمد:

ابن أبي نصر البزنطي، كوفي، ثقة الإمام الرضا عليه السلام، وكان عظيم المنزلة عنده، وروى عنه كتاباً، وله من الكتب كتاب الجامع، وله كتاب (النوادر)، قال الشيخ في كتابه (الغيبة): (كان واقفاً ثم رجع لما ظهر من المعجزات على يد الإمام الرضا عليه السلام الدالة على صحّة إمامته، فالتزم الحجّة وقال بإمامته، وإمامة من بعده من ولده).

قال أحمد: كنت عند الإمام الرضا عليه السلام فأُمسيت عنده، قال: فقلت أنصرف؟ فقال لي: لا تنصرف فقد أُمسيت، قال: فأُقيمت عنده فقال عليه السلام: لجاريتي هاتي مضرتي ووسادتي فافرشي لأحمد في ذلك البيت، قال: فلما صرت في البيت دخلني شيء، فجعل يخطر ببالي من مثلي في بيت ولي الله^(٣)، وعلى مهاده، فناداني يا أحمد إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عاد صعصعة بن صوحان فقال: يا صعصعة لا تجعل عبادتي إيّاك فخراً على قومك، وتواضع لله يرفعك.

وهو ممن أجمع على الإقرار له بالفضل وتصحيح ما يصح عنه.

توفي سنة (٢٢١ هـ)^(٤).

٢٦ - أحمد بن محمد:

ابن حنبل بن هلال الشيباني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الرضا

(١) النجاشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) وفي رواية (فقلت: الحمد لله حجّة الله ووارث علم النبيين أنس بي الخ).

(٤) معجم رجال الحديث (٢٣٧ - ٢٣٩).

عَلِيٍّ^(١) قال ابن حجر: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله أحد الأئمة، ثقة، حافظ، فقيه، حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة (٢٤١ هـ) وله سبع وسبعون سنة^(٢).

٢٧ - أحمد بن محمد:

ابن عيسى الأشعري، القمّي، شيخ القميين ووجههم، وكان الرئيس الذي يلقي السلطان، ولقي أبا جعفر الثاني، وأبا الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ.

له كتب فمنها: (كتاب التوحيد)، وكتاب (فضل النبي (ص))، وكتاب (المتعة)، وكتاب (النوادر)، وكان غير مَبُوبٍ فَبُوبَهُ داود بن كورة، وكتاب (الناسخ والمنسوخ)، وكتاب (الأطعمة)، وكتاب (المسوخ)، وكتاب (فضائل العرب)، قال ابن نوح: ورأيت له عند الديلمي كتاباً في (الحج).

٢٨ - أحمد بن يوسف:

مولى بنى تميم الله، كوفي، كان منزله بالبصرة، وتوفي ببغداد، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأضاف أنّه ثقة^(٣).

٢٩ - إدريس بن زيد:

من أصحاب الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكره الصدوق في مشيخة الفقيه مع علي بن إدريس أولاً مع توصيفهما بصاحبي الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووصفه بالقمّي عند ذكر طريقه إليه ثانياً^(٤).

٣٠ - إدريس بن عبد الله:

ابن سعد الأشعري، ثقة له كتاب، يروى عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥).

(١) رجال الطوسي.

(٢) تقريب التهذيب، وترجمة في تهذيب التهذيب.

(٣) الكشي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) معجم رجال الحديث ٣ / ٩.

(٦) النجاشي* هكذا ورد هذا الهامش في الكتاب المطبوع من غير رقم له في المتن. [الشبكة].

٣١ - إدريس بن عيسى:

الأشعري، القمّي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ثقة، وروى عنه حديثاً واحداً^(١).

٣٢ - إدريس بن يقطين:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام^(٢).

٣٣ - إسحاق بن آدم:

الأشعري، القمّي، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاب يرويه جماعة^(٣).

٣٤ - إسحاق بن إبراهيم:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد عليه السلام^(٤) قال الكشي: إنّه وصل إلى خدمة الإمام الرضا عليه السلام بواسطة الحسن بن سعيد الأهوازي^(٥).

٣٥ - إسحاق بن إبراهيم:

الحنظلي يعرف بابن راهويه، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٦).

٣٦ - إسحاق بن محمد:

الخصيني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٧).

٣٧ - إسحاق بن الإمام موسى:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، روى عن أخيه وعن عمّه عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه محمد بن مسلم^(٨).

(١) النجاشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) النجاشي.

(٤) رجال البرقي.

(٥) الكشي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) رجال الطوسي.

(٨) رجال الطوسي.

٣٨ - إسماعيل بن سعد:

الأحوص، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه محمد بن خالد ^(١).

٣٩ - إسماعيل بن عباد:

القصري - من قصر بن هبيرة - عدّه البرقي من أصحاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ^(٢).

٤٠ - إسماعيل بن عيسى:

روى عن الإمام أبي الحسن، والإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه ابنه سعد ^(٣).

٤١ - إسماعيل بن قتيبة:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه مجهول ^(٤).

٤٢ - إسماعيل بن مهران:

ابن أبي نصر السكوني، مولى، كوفي، يكتب أبا يعقوب، ثقة، معتمد عليه، من أصحاب الإمام الرضا

عليه السلام، ألف مجموعة من الكتب كان منها:

١ - الملاحم.

٢ - ثواب القرآن.

٣ - الإهليلجة.

٤ - صفة المؤمن والفاجر.

٥ - خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ - نوادر.

٧ - النوادر ^(٥).

(١) معجم رجال الحديث ٣ / ١٣٣.

(٢) البرقي.

(٣) معجم رجال الحديث ٣ / ١٥٨.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) الكشي.

وقد طعن في حديثه ابن الغضائري، وقال: ليس حديثه بالنقي فيضطرب تارة، ويصلح أخرى، ويروى عن الضعفاء كثيراً ويجوز أن يخرج شاهداً، وبني سيدنا الخوئي على وثاقته لشهادة جعفر بن محمد بن قولويه، وعلي بن إبراهيم، والشيخ والنجاشي والعياشي بوثقته، وليس فيما ذكره ابن الغضائري دلالة على عدم وثاقته بل إنّ نفي النقاوة من حديثه من جهة أنّه يروى عن الضعفاء^(١).

٤٣ - إسماعيل بن همام:

ابن عبد الرحمان البصري مولى كندة، روى عن الإمام الرضا عليه السلام ثقة هو وأبوه وجدّه، له كتاب يرويه عنه جماعة^(٢).

٤٤ - أصرم بن مطر:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٤٥ - أفلق بن يزيد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٤).

٤٦ - أفلق بن يزيد: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وكذلك عدّه الشيخ وأضاف إنّه مجهول^(٥).

٤٧ - الياس بن عمرو:

الصيرفي الخزاز، حبر، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ولما حضرته الوفاة قال لمن حوله: اشهدوا عليّ وليست ساعة الكذب هذه الساعة سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (والله لا يموت عبد يحب الله ورسوله ويتولّى الأئمة فتمسّته النار)^(٦).

٤٨ - أيوب بن نوح:

كوفي، مولى النخع، ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا

(١) معجم رجال الحديث ٣ / ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) الكشي.

عليه السلام^(١) وكان وكيلاً، وتوفّي ولم يخلف إلا مائة وخمسين ديناراً، وكان الناس يظنون أنّ عنده مالا كثيراً؛ لأنه كان وكيلاً للأئمة عليهم السلام^(٢).

(ب)

٤٩ - البائس:

مولي حمزة بن السبع الأشعري، ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٥٠ - بكر بن صالح:

الرازي عدّه الشيخ البرقي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٤) قال الشيخ: له كتاب في درجات الإيمان ووجوه الكفر والاستغفار والجهاد^(٥).

قال ابن الغضائري: ضعيف جداً، كثير التفرد بالغرائب^(٦).

(ت)

٥١ - ثلج بن أبي ثلج:

اليعقوبي، من ولد داود بن علي اليعقوبي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٧).

(ج)

٥٢ - جعفر بن بشير:

البجلي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٨)، من زهاد الشيعة وعبّادهم ونسّاكهم، وله مسجد بالكوفة باقٍ في (بجيلة)، يقول النحاشي وأنا وكثير من أصحابنا إذا وردنا الكوفة نصلي فيه مع المساجد التي يرغب في الصلاة فيها.

توفّي جعفر رحمه الله بـ (الأبواء) سنة (٢٠٨ هـ) وكان يلقّب قفة العلم، وله

(١) رجال الطوسي.

(٢) الكشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال البرقي.

(٥) معجم رجال الحديث.

(٦) معجم رجال الحديث.

(٧) رجال الطوسي.

(٨) رجال الطوسي.

من المؤلفات ما يلي:

١ - كتاب المشيخة.

٢ - كتاب الصلاة.

٣ - كتاب المكاسب.

٤ - كتاب الصيد.

٥ - كتاب الذبائح^(١).

قال الشيخ: له كتاب ينسب إلى جعفر بن محمد عليه السلام، ورواية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام^(٢).

٥٣ - جعفر بن إبراهيم:

الحضرمي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٥٤ - جعفر بن إبراهيم:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه إبراهيم بن هاشم^(٤).

٥٥ - جعفر بن عيسى:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٥)، روى عن الإمام الكاظم عليه السلام، وروى عن الإمام

الرضا عليه السلام، وروى عنه أخوه محمد بن عيسى^(٦).

٥٦ - جعفر بن المثنى:

الخطيب، مولى لثقيف، واقفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٧).

(١) النجاشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) معجم رجال الحديث ٤ / ٤٦.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) معجم رجال الحديث ٤ / ٩٢.

(٧) رجال الطوسي.

٥٧ - جعفر بن محمد:

القزويني، ذكره الشيخ في باب الكنى من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

(ح)

٥٨ - الحسن بن إبراهيم:

الكويني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

٥٩ - الحسن بن أسباط:

الكندي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

٦٠ - الحسن بن أسد:

البصري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

٦١ - الحسن بن بشير:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه مجهول ^(٥).

٦٢ - الحسن بن بشار:

المدائني، من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام ثقة صحيح، كان واقفياً ثم رجع ^(٦).

٦٣ - الحسن بن الجهم:

ابن بكير بن أعين أبو محمد الشيباني، ثقة، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، له كتاب ^(٧).

٦٤ - الحسن بن الجهم:

الرازي، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٨).

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) رجال أبي داود.

(٧) النجاشي.

(٨) معجم رجال الحديث ٤ / ٣٠٤.

٦٥ - الحسن بن الحسين:

الأنباري، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه علي بن الحكم ^(١).

٦٦ - الحسن بن الحسين:

ابن صالح، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه علي بن عبد الغفار ^(٢).

٦٧ - الحسن بن الحسين العلوي:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، روى عنه أحمد بن محمد.

٦٨ - الحسن بن راشد ^(٣):

عدّه الشيخ من غير توصيف من أصحاب الإمام عليه السلام ^(٤).

٦٩ - الحسن بن زياد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّ له كتاب ^(٥).

٧٠ - الحسن بن سعيد:

الكوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦).

٧١ - الحسن بن شاذان:

الواسطي، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أشكو إليه جفاء أهل (واسط)، وحملهم علي، وكانت عصابة من العثمانية تؤذيني، فوقع عليه السلام بخطه: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ أَوْلِيَانَا عَلَى الصَّبْرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ، فَلَوْ قَدْ قَامَ سَيِّدُ الْخَلْقِ لَقَالُوا: (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ

(١) معجم رجال الحديث ٤ / ٣١٣.

(٢) معجم رجال الحديث ٤ / ٣١٥.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) رجال الطوسي.

مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (١).

٧٢ - الحسن بن شعيب:

المدائني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٢).

٧٣ - الحسن بن عباد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٣).

٧٤ - الحسن بن العباس:

المعروف، روى عن الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه علي بن محمد (٤).

٧٥ - الحسن بن علي:

ابن فضال مولى لتيم الرباب، كوفي ثقة (٥) قال النجاشي: قال أبو عمرو: قال الفضل بن شاذان: كنت في قطيعة الربيع، مسجد الربيع، أقرأ على مقرئ يقال له: إسماعيل بن عباد، فرأيت قوماً يتناجون، فقال أحدهم: بالجبل رجل يقال له ابن فضال أعبد من رأينا أو سمعنا به فإتّه ليخرج إلى الصحراء فيسجد السجدة، فيجئ الطير فيقع عليه فما يظن إلا أنه ثوب أو خرقة، وأنّ الوحش ليرعى حوله، فما تنفر منه لما قد أنست به، وأنّ عسكر الصعاليك ليحيثون يريدون الغارة أو قتال قوم، فإذا رأوا شخصه طاروا في الدنيا فذهبوا - أي خوفاً منه - قال الفيض: فظننت أنّ هذا رجل كان في الزمان الأوّل فبينما أنا بعد ذلك بيسير قاعد في قطيعة الربيع مع أبي رحمه الله، إذ جاء شيخ حلو الوجه، حسن الشمايل عليه قميص نرسي، ورداء نرسي، وفي رجله نعل مخضر فسلم على أبي فقام إليه أبي فرحب به، وبجّله، فلمّا أن مضى يريد ابن أبي عمير قلت: من هذا الشيخ؟ فقال: هذا الحسن بن علي بن فضال، قلت: هذا ذلك العابد الفاضل؟ قال: هو ذاك، قلت: ليس هو ذلك، ذاك بالجبل، قال: هو ذاك كان يكون بالجبل ما أغفل عقلك من غلام، فأخبرته بما سمعت من القوم فيه قال: هو ذلك، فكان بعد ذلك يختلف إلى أبي، ثم خرجت إليه بعد إلى الكوفة

(١) معجم رجال الحديث ٤ / ٣٦٧.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) معجم رجال الحديث ٤ / ٣٨٢.

(٥) رجال الطوسي.

فسمعت منه كتاب ابن بكير وغيره من الأحاديث، وكان يحمل كتابه ويحجى إلى الحجرة فيقرأه علي، فلما حجّ ختن طاهر بن الحسين، وعظمه الناس لقدره وماله، ومكانه من السلطان، وكان قد وصف له، فلم يصر إليه الحسن، فأرسل إليه أحب أن تصير إليّ، فقال: مالي ولطاهر لا أفرهم ليس بيني وبينهم عمل، فعلمت بعد هذا أنّ مجيئه إليّ كان لدينه، وكان مصلاً بالكوفة في الجامع عند الأسطوانة التي يقال لها السابعة، ويقال لها: أسطوانة إبراهيم عليه السلام، وكان يجتمع هو وأبو محمد الحجال، وعلي ابن أسباط، وكان الحجال يدعي الكلام فكان من أجدل الناس، فكان ابن فضال يعزي بينه وبينه في الكلام في المعرفة، وكان يجني حباً شديداً، وكان الحسن عمره كلّه فطحيماً مشهوراً بذلك حتى حضره الموت فمات، وقد قال: بالحق رضي الله عنه، وله من الكتب ما يلي:

- ١ - كتاب الزيارات.
- ٢ - كتاب الثارات.
- ٣ - كتاب النوادر.
- ٤ - كتاب الرد على الغالية.
- ٥ - كتاب الشواهد من كتاب الله.
- ٦ - كتاب المتعة.
- ٧ - كتاب الناسخ من المنسوخ.
- ٨ - كتاب الملاحم.
- ٩ - كتاب الصلاة.
- ١٠ - كتاب يرويه عن ابنه علي بن الإمام الرضا عليه السلام وكانت وفاته رحمه الله سنة (٢٢٤ هـ) ^(١).

٧٥ - الحسن بن علي:

ابن زياد الوشاء، البجلي، الكوفي، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ومن وجوه هذه الطائفة، وقد روى عن جدّه الياس أنّه لمّا حضرته الوفاة قال: اشهدوا عليّ، وليست ساعة الكذب هذه الساعة لسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله لا يموت عبد يحب الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ويتولّى الأئمة، فتمسّه النار.

(١) النجاشي.

ثم أعاد الثانية والثالثة من غير أن أسأله.

وروى أحمد بن محمد بن عيسى قال: خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشا فسألته أن يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلاء، وأبان بن عثمان الأحمر فأخرجهما إليّ، فقلت له: أحب أن تجيزهما لي، فقال لي: يا رحمك الله، وما عجلتك؟ اذهب فاكتبهما، واسمع من بعد، فقلت: لا آمن الحدثان، فقال: لو علمت أنّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإني أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد.

له كتب منها: (كتاب ثواب الحج)، وكتاب (النوادر)، وله (مسائل الرضا) ^(١).

٧٦ - الحسن بن علي:

ابن يقطين، بن موسى، مولى بني هاشم كان فقيهاً، متكلماً روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، له كتاب (مسائل أبي الحسن موسى عليه السلام) ^(٢).

٧٧ - الحسن بن علي:

الديلمي، ذكره الوحيد في التعليقة وقال: مولى الرضا عليه السلام ^(٣).

٧٨ - الحسن بن علي:

مولى تيم الله بن ثعلبة، كوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

٧٩ - الحسن بن علي:

الوشا، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: كنت مع أبي وأنا غلام فتعشّينا عند الإمام الرضا عليه السلام ^(٥).

(١) النجاشي.

(٢) النجاشي.

(٣) معجم رجال الحديث ٥ / ٦٧٨.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) معجم رجال الحديث ٥ / ٧٥.

٨٠ - الحسن بن عمر:

ابن يزيد، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

٨١ - الحسن بن فضال:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وعن جماعة وروى عنه بنوه: أحمد وعلي ومحمد، وموسى بن عمر ^(٢).

٨٢ - الحسن بن قارن:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه إبراهيم بن هاشم ^(٣).

٨٣ - الحسن بن القاسم:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤) روى الكشي بسنده عن الحسن بن القاسم قال: حضر بعض ولد جعفر عليه السلام الموت، فأبطأ عليه الرضا عليه السلام فغمي ذلك لإبطائه على عمّه محمد، ثم جاء، فلم يلبث أن قام، فقمت معه، فقلت له: جعلت فداك عمّك في الحال التي هو فيها تقوم وتدعه؟ فقال عليه السلام: عمّي يدفن فلاناً - يعني الذي هو عندهم - قال: فو الله ما لبثنا أن تماثل المريض للشفاء، ودفن أخاه الذي كان عندهم صحيحاً، فكان الحسن يعرف الحق بعد ذلك، ويقول به ^(٥).

٨٤ - الحسن بن محبوب:

السراد، ويقال له الزراد، يكتى أبا علي، مولى بجيلة، كوفي، ثقة، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عن ستين رجلاً من أصحاب الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وكان جليل القدر، ألف مجموعة من الكتب كان منها ما يلي:

(١) رجال الطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث ٥ / ٨٨.

(٣) معجم رجال الحديث ٥ / ٩٣.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الكشي.

- ١ - كتاب المشيخة.
- ٢ - كتاب الحدود.
- ٣ - كتاب الديات.
- ٤ - كتاب الفرائض.
- ٥ - كتاب النكاح.
- ٦ - كتاب الطلاق.
- ٧ - كتاب النوادر، نحو ألف ورقة.
- ٨ - كتاب التفسير.
- ٩ - كتاب العتق.

وعده الشيخ الكشي من الفقهاء الذين أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنهم عند تسمية الفقهاء من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهما السلام توفي سنة (٢٢٤ هـ) وله من العمر خمسة وسبعون عاماً^(١).

٨٥ - الحسن بن محمد:

ابن أبي طلحة، عده الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

٨٦ - الحسن بن محمد:

ابن سهل النوفلي ضعفه النجاشي، وقال: لكن له كتاب حسن، كثير الفوائد أسماءه: (مجالس الرضا مع أهل الأديان)^(٣).

٨٧ - الحسن بن محمد:

القمي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه الخبيري^(٤).

٨٨ - الحسن بن محمد:

النوفلي، الهاشمي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام^(٥).

(١) الكشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) النجاشي.

(٤) التهذيب الجزء السادس باب فضل زيارة أبي الحسن موسى.

(٥) معجم رجال الحديث ٥ / ١٣٨.

٨٩ - الحسن بن النضر:

الأرميني، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن محمد بن عيسى ^(١).

٩٠ - الحسن بن يزيد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

٩١ - الحسن بن يونس:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

٩٢ - الحسن التفليسي:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

٩٣ - الحسين بن إبراهيم:

ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا ^(١).

٩٤ - الحسين بن أبي سعيد:

المكاري، أبو عبد الله، كان هو وأبوه وجهين في الواقعة، دخل على الإمام الرضا عليه السلام، فقال له: فتحت بابك للناس، وقعدت للناس تفتيهم، ولم يكن أبوك يفعل هذا؟ فقال عليه السلام: ليس علي من هارون - أي الرشيد - بأس، ثم قال له: أطفأ الله نور قلبك، وأدخل الفقر بيتك، ويلك أما علمت أنّ الله أوحى إلى مريم أنّ في بطنك نبياً، فولدت مريم عيسى عليه السلام، فمريم من عيسى، وعيسى من مريم، وأنا من أبي، وأبي مني، فقال له: أسألك عن مسألة؟ فقال له: ما أخالك تسمع مني... سل، فقال له: رجل حضرته الوفاة، فقال: ما ملكته قديماً فهو حر، وما لم يملكه بقدم فليس بحر.

(١) معجم رجال الحديث ٥ / ١٥١.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

فقال عليه السلام له: أما تقرأ هذه الآية: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) فما ملك الرجل قبل الستة أشهر فهو قديم، وما ملك بعد الستة أشهر فليس بقديم، ثم خرج من عند الإمام عليه السلام ولم يلبث أن نزل به الفقر والبلاء^(١).

٩٥ - الحسين بن بشار:

الواسطي، مولى زياد، ثقة، صحيح، روى عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام، وروى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

ولمّا توفي الإمام الكاظم عليه السلام خرج الإمام الرضا، وهو غير مؤمن بموت الإمام الكاظم، ولا مقر بإمامة الرضا، وأراد أن يسأله، ولما انتهى إلى الإمام، وكان ب (الصوي)، فاستأذن عليه ودخل، فرحّب به الإمام، وأدناه إليه ثم قال له:

(يا حسين إن أردت أن ينظر الله إليك من غير حجاب، وتنظر إلى الله من غير حجاب فوال آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ووال ولي الأمر منهم).

وبادر الحسين قائلاً:

(انظر إلى الله عزّ وجلّ؟).

فقال عليه السلام: أي والله.

وحزم الحسين بعد ذلك بموت الإمام الكاظم، وإمامة ولده الرضا من بعده.

والتفت الإمام عليه السلام إليه، وقال له: (ما أردت أن آذن لك لشدة الأمر، وضيقه - وذلك للرقابة التي فرضت عليه من قبل السلطة العباسية - ولكن علمت الأمر الذي أنت عليه - وهو الوقف -). وأضاف الإمام قائلاً: (خبرت بأمرك).

يعني اطلعت على ما أنت عليه؟ فقال الرجل: بلى^(٢).

٩٦ - الحسين بن بشير:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن محمد^(٣).

(١) الكشي.

(٢) الكشي.

(٣) معجم رجال الحديث ٥ / ٢٠٨.

٩٧ - الحسين بن الجهم:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(١)، وذهب الإمام الأستاذ الخوئي إنّه من المحتمل وقوع التحريف في الاسم، والصحيح هو الحسن، وقد تقدمت ترجمته في الحسن بن الجهم الرازي^(٢).

٩٨ - الحسين بن خالد:

الصيرفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣)، روى الصدوق بسنده عن صفوان بن يحيى قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه الحسين بن خالد الصيرفي، فقال له: جعلت فداك إني أريد الخروج إلى (الأعوض)، فقال عليه السلام: حيثما ظفرت بالعافية فالزمه، فلم يقنعه ذلك، فخرج يريد (الأعوض) فقطع عليه الطريق وأخذ كل شيء كان معه من المال^(٤).

٩٩ - الحسين بن زياد:

عدّه الشيخ من رواة الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف إن له كتاب الرضا عليه السلام^(٥).

١٠٠ - الحسين بن سعيد:

ابن حماد ابن مهران الأهوازي من موالى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ثقة، روى عن الإمام الرضا، وأبي جعفر الثاني، وأبي الحسن الثالث عليهم السلام، وأصله كوفي، وانتقل مع أخيه الحسن إلى (الأهواز) ثم تحوّل إلى (قم المقدّسة) فنزل على الحسن بن أبان، وتوفي بـ (قم).

وله ثلاثون كتاباً وهي: كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب النكاح والطلاق، كتاب الوصايا، كتاب الفرائض، كتاب التجارات، كتاب الإجازات، كتاب الشهادات، كتاب الأيمان والندور والكفّارات، كتاب الأشربة، كتاب المكاسب، كتاب التقية، كتاب الخمس، كتاب

(١) رجال الطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث ٥ / ٢١٤.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) الكشي.

(٥) رجال الطوسي.

المروة والتجمل، كتاب الصيد والذبائح، كتاب المناقب، كتاب المثالب، كتاب التفسير، كتاب المؤمن، كتاب الملاحم، كتاب المزار، كتاب الدعاء، كتاب الرد على الغالية، كتاب العتق والتدبير^(١).

١٠١ - الحسين بن شعيب:

المدائني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

١٠٢ - الحسين بن صالح:

الختعمي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

١٠٣ - الحسين بن عبد ربه:

له مكتوبة إلى الإمام الرضا عليه السلام رواها ابنه علي بن الحسين^(٤).

١٠٤ - الحسين بن علي:

ابن ربيع، مولى بني هاشم، عدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٥).

١٠٥ - الحسين بن علي:

ابن يقطين، ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٦).

١٠٦ - الحسين:

ابن عمر، ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٧).

١٠٧ - الحسين بن قياما:

واقفي، روى الكشي بسنده عن الحسين بن بشار قال: استأذنت أنا والحسين بن قياما على الإمام الرضا عليه السلام في (صرنا) فأذن لنا، قال - أي الرضا - : أفرغوا من حاجتكم، قال له الحسين: تخلو الأرض من أن يكون فيها إمام؟

(١) الكشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) معجم رجال الحديث.

(٥) رجال البرقي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) رجال الطوسي.

فقال عليه السلام: لا، إلا واحد صامت لا يتكلم، قال: فقد علمت أنك لست بإمام، قال عليه السلام: ومن أين علمت؟ قال: إنّه ليس لك ولد، وإنما هي في العقب؟! فقال عليه السلام له: فو الله لا تمضي الأيام والليالي، حتى يولد ذكر من صلي يقوم مثل مقامي يحيي الحق، ويمحق الباطل ^(١).

١٠٨ - الحسين بن موسى:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، كما عدّه من أصحاب الإمام الكاظم، وقال إنّه واقفي ^(٢)، وللإمام عليه السلام رسالة نذكرها عند عرض رسائله.

١٠٩ - الحسين بن مياح:

نقل ابن داود عن ابن الغضائري أنّه من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليه السلام، وأنّه ضعيف غال ^(٣).

١١٠ - الحسين بن يسار:

المدائني، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه علي بن أحمد بن أشيم ^(٤).

١١١ - حماد بن بكر:

ابن محمد الأزدي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥).

١١٢ - حماد بن عثمان:

ابن عمرو، بن خالد الفزاري، مولاهم كوفي، كان يسكن (عزم) فنسب إليها، هو وأخوه عبد الله ثقتان رويا عن الإمام الصادق عليه السلام، وروى حماد عن الإمام الكاظم، والإمام الرضا عليه السلام، توفي حماد بالكوفة سنة (١٩٠ هـ) ^(٦).

(١) الكشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال ابن داود.

(٤) معجم رجال الحديث ٦ / ١١٧.

(٥) رجال البرقي.

(٦) الكشي.

١١٣ - حماد بن عثمان:

النايب، عدّه الشيخ البرقي من أصحاب الإمام أبي عبد الله والكاظم والرضا عليهم السلام ^(١)، وعدّه الكشي ممن أجمعت العصابة على ما يصح عنهم، توفي سنة (١٩٠ هـ) بالكوفة ^(٢).

١١٤ - حماد بن عيسى:

أبو محمد الجهني، مولى، أصله من (الكوفة)، وسكن (البصرة)، روى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عشرين حديثاً، وعن الإمام أبي الحسن وعن الإمام الرضا عليهم السلام، وكان ثقة في حديثه، صدوقاً، قال: سمعت من أبي عبد الله عليه السلام سبعين حديثاً، فلم أزل أدخل الشك على نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين ^(٣).

وفد على الإمام الكاظم عليه السلام، فقال له: جعلت فداك ادع الله لي يرزقني داراً وزوجةً وولداً وخادماً والحج في كل سنة فقال عليه السلام: اللهم (صلّ على محمد وآل محمد)، وارزقه داراً وزوجةً وولداً وخادماً والحج خمسين سنة، قال حماد: فلما اشترط خمسين سنة علمت أنّي لا أحج أكثر من خمسين سنة، قال: وحججت ثمانين وأربعين سنة، وهذه داري قد رزقتها، وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني، وهذا خادمي قد رزقت كل ذلك، فحجّ بعد هذا الكلام حجّتين تمام الخمسين، ثم خرج بعد الخمسين حاجاً فزامل أبا العباس النوفلي القصير، فلما صار في الإحرام دخل يغتسل فجاء الوادي فحملة، فغرق في الماء، وتوفي قبل أن يحج زيادة على خمسين حجّة ^(٤).
وقد ألّف مجموعة من الكتب منها: (كتاب الزكاة)، (وكتاب الصلاة)، وغيرها ^(٥).

(١) البرقي.

(٢) الكشي.

(٣) النجاشي.

(٤) الكشي.

(٥) الكشي.

١١٥ - حمدان بن إبراهيم:

الأهوازي، كوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(١).

١١٦ - حمزة بن بزيع:

الواقفي، فقد استماله إلى الوقف علي بن أبي حمزة البطائني، زياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، حينما طمعوا بالحقوق الشرعية التي أوتئوا عليها، وقد بذلوا شيئاً منها إلى حمزة بن بزيع، وابن مكاري، وكرام الخثعمي^(٢).

روى إبراهيم بن يحيى بن أبي البلاد قال: قال الرضا عليه السلام: ما فعل الشقي حمزة بن بزيع؟ فقلت: هو ذا قد قدم، فقال عليه السلام: يزعم أنّ أبي حي هو اليوم شكاك لا يموتون غداً إلا على الزندقة^(٣).

١١٧ - حيدر بن أيوب:

وهو ممن روى النص من أبي الحسن موسى عليه السلام على إمامة ولده علي الرضا عليه السلام^(٤).

(خ)

١١٨ - خلف بن سلمة:

البصري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام^(٥).

١١٩ - خيران مولى الإمام الرضا:

قال النجاشي: له كتاب أخبرنا به أحمد بن محمد بن هارون الخ^(٦).

(د)

١٢٠ - دارم بن قبيصة:

قال النجاشي دارم بن قبيصة بن نمشل بن مجمع أبو الحسن التميمي الدارمي

(١) الكشي.

(٢) الكشي.

(٣) الكشي.

(٤) معجم رجال الحديث ٦ / ٣١١.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) النجاشي.

السابع، روى عن الإمام الرضا عليه السلام وله عنه (كتاب الوجوه والنظائر) و (كتاب الناسخ والمنسوخ).
وطعن فيه ابن الغضائري، وقال: لا يؤنس بحديثه ولا يوثق ^(١).

١٢١ - داود بن سليمان:

ابن جعفر، أبو أحمد القزويني، ذكره ابن نوح في رجاله، له كتاب عن الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

١٢٢ - داود بن علي:

العبدي، كان من أصحاب المهدي العباسي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

١٢٣ - داود بن علي:

اليعقوبي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤)، وعدّه النجاشي ممّن روى عن الإمام
الكاظم عليه السلام، وأضاف أنّه ثقة، وله كتاب ^(٥).

١٢٤ - داود بن القاسم:

ابن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أبو هاشم الجعفري كان عظيم المنزلة عند الأئمة
عليهم السلام منهم الإمام الرضا والإمام الجواد، والإمام المهدي، والإمام الحسن العسكري، وحجّة الله في أرضه
الإمام المنتظر عليه السلام، وقد روى عنهم كلّهم، وله أخبار ومسائل، وشعر جيد فيهم، وكان مقدما عند
السلطان، وله كتاب ^(٦).

روى الكليني بسنده عن داود بن القاسم قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعني ثلاث رقاع غير
معنونة، واشتبهت عليّ فاغتممت، ثم تناول عليه السلام إحداها وقال: هذه رقعة فلان فبهت، فنظر إليّ
فتبسّم، فقلت جعلت

(١) معجم رجال الحديث ٧ / ٩٠.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) النجاشي.

(٦) معجم رجال الحديث ٧ / ١٢١.

فذاك إني لمولع بأكل الطين فادع الله لي، فسكت، ثم قال لي: بعد ثلاثة أيام ابتداء منا يا أبا هاشم قد أذهب الله عنك أكل الطين، قال أبو هاشم: فما شيء أبغض إليّ منه اليوم^(١).

١٢٥ - داود بن مافنة:

الصرمي، مولى بني قرة، ثم بني حرمة، كوفي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام يكتي أبا سليمان، وبقي إلى أيام أبي الحسن العسكري عليه السلام، وله مسائل إليه^(٢).

١٢٦ - داود بن النعمان:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣)، وروى الكشي بسنده عن حمدوية عن أشياخه أنّهم قالوا: داود بن النعمان خير فاضل، وهو عم الحسن بن علي بن النعمان، وكان علي بن النعمان أوصى بكتبه لمحمد بن إسماعيل بن بزيع^(٤).

١٢٧ - دعبل بن علي:

الحزاعي، شاعر الإسلام الذي وهب حياته لله، وناهض أئمة الظلم والجور، ونصر أئمة الهدى والحق، وجاهد كأعظم ما يكون الجهاد في سبيلهم، فتعرّض لسخط ملوك العباسيين، ونقمتهم، فطاردته أجهزتهم، ومخابراتهم، وبقي صامداً لم يخفل بما عاناه من الأهوال والخطوب، لقد كان دعبل لسان الجبهة المعارضة للحكم العباسي الفاسد الذي استأثر بخيرات البلاد، وأنفقها بسخاء على الدعارة والمجون، وترك البلاد تموج بالفقر والحرمان، وراح دعبل بأدبه الفيّاض يهجو أولئك الملوك، ويثير سخط العامة عليهم.

ونعرض - بإيجاز - إلى ترجمة دعبل، وإعطاء صورة موجزة عن شخصيته الملهمة.

مكانته العلمية:

وبالإضافة لما يتمتع به دعبل من المواهب الأدبية التي جعلته في الرعيّل الأوّل

(١) الكشي.

(٢) معجم رجال الحديث.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) الكشي.

من أدباء عصره، فقد كان من العلماء، فقد روى عن الإمام الرضا وأبي جعفر محمد الجواد عليهما السلام (١) اللذين هما من مصادر الفقه عند الإمامية، كما روى عن جماعة من الأعلام في عصره كان من بينهم ما يلي:

- ١ - الحافظ شعبة بن الحجاج المتوفى (١٦٠ هـ)، وبهذا الطريق يروى عنه الحديث في كتب الفريقين كما في أمالي الشيخ (ص ٢٤٠) وتأريخ ابن عساكر (٥ / ٢٢٨).
- ٢ - الحافظ سفيان الثوري المتوفى سنة (١٦١ هـ) تأريخ ابن عساكر (٥ / ٢٢٨).
- ٣ - إمام المالكية مالك بن أنس المتوفى سنة (١٧٩ هـ).
- ٤ - أبو سعيد سالم بن نوح البصري المتوفى بعد المائتين.
- ٥ - أبو عبد الله محمد بن عمرو الواقدي المتوفى سنة (٢٠٧ هـ).
- ٦ - الخليفة المأمون العباسي المتوفى سنة (٢١٨ هـ).
- ٧ - أبو الفضل عبد الله بن سعد الزهري البغدادي المتوفى سنة (٢٦٠ هـ).
- ٨ - محمد بن سلامة يروى عنه بطريقة شيخ الطائفة في أماليه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطبته (الشقشقية) الشهيرة.

٩ - سعيد بن سفيان الأسلمي المدني، أمالي الشيخ (ص ٢٢٧).

١٠ - محمد بن إسماعيل.

١١ - مجاشع بن عمر.

١٢ - موسى بن سهل الراسبي.

كما روى عن دعبل جماعة من مشاهير الرواة كان من بينهم:

١ - أبو الحسن علي أخو دعبل.

٢ - موسى بن حماد اليزيدي.

٣ - أبو الصلت الهروي المتوفى (٢٣٦ هـ).

٤ - هارون بن عبد الله المهلبي.

٥ - علي بن الحكم.

(١) معجم رجال الحديث ٧ / ١٤٨.

٦ - عبد الله بن سعيد الأقرشي.

٧ - موسى بن عيسى المرزوي.

٨ - ابن النادي أحمد بن أبي داود المتوفى سنة (٢٧٢ هـ).

٩ - محمد بن موسى البربري^(١).

وقد كشفت هذه الجهة عن مكانته العلمية، وأنّ معارفه لم تقتصر على الآداب والشعر، وإنما كانت شاملة للحديث والفقّه.

مؤلفاته:

وألف دعبل كوكبة من الكتب دلّت على قدراته العلمية، كان من بينها:

١ - كتاب طبقات الشعراء:

وهو من الكتب القيّمة، ومن الأصل المعوّل عليها في الأدب والتراجم، وقد نقل عنه أعلام المؤلفين كابن عساكر، والخطيب البغدادي، وابن خلكان، والياضي، وغيرهم، وكان من بين أبوابه ما يلي:

١ - أخبار شعراء البصرة.

٢ - أخبار شعراء الحجاز.

٣ - أخبار شعراء بغداد.

وغير ذلك من الأبواب التي حفل بها، وهو من أمّهات الكتب.

٢ - كتاب الواحدة في مناقب العرب ومثالبها^(٢).

٣ - ديوان شعر:

وقد جمعه الصولي، ويحتوي على ثلاث مائة ورقة حسبما نصّ عليه ابن النديم^(٣)، وليس له وجود في خزائن المخطوطات العربية، وأكبر الظن أنّه قد ضاع كبقية المخطوطات العربية التي خسرها العالم العربي والإسلامي.

وقد انبرى - مشكوراً - الأستاذ المغفور له عبد الصاحب الدجيلي فبذل جهداً شاقاً في عدّه سنين

إلى جمع ما عثر عليه من شعر دعبل وأبرزه إلى عالم النشر بعنوان

(١) الغدير ٢ / ٢٧٣ مقدمة ديوان دعبل (ص ٢٢ - ٢٤) لعبد الصاحب الدجيلي.

(٢) الغدير ٢ / ٣٧١ - ٣٧٢.

(٣) الفهرست (ص ٢٢٩).

(ديوان دعبل بن علي الخزاعي) وقد طبع في النحف الأشرف سنة (١٣٨٢ هـ) ويحتوي على مقدمة وافية عرض فيها حياة دعبل وآثاره، وقد أسدى بذلك خدمة للفكر والأدب.

شعره:

أمّا شعر دعبل فهو من مناجم الأدب العربي، وقد صوّر بصدق في كثير من مقطوعاته الحياة السياسية والاجتماعية في عصره، وما عاناه المسلمون من ضروب الجور وأنواع الظلم من حكّام بني العباس الذي كان حكمهم امتداداً للحكم الأموي، بل كان في كثير من الأحيان أشد وأقسى من الحكم الأموي.

مدحه ورتاؤه للعلويين:

ووهب دعبل أدبه وفكره للعلويين الذين هم دعاة العدل الاجتماعي في الإسلام، والذين ناضلوا كأشد ما يكون النضال لإعلان حقوق الإنسان، وإنقاذ الفقراء والمحرومين من ويلات الحكم الأموي والعباسي، وهذه نماذج ممّا قاله في مدحهم ورتائهم:

مدحه للإمام أمير المؤمنين:

ألا إنّهُ طهّر زكّي مطهّر
غلاماً وكهلاً خير كهلٍ ويافع
وأشجعهم قلباً، وأصدقهم أحماً
أخو المصطفى بل صهره ووصيّهِ
كهارون من موسى على رغم معشرٍ
فقال: ألا من كنت مولاه منكم
أخي ووصيي وابن عمّي ووارثي
سريعٌ إلى الخيرات والبركات
وأيسطهم كفأً إلى الكربات
وأعظمهم في المجد والقربات
من القوم والستار للعوّرات
سفال لئام شقق الشرات
فهذا له مولى بُعيد وفاي
وقاضي ديوني من جميع عداي^(١)

وليس في هذا الشعر تكلف، وإمّا هو منسجم مع الواقع، وصادق كل الصدق، فقد حكى بعض صفات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتي منها أنه طهر طاهر، كما أنه من أئمة الناس كفأً، ومن أشجعهم قلباً، فقد خاض أهوال الحروب، وهو الأسد الضرعام الذي أباد قوى الشرك والإلحاد، كما أنه من ألصق

(١) ديوان دعبل (ص ٩٨ - ٩٩).

الناس برسول الله (ص) فهو أخوه، وصهره ووصيّه، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، وقد قال في حقّه يوم (غدِير خم): (مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ)، ولنستمع إلى مقطوعة أخرى من شعره في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

نطق القرآن بفضل آل محمّد	وولاية لعليّه لم تجحد
لولاية المختار من خير الورى	بعد النبي الصادق المتودّد
إذ جاءه المسكين حال صلاته	فامتد طوعاً بالذراع وباليد
فتناول المسكين منه خاتماً	هبة الكريم الأجود بن الأجود
فاختصه الرحمان في تنزيله	من حاز مثل فخاره فليعدد
إنّ الإله وليكم ورسوله	والمؤمنين فمن يشأ فليجحد
يكن الإله خصيمه فيها غداً	والله ليس بمخلف في الموعد ^(١)

وواضح هذا الشعر كل الوضوح فقد حكى فضيلة من فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي أنّ مسكيناً قصد جامع الرسول في يثرب فطلب من المسلمين أن يسعفوه، فلم يعطه أحد منهم شيئاً، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصلي فأوماً إليه، وأعطاه خاتمه، وهو كل ما يملكه، وحينما فرغ الإمام من صلاته نزل الوحي على الرسول (ص) وهو يقلّد الإمام وساماً من أعلى الأوسمة التي قلّده بها السماء، فقد نزل الوحي بهذه الآية الكريمة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)^(٢) ودلالة هذه الآية واضحة فقد حصرت الولاية العامة في الله تعالى والرسول الأعظم، والإمام أمير المؤمنين الذي أدّى الزكاة وهو في حال ركوعه.

وهذه الآية من أوثق الأدلة على إمامة الإمام أمير المؤمنين، وأتّه أحق وأولى بخلافة المسلمين من غيره، فقد قرن تعالى ولايته بولاية الله وولاية رسوله...

ولنستمع إلى أبيات أخرى قالها في الإمام عليه السلام:

سقياً لبيعة أحمد ووصيه	أعني الإمام وليّنا المحسودا
أعني الذي نصر النبي محمّداً	قبل البرية ناشئاً ووليداً
أعني الذي كشف الكروب ولم يكن	في الحرب عند لقاءها رعيديدا

(١) ديوان دعبل (ص ١٠١).

(٢) سورة المائدة: آية ٥٥.

أعني الموحّد قبل كل موحّدٍ لا عابداً وثناً ولا جلمودا
وهو المقيم على فراش محمّدٍ حتى وقاه مكايداً ومكيدا
وهو المقدم عند حومات الندا ما ليس ينكر طارفاً وتليدا (١)

وعرض دعبل في هذه الأبيات إلى نصرته الإمام عليّاً للرسول ﷺ، فهو المنافع الأول عن كلمة التوحيد، وبجهوده وجهاده قام دين الإسلام، وقد كشف الكروب عن النبي (ص) في أحلك الظروف وأقساها، ففي واقعة بدر وأحد والخندق وغيرها كان الإمام البطل الأوحّد الذي أطاح برؤوس المشركين، وسحق جيوشهم، ورفع راية التوحيد.

وعرض دعبل إلى مبيت الإمام عليّاً على فراش النبي (ص) ووقايته له بمهجته، وقد قام بأروع عملية فدائية في الإسلام، فما أعظم أياديه على هذا الدين، هذا بعض ما قاله دعبل في مدح الإمام أمير المؤمنين عليّاً.

رثاؤه للإمام الحسين:

وروع المسلمون بكارثة كربلاء التي انتهكت فيها حرمة الرسول (ص) في أبنائه وذريته، فقد أبادت جيوش الأمويين بوحشية قاسية عترة النبي (ص) واقتزفت فيهم أفضع الجرائم، وقد اهتزّ لهول هذه الفاجعة الضمير الإنساني، وقد اندفع دعبل الذي هو علوي الفكر إلى رثاء الإمام الحسين عليّاً فرثاه بذوب روحه في مجموعة من روائع نظمه كان من بينها هذه اللوحات:

أسبلت دمع العين بالعبرات وبتت تقاسي شدة الزفرات
وتبكي على آثار آل محمّدٍ فقد ضاق منك الصدر بالحسرات
ألا فابكهم حقاً وأجر عليهم عيوناً لريب الدهر منسكبات
ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم بداهيّة من أعظم النكبات
سقى الله أجداناً على طفّ كربلا مرابع أمطارٍ من المزنات
وصلّي على روح الحسين وجسمه طريحاً على النهرين بالفلوات
قتيلاً بلا جرمٍ ينادي لنصره - فريداً وحيداً - أين أين حماي
أنسى - وهذا النهر يطفح - ظامئاً قتيلاً ومظلوماً بغير ترات

(١) ديوان دعبل (ص ١٠٢).

فقل لابن سعدٍ - أبعد الله سعده - ستلقى عذاب النار واللعنات
سأقنت طول الدهر ما هبت الصبا وأقنت بالآصال والغدوات
على معشرٍ ضلّوا جميعاً وضيّعوا مقال رسول الله بالشبهات
لقد رفعوا رأس الحسين على القنا وساقوا نساءً حسراً ولهات
توقّوا عطاشا نازحين وغادروا مدارس وحى الله مندرسات
يعزّ على المختار أن يمكث ابنه طريقاً بلا دفنٍ لدى الهبوات
ويرفع رأس الروح رأس حبيبه ويسري به للشام في الحريات
وينكثه بالعود من لاكت أمه لحمزة كبداً لم يسغ بلهواة
مصائب أجرت عين كلٍّ موحدٍ دماء رماها القلب بالعبوات (١)

ومثلت هذه الأبيات لوعة الخزاعي وأساه على ما حلّ بابن الرسول وريحانته من فوادح الخطب،
والمصائب المذهلة التي تذوب من هولها الجبال، فقد قتله البغاة استجابةً لرغبات أسيادهم الأمويين، وتركوا
جثمانه الشريف ملقى على صعيد كربلا لم يواروه، واحتزوا رأسه الشريف، وجعلوا يطوفون به في الأقطار
والأمصار تشفيماً منه، وإظهاراً لفرحتهم الكبرى بقتله ...

ولنستمع إلى مقطوعة أخرى من رثائه للإمام الحسين عليه السلام يقول:

رأس ابن بنتٍ محمّدٍ ووصيّهِ يا للرجال على فناةٍ يرفغُ
والمسلمون بمنظريٍّ وبمسّمعٍ لا جازع من ذا ولا متخشّغُ
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى وأتمت عيناً لم تكن بك تهجغُ
كحلت بمنظرك العيون عمايةً وأصمّ نعيك كل أذنٍ تسمعُ
ما روضة إلاّ تمّت أهما لك مضجعٌ ولخط قبرك موضعُ (٢)

لقد نعى دعبل ذهب الحميّة الإسلامية، فقد استسلم المسلمون للذل والهوان، ومدّوا أعناقهم بخنوع
لحكومة يزيد التي استهانت بقيمتهم ومقدّراتهم، فرفعت رأس ابن بنت نبيهم على أطراف الأستة والرماح
يطاف به في الأقطار والأمصار؛ وذلك بمنظر ومسمع من جميع الأوساط، ولم يبد أحد نقمته وسخطه
على يزيد، وفيما أحسب أنّ ذلك كان ناجماً من العنف والإرهاب اللذين سادا على الأمة،

(١) ديوان دعبل (ص ١٠٧).

(٢) ديوان دعبل (ص ٩٩ - ١٠٠).

فكانت السلطة تأخذ بالظنة والتهمة، وتأخذ البرئ بالسقيم، والمقبل بالمدبر، ومن الطبيعي أنّ ذلك أوجب انتشار أوبئة الخوف عند المسلمين...
هذه بعض مرثي دعبل لسيد الشهداء عليه السلام.

هجاؤه:

لقد نغم دعبل على ملوك عصره العباسيين، وهجاهم بأقذع ألوان الهجاء، ولم يكن بذلك مدفوعاً وراء العواطف والأهواء التي لا تمتّ إلى الحق بصلة، فقد جانب أولئك الملوك الحق، وسخروا اقتصاد الأمة إلى شهواتهم فانفقوا ملايين الأموال على المعنّين والعاثين وجلبوا لقصورهم ما حرّم الله من الخمر، وأنواع اللهو في حين أنّ الأمة كانت تعاني الفقر والحرمان، وقد خيّم عليها البؤس ولنستمع إلى بعض هجائه.

هجاؤه للرشيدي:

ولمّا توفّي الإمام الرضا عليه السلام سارع المأمون فدفنه إلى جانب أبيه، وسئل عن ذلك، فقال: ليغفر الله لهارون بجواره للإمام الرضا، ولمّا سمع دعبل ذلك هزأ وقال:

قبران في طوس خير الناس كلّهم وقبر شرّهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يدها فخذ ما شئت أو فذر
وأيّ هجاء لهارون أقذع وأمر من هذا الهجاء، فقد عبّر عنه تارة بشر الناس، وأخرى بالرجس، وأنّ قربه من مثوى الإمام لا ينتفع به، فكل امرئ يعامل بما كسبت يدها، ولا عبرة بغير ذلك.

هجاؤه لإبراهيم:

ولمّا بايع المأمون الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد غضب العباسيون وانتفخت أوداجهم، فعمدوا إلى إبراهيم بن المهدي شيخ المعنّين فبايعوه، وانبرى دعبل إلى هجائه فقال:

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله فهفا إليه كل أطلس مائق
إن كان إبراهيم مضطلعاً بها فلتصلحن من بعده لمخارق
ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل ولتصلحن من بعده للمارق

أني يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق^(١)
وأقدح هجاء وأمره هذا الهجاء، فإنّ الخلافة لو صلحت لإبراهيم لصلحت لغيره من المغنّين، كمنخارق
وزلزل ومارق، وبذلك تكون الدولة دولة المغنّين، وأنّ من المستحيل أن تتحوّل الخلافة إلى هذا المستوى
السحيق، وأن يرث الخلافة فاسق عن فاسق، ومن الطريف أنّ الجند اجتمعوا حول بلاطه يطالبونه
برواتبهم ولم يكن عنده شيء من المال فانبرى أحد الظرفاء فخاطب الجند فقال لهم: سوف يخرج إبراهيم
ويغنيّ لهذا الجانب بصوت، ويغنيّ للجانب الآخر بصوت، وهذا هو أرزاقكم وسمع دعبل بذلك فقال:
يا معشر الأجناد لا تقنطوا خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فَسَوْفَ يُعْطِيكُمْ حُنَيْنِيَّةً يَلْتَأْذُهَا الْأَمْرُدُ وَالْأَشْمَطُ^(٢)
والمعبديات لقسودكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق أجناده خليفة مصحفه الربط
أرأيتم هذه السخرية؟ وهذا الاستهزاء بشيخ المغنّين الذي يرزق أجناده بالغناء الذي لا يدخل الكيس
ولا يربط!؟.

هجاؤه للمعتصم:

أمّا هجاء دعبل للمعتصم فكان مرّاً وقاسياً، وكان المعتصم طاغياً، ظالماً لا عهد له بالرأفة والرحمة،
وقد صدق دعبل في هجائه له بهذه المقطوعة:
بكى لشتات الدين مكثب صب
وقام إمام لم يكن ذا هداية
وما كانت الأنبياء تأتي بمثله
ولكن كما قالوا الذين تتابعوا
ملوك بني العباس في الكتب سبعة
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
وإني لأعلي كلهم عنك رفعة
وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
فليس له دين وليس له لب
يملك يوماً أو تدين له العرب
من السلف الماضين إذ عظم الخطب
ولم تأتنا عن ثامن لهم الكتب
كرام إذا عدوا وثامنهم كلب
لأنتك ذو ذنبٍ وليس له ذنب

(١) ديوان دعبل (ص ١٧٤).

(٢) الأمرد: الذي لا لحية له، والأشمط الذي له لحية.

كأَنَّكَ إِذْ مَلَكَتْنَا لَشِقَاتِنَا عَجُوزٌ عَلَيْهَا التَّاجُ وَالْعَقْدُ وَالْإِتْبُ
 لَقَدْ ضَاعَ مَلِكُ النَّاسِ إِذْ سَاسَ مَلِكُهُمْ وَصَيْفٌ وَأَشْتَاتٌ وَقَدْ عَظُمَ الْكَرْبُ^(١)
 ومثلت هذه الأبيات محنة المسلمين وشقاءهم بخلافة المعتصم الذي لم يتمتع بأي صفة كريمة تؤهله
 لمركز الخلافة الإسلامية التي هي ظل الله في الأرض، وقد ظل دعبل في عهده مختفياً يطارده الرعب
 والفرع، فقد أوعز المعتصم إلى شرطته باعتقاله ولكنهم لم يظفروا به، ولمَّا هلك المعتصم هجاه بهذه
 الأبيات:

قَدِ قَلَّتْ: إِذْ غَيَّبُوهُ وَأَنْصَرَفُوا فِي شَرِّ قَبْرِ لَشَرِّ مَدْفُونٍ
 أَذْهَبَ إِلَى النَّارِ وَالْعَذَابِ فَمَا خَلَّتْكَ إِلَّا مِنَ الشَّيَاطِينِ
 وَمَا زَلَّتْ حَتَّى عَقَدْتَ بَيْعَةَ مَنْ أَضْرَبَ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمَدِينِ^(٢)

هجاؤه للوائق:

ولمَّا تَوَلَّى الْوَائِقَ عَمَدَ دَعْبِلَ إِلَى طُومَارٍ فَكُتِبَ فِيهِ الْأَبْيَاتُ التَّالِيَةُ، وَدَفَعَهَا إِلَى الْحَاجِبِ، وَقَالَ لَهُ: قَلْ
 لَهُ هَذِهِ أَبْيَاتٌ امْتَدَحَكَ بِهَا دَعْبِلُ، وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ:
 الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا صَبِيرٌ وَلَا جَلْدٌ وَلَا عِزَاءٌ إِذَا أَهْلَ الْهَوَى رَقَدُوا
 خَلِيفَةُ مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدٌ وَأَخْرَجُ قَامَ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ أَحَدٌ
 فَمَرَّ هَذَا، وَمَرَّ الشُّؤْمُ يَتْبَعُهُ وَقَامَ هَذَا فَقَامَ الْوَيْلُ وَالنَّكَدُ
 وَلَمَّا فَضَّهَا الْوَائِقُ وَقَرَأَهَا تَمَيَّزَ غِيظًا وَغَضَبًا وَطَلَبَ دَعْبِلَ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الطَّلَبِ فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ
 حَتَّى هَلَكَ الْوَائِقُ^(٣).

هذه صور من هجائه، وهي تمثل اندفاعه نحو الحق، ونصرته للمظلومين والمضطهدين في عصره.
 لقد كان دعبل من زعماء المعارضة للحكم العباسي في عصره، ومن الجناية على الفكر أن يوصم
 الرجل بأنّه خبيث اللسان لم يسلم أحد من الخلفاء من لسانه^(٤) فإنّ هذا القول رخيص، وبعيد عن
 الواقع، لقد هام دعبل في حب أهل البيت الذين اضطهدتهم الحكومات العباسية، وجهدت في ظلمهم
 وظلم شيعتهم فاندفع دعبل

(٢) ديوان دعبل (ص ٢٠٩).

(٤) الأغاني ١٨ / ٢٩.

(١) ديوان دعبل (ص ١٢٩ - ١٣٠).

(٣) ديوان دعبل (ص ١٤٩).

بوحى من عقيدته إلى نصرتهم والذب عنهم والتشهير بخصومهم وليس في ذلك أي نقص عليه، وإنما هو فخر وشرف له.

إلى جنة المأوى:

وظل دعبل معظم حياته مجاهداً ومناضلاً قد سخر من ملوك عصره الذين استباحوا حرمت الله، فهجاهم بأمرٍ وأقذع ألوان الهجاء، وقد طارده السلطة، ورامت تصفيته جسدياً ولكنّه اختفى، وراح يجوب في الأقطار يلاحقه الفرع والخوف، وهو القائل في تائيته الخالدة:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

وقد أعلن بشجاعة فائقة استعدادة للموت فقال: (لي خمسون سنة أحمل خشبتي - أي خشبة الإعدام - على كتفي أدور على من يصليني عليها فما أجد من يفعل ذلك).

وكانت نهاية دعبل على يد ذئب من ذئاب عصره وهو مالك بن طوق التغلبي فقد طلبه فهرب إلى البصرة، وكان والياً عليها إسحاق بن العباس العباسي وقد بلغه هجاء دعبل له، فأمر بإلقاء القبض عليه، فجيء به إليه مخفوراً فدعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه، فأنكر دعبل القصيدة التي قيلت في ذمّه وأنّ عدداً له قالها ونسبها له ليغري بدمه، وجعل دعبل يتصرّع إليه فأعفاه من القتل إلاّ أنّه دعا بالعصي والمقارع، وأعمال عليه ضرباً بوحشيّة قاسية، ثمّ خلّى سبيله فهرب إلى (الأهواز) ^(١).

وسارع مالك بن طوق فبعث رجلاً حصيماً مقداماً وأعطاه سماً، وأمره باغتيال دعبل، وأعطاه عوض هذه الجريمة عشرة آلاف درهم، وانبرى الرجل مسرعاً إلى (الأهواز) فجدّ في طلب دعبل فعثر عليه في قرية من نواحي (السوس) فاغتاله بعد صلاة العتمة، فضربه على ظهر قدمه بعكاز له زج مسموم فتسمم بدنه، ومات في غده، ودفن بتلك القرية، وقيل: بل حمل إلى (السوس) فدُفن فيها ^(٢) وانتهت بذلك حياة هذا المجاهد الذي قارع الباطل بشجاعة، وقد رثاه صديقه الشاعر الكبير أبو تمام الطائي بهذه الأبيات:

(١) الأغاني ١٨ / ٦٠.

(٢) الأغاني ١٨ / ٦٠.

قد زاد في كلفني وأوقد لوعتي مشوى حبيب يوم مات ودعبل
أخوي لا تزل السماء نحيلة تغشاكما بسماء مزن مسبل
حدث على الأهواز يبعد دونه مسرى النعي ورمة بالموصل^(١)
رحم الله دعياً فقد كان علماً من أعلام الإسلام، وقد استشهد في سبيل المبادئ الكريمة والمثل العليا
التي تبناها في جميع أدوار حياته.

(ر)

١٢٨ - رحيم عبدوس:

الخنجي، روى عن الإمام أب [الحسن الرضا عليه السلام]، وروى عنه علي بن الحكم^(٢).

١٢٩ - ريان بن شبيب:

خال المعتصم العباسي، ثقة سكن (قم)، وروى عنه أهلها، وجمع مسائل الصباح ابن نصر الهندي
للإمام الرضا عليه السلام^(٣)، وقد روى عنه الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه إبراهيم بن هاشم^(٤).

١٣٠ - الريان بن الصلت:

الأشعري، القمي، أبو علي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، ثقة، صدوق، له كتاب جمع فيه كلام
الإمام الرضا عليه السلام في الفرق بين الآل والأئمة^(٥)، وروى معمر بن خلاد قال: قال لي الريان بن الصلت،
وكان الفضل بن سهل بعثه إلى بعض كور خراسان: أحب أن تستأذن لي على أبي الحسن عليه السلام فأسلم
عليه وأودعه وأحب أن يكسوني من ثيابه، وأن يهب لي من الدراهم التي ضُربت باسمه، قال: فدخلت
عليه، فقال لي مبتدئاً: يا معمر بن ريان، أيجب أن يدخل علينا فأكسوه من ثيابي وأعطيته من دراهمي؟
قال: قلت سبحان الله!! والله ما سألتني إلا أن أسألك ذلك له، فقال: يا معمر إن المؤمن موفق

(١) وفيات الأعيان ١ / ١٨٠.

(٢) معجم رجال الحديث ٧ / ١٨٣.

(٣) النجاشي.

(٤) فروع الكافي الجزء السابع كتاب الوصية.

(٥) النجاشي.

قل له: فليجيء قال: فأذنت له فدخل عليه فسلم فدعا له بثوب من ثيابه، فلما خرج قلت: أي شيء أعطاك؟ وإذا في يده ثلاثون درهماً^(١).

(ز)

١٣١ - زكريا بن آدم:

ابن عبد الله بن سعد الأشعري، القمي، ثقة جليل، عظيم القدر، كان له وجه عند الإمام الرضا عليه السلام، له كتاب^(٢)، وروى الكشي أنه سمع من بعض أصحابنا عن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي، قال: دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام في آخر عمره فسمعتة يقول: جزى الله صفوان بن يحيى، ومحمد بن سنان، وزكريا ابن آدم عتي خيراً، فقد وفوا لي.

وروى محمد بن حمزة عن زكريا بن آدم قال: قلت للرضا عليه السلام: إني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فيهم فقال: لا تفعل، فإن أهل بيتك يدفع عنهم - أي البلاء - بك، كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام^(٣).

ومما يدل على جلالة قدره وسمو مكانته ما رواه علي بن المسيب قال: قلت للرضا عليه السلام: شققتي بعيدة، ولست أصل إليك في كل وقت فعمّن آخذ معالم ديني؟ فقال عليه السلام: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا، قال علي بن المسيب: فلما انصرفت قدمت على زكريا بن آدم فسألته عمّا احتجت إليه.

وروى محمد بن إسحاق والحسن بن محمد قالا: خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم بثلاثة أشهر نحو الحج، فتلقانا كتابه عليه السلام في بعض الطريق فإذا فيه ذكرت ما جرى من قضاء الله به في الرجل المتوفى رحمه الله يوم ولد، ويوم قبض، ويوم يبعث حياً، فقد عاش أيام حياته عارفاً بالحق، قائلاً به: صابراً محتسباً للحق، قائماً بما يحببه الله ورسوله ومضى رحمه الله غير ناكث، ولا مبدّل فجزاه الله أجر نبيه وأعطاه خير أمنيته، وذكرت الرجل الموصى إليه، ولم تعرف فيه رأينا، وعندنا من المعرفة به أكثر ممّا

(١) الكشي.

(٢) النجاشي.

(٣) الكشي.

وصفت - يعني الحسن بن محمد بن عمران - (١) وقد كشفت هذه الرواية عن سمو مكانته عند الإمام
عليه السلام.

١٣٢ - زكريا أبو يحيى:

كوكب الدم، عدّه الشيخ في باب الكنى من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٢) وقال أبو يحيى الموصلي:
كان زكريا أبو يحيى شيخاً من الأخيار (٣) وضعفه ابن الغضائري.

١٣٣ - زكريا بن إدريس:

ابن عبد الله بن سعد الأشعري، القمي أبو جرير، روى عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وأبي الحسن
والرضا عليه السلام، له كتاب (٤)، وروى زكريا قال: دخلت على الرضا عليه السلام من أول الليل في حدثان موت أبي
جرير فسألني عنه، وترحم عليه، ولم يزل يحدثني وأحدثه حتى طلع الفجر، فقام عليه السلام فصلّى الفجر (٥).

١٣٤ - زكريا بن عبد الصمد:

القمي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه ثقة، يكتى أبا جرير من أصحاب
أبي الحسن موسى عليه السلام (٦).

١٣٥ - زكريا بن محمد:

أبو عبد الله المؤمن، روى عن الإمام أبي عبد الله والإمام أبي الحسن عليه السلام، ولقي الإمام الرضا
عليه السلام في المسجد الحرام، وحكى عنه ما يدل على الوقف، وكان مختلط الأمر في حديثه له كتاب متحل
الحديث (٧).

(١) الكشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) معجم رجال الحديث ٧ / ٢٧٢.

(٤) النجاشي.

(٥) الكشي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) النجاشي.

١٣٦ - زكريا بن يحيى:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه بكر بن صالح ^(١).
(س)

١٣٧ - سعد بن حماد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وأضاف: إنّه مجهول ^(٢).

١٣٨ - سعد بن سعد:

ابن الأحوص بن سعد بن مالك الأشعري القمّي، ثقة، روى عن الإمام الرضا والإمام أبي جعفر عليهما السلام كتابه المبوب، وروى محمد بن خالد عنه مسائله للإمام الرضا عليه السلام ^(٣) وروى عبد الله بن الصلت القمّي قال: دخلت على الإمام أبي جعفر الثاني في آخر عمره... قال: (جزى الله صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان، وزكريا بن آدم، وسعد بن سعد فقد وفوا لي!) ^(٤).

١٣٩ - سعد خادم أبي دلف:

قال الشيخ: له مسائل عن الإمام الرضا عليه السلام أخبرنا بها عدّة من أصحابنا عن أبي الفضل عن ابن بطة عن أحمد بن عبد الله ^(٥).

١٤٠ - سعيد بن جناح:

الأزدي، مولاهم بغدادي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام هو وأخوه أبو عامر، كانا ثقتين له كتاب صفة الجنة والنار، وكتاب قبض روح المؤمن والكافر ^(٦).

١٤١ - سعيد بن سعيد:

القمّي، ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٧).

(١) معجم رجال الحديث.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) النجاشي.

(٤) الكشي.

(٥) فهرست الطوسي.

(٦) النجاشي.

(٧) رجال الطوسي.

١٤٢ - سليمان بن جعفر:

الطالبي الجعفري، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى أبوه عن الإمام أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وكانا ثقتين، له كتاب (فضل الدعاء) ^(١).

١٤٣ - سليمان بن الجعفري:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه أبو أيوب المدني ^(٢).

١٤٤ - سليمان بن حفص:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه محمد بن إسماعيل ^(٣).

١٤٥ - سليمان بن حفص:

المروزي روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ^(٤).

١٤٦ - سليمان بن داود:

الحقاف: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥).

١٤٧ - سليمان بن رشيد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦)، روى عن أبيه وروى عنه محمد بن عيسى ^(٧).

١٤٨ - السندي بن الربيع:

الكوبي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٨).

(١) النجاشي.

(٢) معجم رجال الحديث ٨ / ٢٤٢.

(٣) معجم رجال الحديث ٨ / ٢٤٤.

(٤) معجم رجال الحديث ٨ / ٢٦٢.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) معجم رجال الحديث.

(٨) رجال الطوسي.

١٤٩ - سودة القطان:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ، وروى عنه الحسن بن علي ابن فضال ^(١) .

١٥٠ - سهل بن الأشعري:

روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ، وروى عنه ابنه محمد ^(٢) .

١٥١ - سهل بن اليسع:

ابن عبد الله بن سعد الأشعري، القمي، ثقة، روى عن الإمام موسى والإمام الرضا عليهما السلام ^(٣) .
(ش)

١٥٢ - شعيب بن حماد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤) ، وعدّه البرقي من أصحاب الكاظم عليه السلام ^(٥) .
(ص)

١٣٥ - صالح بن عبد الله:

الختعمي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦) ، وكذلك عدّه البرقي.

١٥٤ - صالح بن علي:

ابن عطية، البغدادي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٧) ، وعدّه البرقي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام .

(١) معجم رجال الحديث .

(٢) معجم رجال الحديث ٨ / ٣٣٣ .

(٣) معجم رجال الحديث .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال البرقي .

(٦) رجال الطوسي .

(٧) رجال الطوسي .

١٥٥ - صالح الخباز:

الكوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

١٥٦ - صباح بن نصر:

الهندي: له مسائل الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

١٥٧ - صدقة الخراساني:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

١٥٨ - صفوان بن يحيى:

أبو محمد البجلي، بياع السابري، كوفي، ثقة، روى أبوه عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وروى هو عن الإمام الرضا عليه السلام،

وكانت له عنده منزلة شريفة ذكره الكشي في رجال الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام.

وقد توكل للإمام الرضا والإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام، وسلم مذهبه من الوقف، وكان على جانب عظيم من الزهد والعبادة، وقد بذل له جماعة من الواقفة أموالاً كثيرة، فلم يستجب لهم، وكان صديقاً حميماً لعبد الله بن جندب، وعلي بن النعمان، وروى أنهم تعافدوا في بيت الله الحرام، أنه من مات منهم صلى من بقي صلاته، وصام عنه صيامه، وزكى عنه زكاته، فماتا وبقي صفوان، فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر، ويزكي زكاته ثلاث دفعات وكل ما يتبرع به عن نفسه ممّا عدا ما ذكرناه تبرع عنهما مثله.

ومن شدة تحرجه وتقواه أنّ إنساناً كلفه حمل دينارين إلى أهله في الكوفة، فقال له: إنّ جمالي مكررة، وأنا استأذن الأجراء، وكان على جانب كبير من الورع والعبادة على ما لم يكن عليه أحد من طبقته.

وقد صنّف ثلاثين كتاباً لم يعرف منها إلا ما يلي:

١ - كتاب الوضوء.

٢ - كتاب الصلاة.

(١) رجال الطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث.

(٣) رجال الطوسي.

٣ - كتاب الصوم.

٤ - كتاب الحج.

٥ - كتاب الزكاة.

٦ - كتاب النكاح.

٧ - كتاب الطلاق.

٨ - كتاب الفرائض.

٩ - كتاب الوصايا.

١٠ - كتاب الشراء والبيع.

١١ - كتاب العتق والتدبير.

١٢ - كتاب البشارات.

١٣ - كتاب النوادر.

وقد ذكرت عنه أحاديث مشرقة في التقوى، كما نقلت عن أئمة الهدى أحاديث في مدحه والثناء عليه... انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة (٢١٠ هـ) ^(١).

(ط)

١٥٩ - طاهر بن حاتم:

ابن ما هوية القزويني، أخو فارس بن حاتم، كان صحيحاً ثم خلط، له كتاب ذكره الحسن بن الحسين ^(٢) قال الشيخ: كان مستقيماً ثم تغير، وأظهر القول بالغلو، له روايات ^(٣).

(ع)

١٦٠ - عباد بن محمد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

١٦١ - العباس بن جعفر:

ابن محمد، ابن الأشعث، روى الصدوق بسنده إلى الحسن بن علي الوشاء،

(١) معجم رجال الحديث ٩ / ١٢٨ - ١٣٣.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

قال: سألني العباس بن جعفر، أن أسأل الإمام الرضا عليه السلام أن يحرق كتبه إذا قرأها مخافة أن تقع في يده غيره، فابتدأني عليه السلام قبل أن أسأله... اعلم صاحبك أيّ إذا قرئت كتبه إليّ حرقتها ^(١).

١٦٢ - العباس بن محمد:

الوزّاق، يونسى، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

١٦٣ - العباس بن معروف:

أبو الفضل مولى جعفر بن عبد الله الأشعري، قمّي، ثقة، له كتاب الآداب، وله نوادر ^(٣).

١٦٤ - العباس بن موسى:

النخّاس، كوفي، ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

١٦٥ - العباس بن هشام:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥)، وقال النجاشي: إنّه من قبيلة بني أسد، وأتته ثقة جليل في أصحابنا، كثير الرواية، كسر اسمه فليل عبيس، له كتب منها كتاب الحج، وكتاب الصلاة، وكتاب المثالب سماه كتاب خالات فلان وفلان، وكتاب جامع الحلال والحرام، وكتاب الغيبة، وكتاب نوادر، والرواة كثيرة عنه في هذه الكتب. توفّي رحمه الله سنة (٢٢٠ هـ) ^(٦).

١٦٦ - العباس مولى الإمام الرضا:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه محمد بن علي ^(٧).

(١) عيون أخبار الرضا.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) النجاشي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) رجال النجاشي.

(٧) معجم رجال الحديث.

١٦٧ - عباس النجاشي:

كوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

١٦٨ - عبد الجبار بن المبارك:

النهاوندي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، كما عدّه من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ^(٢).

١٦٩ - عبد الحميد بن سعيد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، كما عدّه من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ^(٣).

١٧٠ - عبد الرحمن بن أبي نجران:

مولى كوفي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى أبوه نجران عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وكان عبد الرحمن ثقة، ثقة، معتمداً على ما يرويه، له كتب كثيرة، قال أبو العباس: لم أر منها إلا كتابه في البيع والشراء ^(٤).

١٧١ - عبد السلام بن صالح:

المروزي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، ثقة صحيح الحديث له كتاب (وفاة الرضا عليه السلام) ^(٥)، روى الصدوق عن محمد بن عبد الله ابن طاهر، قال: كنت واقفاً على رأس أبي، وعنده أبو الصلت المروزي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت المروزي: حدثني علي بن موسى الرضا عليه السلام - وكان والله رضي كما سمي - عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: رسول الله (ص): الإيمان قول وعمل، فلما خرجنا قال أحمد بن محمد بن حنبل: ما هذا الإسناد؟ فقال له أبي: هذا سعوط المجانين إذا سعط

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) النجاشي.

(٥) النجاشي.

به المجنون أفاق^(١).

١٧٢ - عبد العزيز بن مسلم:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٢) وهو الذي روى عنه رواية مبسوطه في بيان مقام الإمام عليه السلام، وأنّ منزلة الإمامة منزلة الأنبياء، وأنها خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، وفيها الاستدلال بالآيات على انحصار الإمامة في المعصومين عليهم السلام^(٣).

١٧٣ - عبد العزيز بن المهدي:

الأشعري، القمي، ثقة، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، له كتاب^(٤) قال في حقّه الفضل بن شاذان: ما رأيت قميّاً يشبهه في زمانه، وقال أيضاً في حقّه: كان خيّر، قمي، فيمن رأيتّه، وكان وكيل الرضا عليه السلام^(٥)، كما كان للإمام الجواد عليه السلام، وقد دفع إليه أموالاً من الحقوق فتسلّمها وكتب إليه بعد البسملة (وقد عرفت الوجوه التي صارت إليك منها غفر الله لك ولهم الذنوب ورحمنا وإياكم)^(٦).

١٧٤ - عبد الله بن أبان:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٧)، روى عنه الإمام الرضا، وروى عنه علي بن إسماعيل الدغشني^(٨).

١٧٥ - عبد الله بن إبراهيم:

الأنصاري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٩).

(١) معجم رجال الحديث ١٠ / ٢٠.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) معجم رجال الحديث ١٠ / ٣٨.

(٤) معجم رجال الحديث.

(٥) النجاشي.

(٦) الغيبة للطوسي.

(٧) رجال الطوسي.

(٨) معجم رجال الحديث ١٠ / ٨١.

(٩) رجال الطوسي.

١٧٦ - عبد الله بن أيوب:

الجزيني، أبو محمد، كان منقطعاً إلى الإمام الرضا عليه السلام، وكان فاضلاً شاعراً أديباً، وقد رثا الإمام الرضا عليه السلام، وقال يخاطب ولده الإمام الجواد:

يا بن الوصي وصيِّ أكرم مرسلٍ أعني النبيِّ الصادق المصدوقا
لا يسبقني في شفاعتكم غداً أحدٌ فليست بـجـبـكم مسبقوا
يا بن الثمانية الأئمة غريبوا وأبا الثلاثة شرّقوا تشريقا
إنَّ المشارق والمغارب أنتم جاء الكتاب بذلك تصديقا ^(١)

١٧٧ - عبد الله بن جندب:

هو العالم العابد الزاهد، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الصادق تارة، ومن أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام أخرى، وثالثة من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وهو أحد وكلاء الإمام الكاظم والإمام الرضا عليه السلام، وقد قال للإمام الكاظم عليه السلام ألسنت عتي راضياً، قال عليه السلام: أي والله، ورسول الله عنك راض. وروى يونس بن عبد الرحمن قال: رأيت عبد الله بن جندب وقد أفاض من عرفات، وكان عبد الله أحد المجتهدين، قال يونس: فقلت له: قد رأى الله اجتهادك منذ اليوم، فقال عبد الله: والله الذي لا إله إلا هو لقد وقفت موقفي هذا، وأفضت ما سمعني الله دعوت لنفسي بحرف واحد؛ لأني سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الداعي لأخيه المؤمن يظهر الغيب ينادى من أعنان السماء لك بكل واحدة مائة ألف، فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدري أجاب إليها أم لا؟

وروى الحسن بن علي بن يقطين، وكان سيئ الرأي في يونس، قال: قيل لأبي الحسن عليه السلام وأنا أسمع أنّ يونس مولى آل يقطين يزعم أنّ مولاكم والمتمسك بطاعتكم عبد الله بن جندب يعبد الله على سبعين حرفاً. ويقول إنّه شاك، فقال عليه السلام: هو والله أولى بأن يعبد الله على حرف، ما له ولعبد الله بن جندب إنَّ عبد الله بن جندب لمن المحبتين ^(٢).

(١) معجم رجال الحديث، وحياة الإمام محمد الجواد (ع).

(٢) الكشي.

١٧٨ - عبد الله بن الحارث:

وهو ممن روى النص من الإمام الكاظم عليه السلام على إمامة ولده الإمام الرضا عليه السلام^(١).

١٧٩ - عبد الله بن الصلت:

أبو طالب القمي، مولى بني تميم، ثقة مسكون إلى روايته، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، يعرف له كتاب التفسير^(٢)، وعدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا ومن أصحاب الإمام الجواد عليه السلام^(٣). وقد كتب إلى الإمام الجواد عليه السلام أن يأذن له أن يندب أباه، فكتب عليه السلام له أن اندبني، واندب أبي^(٤) وكتب إلى الإمام الجواد

عليه السلام بأبيات شعر، وذكر فيها أباه الإمام الرضا، وسأله أن يأذن له ليقول فيه الشعر فقطع الشعر وحبسه، وكتب في صدر ما بقي من القرطاس قد أحسنت فجزاك الله خيراً^(٥).

١٨٠ - عبد الله بن طاووس:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنه عاش مائة سنة^(٦).

١٨١ - عبد الله بن علي:

ابن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، روى عن الإمام الرضا عليه السلام له نسخة رواها^(٧).

١٨٢ - عبد الله بن المبارك:

النهاوندي، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٨).

(١) معجم رجال الحديث نقلاً عن الإرشاد للشيخ المفيد.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال البرقي.

(٤) الكشي.

(٥) الكشي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) النجاشي.

(٨) معجم رجال الحديث ١٠ / ٣٥.

١٨٣ - عبد الله بن محمد:

الأسدي، الحجال، مولى بني تميم، ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا^(١).
وكذلك عدّه البرقي^(٢)، قال النجاشي: إنّه ثقة، ثقة ثبت، له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا.

١٨٤ - عبد الله بن محمد:

ابن حصين الحضيبي الأهوازي، روى عن الإمام الرضا^(٣) ثقة ثقة، له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا، أمّا اسم ذلك الكتاب فهو (المسائل للرّضا^(٤))^(٥).

١٨٥ - عبد الله بن محمد:

ابن علي بن العباس التميمي الرازي، له نسخة عن الإمام الرضا^(٦).

١٨٦ - عبد الله بن المغيرة:

مولى بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، خزاز كوفي، عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام الرضا^(٧)، وروى الكشي قال: وحدث بخط أبي عبد الله الشاذاني، قال العبيدي: محمد بن عيسى حدثني الحسن بن علي بن فضال قال: قال عبد الله بن المغيرة كنت واقفاً فحججت على تلك الحالة، فلمّا صرت بمكة خلج في صدري شيء فتعلّقت بالملتزم، فقلت: اللهمّ قد علمت طلبتي وإرادتي، فأرشدني إلى خير الأديان فوق في نفسي أن آتي الرضا^(٨)، فأتيت المدينة فوقفتم ببابه فقلت للغلام: قل لمولايك رجل من أهل العراق بالباب، فسمعت نداءه ادخل يا عبد الله بن المغيرة، فدخلت فلمّا نظر إليّ قال: قد أجاب الله دعوتك وهداك لدينه، فقلت: أشهد أنّك حجّة الله وأمينه على خلقه^(٩).

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال البرقي.

(٣) النجاشي.

(٤) معجم رجال الحديث.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) الكشي.

وروى سهل بن زياد الآدمي قال: لَمَّا صَنَّفَ عبد الله بن المغيرة كتابه، وعد أصحابه أن يقرأ عليهم في زاوية من زوايا مسجد الكوفة، وكان له أخ مخالف، فلَمَّا حضروا لاستماع الكتاب جاء أخوه، وجلس فقال عبد الله لهم: انصرفوا اليوم، فقال له أخوه: أين ينصرفون؟ فإني جئت لما جاؤوا، فقال: لم جاؤوا؟ قال يا أخي رأيت فيما يرى النائم أنّ الملائكة تنزل من السماء فقلت: لماذا ينزلون؟ فقد قال: ينزلون ليستمعوا الكتاب الذي يخرجهم عبد الله بن المغيرة، فأنا أيضاً جئت لهذا، وأنا تائب إلى الله، فسُتِرَ عبد الله بذلك^(١).

١٨٧ - عبد الوهاب:

المعروف بأبي كثير، النهاوندي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

١٨٨ - عبيد النصري:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

١٨٩ - عبيد الله:

ابن أبي عبد الله، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه السيارى^(٤).

١٩٠ - عبيد الله بن إسحاق:

المدائني، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه عمرو بن عثمان^(٥).

١٩١ - عبيد الله بن عبد الله:

الدهقان، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه علي بن الريان^(٦).

(١) معجم رجال الحديث ١٠ / ٣٥٤.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) معجم رجال الحديث ١١ / ٧٢.

(٦) معجم رجال الحديث ١١ / ٨٢.

١٩٢ - عبيد الله بن علي:

ابن عبيد الله، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.^(١)

١٩٣ - عثمان بن راشد:

من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، روى عن معروف بن خربوذ، وروى عنه علي بن حديد^(٢).

١٩٤ - عثمان بن عيسى:

أبو عمرو، العامري، الكلابي، شيخ الواقفة ووجهها، وأحد الوكلاء المستبدين بأموال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وذكر نصر بن الصباح قال:

كان له - يعني للإمام الرضا عليه السلام - في يده مال فمنعه، فسخط عليه، وقال:

ثم تاب وبعث إليه بالمال وكان يروى عن ابن حمزة، وقد رأى في المنام أنّه يموت بـ (الحائر الحسيني) فترك منزله بالكوفة، وأقام بـ (الحائر) حتى مات، ودُفن هناك.

وصنّف كتاباً منها: كتاب المياه.

وقد عدّه ابن شهر آشوب من ثقات الإمام الكاظم عليه السلام، وقال الإمام الخوئي: لا ينبغي الشك في أنّ

عثمان بن عيسى كان منحرفاً عن الحق، ومعارضاً للرضا عليه السلام، وهو غير معترف بإمامته، وقد استحلّ

أموال الإمام عليه السلام، ولم يدفعها إليه، وأمّا توبته وردّه الأموال بعد ذلك فلم يثبت فإنّها رواية نصر بن

الصباح وهو ليس بشيء^(٣).

١٩٥ - عطية بن رستم:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه مجهول^(٤).

١٩٦ - عقبة بن رستم:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.^(٥)

(١) رجال الطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث ١١ / ١١٦.

(٣) معجم رجال الحديث ١١ / ١٢٦.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

١٩٧ - علي بن أبي ثور:

كوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

١٩٨ - علي بن أحمد:

ابن أشيم، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

١٩٩ - علي بن إدريس:

صاحب الإمام الرضا عليه السلام، ذكره الصدوق في (المشيخة)، روى عن الإمام الرضا وروى عنه محمد بن سهل ^(٣).

٢٠٠ - علي بن أسباط:

ابن سالم بياح الزطي ^(٤) أبو الحسن المقرئ، كوفي ثقة، كان فطحياً، وجرت بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في ذلك، فرجع علي عن فكرته وقال بإمامة الإمام الجواد عليه السلام، وكان من أوثق الناس وأصدقهم لهجة له كتاب الدلائل ^(٥).

٢٠١ - علي بن جعفر:

ابن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، أبو الحسن جليل القدر وثيق الإيمان، وهو أحد رواة النص على إمامة الإمام الكاظم عليه السلام كما كان من ثقاته، ونقل الرواة بوادر من إيمانه وتخرجه في الدين، وهذه بعضها:

١ - حدث علي بن جعفر، فقال: قال لي رجل أحسبه من الواقفية:

(ما أخوك أبو الحسن - يعني الإمام موسى عليه السلام -).

فأجابه:

(قد مات).

(ما يدريك بذلك؟).

فأجابه بمنطق الفصل:

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) معجم رجال الحديث ١١ / ٢٧٦.

(٤) الزطي: نوع من السودان والهنود، مجمع البحرين.

(٥) النجاشي.

(اقتسمت أمواله، وأنكحت نساؤه، ونطق الناطق من بعده، - أي قام الإمام من بعده -).
(من الناطق من بعده؟).

(أبو جعفر ابنه).

وانبرى الرجل قائلاً:

(وأنت في سنّك، وقدرك، وأبوك جعفر بن محمد تقول: هذا القول في هذا الغلام؟!).

وأجابه بواقع الإيمان قائلاً:

(ما أراك إلاّ شيطاناً، ثم أخذ بكرمته فرفعها إلى السماء، وقال: ما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا -

أي للإمامة - ولم تكن هذه الشبهة أهلاً لها).

إنّ الإمامة بيد الله تعالى، فهو الذي يختار لها من أزكياء عباده، ولا عبرة بتقدّم السن وغيره.

٢ - روى أبو جعفر عبد الله الحسين بن الإمام موسى عليه السلام قال: كنت عند الإمام أبي جعفر - يعني

الإمام الجواد عليه السلام - بالمدينة وعنده علي بن جعفر وأعرابي من أهل المدينة جالس، فقال لي الأعرابي:

(من هذا الفتى - وأشار إلى الإمام الجواد -).

فقلت له:

هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبهر الأعرابي وقال:

(يا سبحان الله! رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات منذ مائتي سنة كذا وكذا سنة... وهذا حدث، كيف يكون

وصي رسول الله صلى الله عليه وآله؟).

وأوضح له الحسين الأمر قائلاً:

(هذا وصي علي بن موسى، وعلي وصي موسى بن جعفر، وموسى وصي جعفر بن محمد، وجعفر

وصي محمد بن علي، ومحمد وصي علي بن الحسين، وعلي وصي الحسين، والحسين وصي الحسن،

والحسن وصي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله).

وعرف الأعرابي وصيّة الإمام الجواد عليه السلام للنبي (ص) وكان الإمام

قد بعث إلى طيب لفصده، فقال علي بن جعفر، فقال:
(يا سيدي يبدأ بي لتكون حدّة الحديد في قبلك).
وانبرى الحسين فخطب الأعرابي قائلاً: (هذا عمّ أبيه).
ولمّا فرغ الطيب من عملته أراد الإمام أن يخرج، فأسرع علي بن جعفر فسوّى له نعليه حتى
يلبسهما).

ودلّ ذلك على عميق إيمانه ومعرفته بالإمام وما له من المنزلة العظيمة عند الله تعالى.
٣ - روى محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر جالساً بالمدينة، وكنت أقمت
عنده سنتين أكتب عنه ما يسمع من أخيه - يعني أبا الحسن عليه السلام -: إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن
علي الرضا عليه السلام المسجد - أي مسجد النبي (ص) - فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبّل يده
وعظّمه، فقال له الإمام عليه السلام.
(يا عم اجلس رحمك الله).

فردّ عليه علي بأدب وخضوع قائلاً: (يا سيدي كيف اجلس، وأنت قائم؟).
ولمّا رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوتخونه على تعظيمه للإمام عليه السلام قائلين: (أنت
عمّ أبيه، وأنت تفعل هذا الفعل؟).

ولم يفهموا حقيقة الإمامة، وأنّ الله تعالى قد منحها للإمام الجواد فأجابهم علي قائلاً: (اسكنوا إذا
كان الله عزّ وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة، وأهل هذا الفتى، ووضع حيث وضعه،
وكيف أنكر فضله؟ نعوذ بالله ممّا تقولون بل أنا له عبد) (١).

(١) الكشي.

٢٠٢ - علي بن حديد:

ابن حكيم، المدائني، الأزدي، الساباطي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(١)، وعدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا والجواد عليهما السلام، وروى الكشي بسنده عن أبي علي بن راشد عن أبي جعفر عليه السلام قال: أبو علي للإمام: جعلت فداك قد اختلف أصحابنا فأصّلني خلف أصحاب هشام بن الحكم؟ قال عليه السلام: عليك بعلي بن حديد، قلت: فأخذ بقوله؟ قال: نعم، فلقيت علي بن حديد فقلت: نصّلني خلف أصحاب هشام بن الحكم؟ قال: لا.

وفي هذه الرواية - إن صحّت - دلالة على توثيق الرجل، ومدحه.

٢٠٣ - علي بن الحسن:

ابن رباط، البجلي، الكوفي، ثقة، معول عليه، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، له كتاب الصلاة ^(٢).

٢٠٤ - علي بن الحسين:

ابن يحيى، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٢٠٥ - علي بن سعيد:

المدائني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٤).

٢٠٦ - علي بن سويد:

السائي ^(٥) عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه ثقة ^(٦)، وروى الكشي أنّه كتب إلى الإمام الكاظم رسالة حينما كان في السجن يسأله فيها عن حاله، وعن جواب مسائل كتبها إليه، فأجابه برسالة جاء في بعض فصولها بعد البسملة (الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين،

(١) رجال الطوسي.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) السائي: ينسب إلى قرية قريبة من المدينة يقال لها الساية.

(٦) رجال الطوسي.

وبعظمته ونوره عدّه الجاهلون، وبعظمته ابتغى إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة، والأديان الشتى، فمصيب ومخطئ، وضال ومهتدي، وسميع وأصم، وبصير وأعمى، وحيران، فالحمد لله الذي عرف وصف دينه بمحمد ﷺ، أما بعد: فإنك امرؤ أنزلك الله من آل محمد (ص) بمنزلة خاصة مودة بما ألهمك من رشدك، وبصرك في أمر دينك بفضلهم، ورد الأمور إليهم والرضى بما قالوا...).

وجاء في جانب آخر من هذه الرسالة:

(ادع إلى صراط ربك فينا من رجوت إجابته، ولا تحصر حصرنا، ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنّا أن نسب إلينا: (هذا باطل) وإن كنت تعرف خلافه فإنك لا تدري لم قلناه؟ وعلى أي وجه وصفناه، آمن بما أخبرتك ولا تفش ما استكمتك، أخبرك أنّ من أوجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً ينفعه لا من دنياه ولا من آخرته) ^(١).

وفي هذه الرسالة جوانب مهمّة، وقد دلّت على سموّ مكانة علي، وعظيم منزلته عند الإمام عليّ.

٢٠٧ - علي بن سيف:

ابن عميرة النخعي، الكوفي، مولى، ثقة، روى عن الإمام الرضا عليّ، له كتاب كبير ^(٢).

٢٠٨ - علي بن صاعد:

البربري، روى عن الإمام الرضا عليّ، وروى عنه ابنه الحسين ^(٣).

٢٠٩ - علي بن عبد الله:

ابن عمران، روى عن الإمام الرضا عليّ، وروى عنه سعد بن السندي ^(٤).

٢١٠ - علي بن عبيد الله:

ابن الحسين، بن علي بن الحسين عليّ، أبو الحسن، كان أزهد آل

(١) الكشي.

(٢) النجاشي.

(٣) معجم رجال الحديث ١٢ / ٦٦.

(٤) معجم رجال الحديث ١٢ / ٨٧.

أبي طالب، وأعبدتهم في زمانه، وأختص بالإمام موسى وبالإمام الرضا عليهما السلام، واختلط بالإمامية، ولمّا أراد محمد بن إبراهيم طباطبا أن يبايع له أبو السرايا بعدّه أبي عليه، ورد الأمر إلى محمد بن زيد... له كتاب الحج يرويه كله عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ^(١).

وروى الكشي قال: قرأت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار بخطّه: حدثني محمد بن يحيى العطار، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن سليمان بن جعفر، قال: قال لي علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا أسلم عليه، قلت: فما يمنعك عن ذلك؟ قال: الإجلال والهيبة له، وأتقي عليه، قال: فاعتلّ أبو الحسن عليهما السلام علّة خفيفة، وقد عدّه الناس، فلقيت علي بن عبيد الله فقلت: قد جاءك ما تريد، قد اعتلّ أبو الحسن عليهما السلام علّة خفيفة وقد عدّه الناس، فإن أردت الدخول عليه فاليوم، قال: فجاء إلى أبي الحسن عليهما السلام عائداً، فلقيه أبو الحسن عليهما السلام بكل ما يجب من المكرمة والتعظيم، ففرح بذلك علي بن عبيد الله فرحاً شديداً، ثم مرض علي بن عبيد الله فعده أبو الحسن عليهما السلام، وأنا معه، فجلس حتى خرج من كان في البيت، فلمّا خرجنا أخبرني مولاة لنا أنّ أم سلمة امرأة علي بن عبيد الله كانت وراء الستر تنظر إليه، فلمّا خرج خرجت، وانكبت على الموضع الذي كان أبو الحسن عليهما السلام فيه جالساً تقبله، وتتمسّح به. قال سليمان: ثم دخلت على علي بن عبيد الله فأخبرني بما فعلت أم سلمة، فخبرت أبا الحسن عليهما السلام، فقال: يا سليمان إنّ علي بن عبيد الله وامرأته وولده من أهل الجنة، يا سليمان إنّ ولد علي وفاطمة إذا عرفهم الله هذا الأمر - يعني الإمامة - لم يكونوا كالناس ^(٢).

٢١١ - علي بن عثمان:

ابن رزين، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليهما السلام ^(٣).

(١) النجاشي.

(٢) الكشي.

(٣) رجال الطوسي.

٢١٢ - علي بن علي:

ابن رزين الخزاعي، أخو دعبل، له كتاب كبير عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى إسماعيل بن علي عن أبيه علي قال: حدثني أبي سنة اثنتين وسبعين ومائتين، قال: حدثنا أبو الحسن الرضا عليه السلام بـ (طوس) سنة (١٨٩ هـ) وكنا قصدناه على طريق (البصرة)، ودخلناها فصادفنا بها عبد الرحمن بن مهدي عليلاً فأقمنا أياماً، ومات عبد الرحمن، وحضرنا جنازته والصلاة عليه، ودخلنا على الرضا عليه السلام أنا وأخي دعبل فأقمنا عنده إلى آخر سنة (٢٠٠ هـ) وخرجنا إلى (قم) بعد أن خلع الرضا على أخي دعبل، قميص خز أخضر، وأعطاه خاتم فضه عقيق، ودفع إليه دراهم رضوية، وقال له: يا دعبل مر على (قم) فإنك ستفيد بها، وقال له: احتفظ بهذا القميص فقد صليت فيه ألف ليلة ألف ركعة، وختمت فيه القرآن ألف ختمة. قال إسماعيل: وُلد أبي سنة (١٧٢ هـ)، وتوفي سنة (٢٨٣ هـ) فكان عمره (١١١) سنة، وولد عمي دعبل سنة (١٤٨ هـ) في خلافة المنصور، ورأى الإمام موسى عليه السلام، ولقي الإمام الرضا عليه السلام، وتوفي سنة (٢٤٥ هـ) أيام المتوكل ^(١).

٢١٣ - علي بن الفضل:

الواسطي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وعدّه البرقي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، ووصفه الصدوق بصاحب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

٢١٤ - علي بن مهدي:

ابن صدقة الرقي، أبو الحسن، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣)، روى عنه، قال النجاشي: له كتاب عن الرضا عليه السلام ^(٤).

(١) الكشي.

(٢) معجم رجال الحديث ١٢ / ١٢٥.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) النجاشي.

٢١٥ - علي بن مهزيار:

الأهوازي، أبو الحسن، دورقي الأصل، من عيون العلماء، ومن كبار الفقهاء، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، والإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام، واحتص به، وتوكل له، وكذلك احتص وتوكل للإمام الهادي عليه السلام، وكان من المتقين العباد، ويقول الرواة: إنه إذا طلعت الشمس سجد، ولا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من أخوانه بمثل ما دعا لنفسه، وكان على جبهته سجادة مثل ركة البعير.

رسائل الإمام الجواد إليه:

وبعث الإمام أبو جعفر الجواد إليه بعدة رسائل فيها ثناء وإكبار وتقدير له، ومن بينها ما يلي:

١ - بعث الإمام الجواد هذه الرسالة، وقد جاء فيها بعد البسملة (يا علي أحسن الله جزاك، وأسكنك جنته، ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة، وحشرك الله معنا، يا علي قد بلوتك وخبرتكم في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير، والقيام بما يجب عليك، فلو قلت: إني لم أر مثلك لرجوت أن أكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً، وما خفى علي متاعك ولا خدمتك في الحر والبرد، والليل والنهار، فأسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يهبوك برحمة تغتبط بها إنه سميع الدعاء) (١).

وفي هذه الرسالة ثناء عاطر، وإشادة بمقام هذا العالم الصالح الذي بلغ القمة في تقواه وصلاحه وولائه

لائمة الهدى عليه السلام.

٢ - ومن بين الرسائل التي بعثها الإمام إليه هذه الرسالة، وقد جاء فيها بعد

البسملة: (اسأل الله أن يحفظك من بين يديك ومن خلفك، وفي كل حالاتك، وابشر فيني أرجو أن يدفع الله عنك، وأسأل الله أن يجعل لك الخيرة فيما عزم لك من الشخصوس في يوم الأحد، فأخر ذلك إلى يوم الاثنين إن شاء الله، صحبك الله في سفرك، وخلفك في أهلك، وأدى عنك أمانتك، وسلمت بقدرته الخ...) (٢).

٣ - وبعث الإمام الجواد عليه السلام هذه الرسالة، وجاء فيها بعد البسملة:

(١) الغيبة.

(٢) الكشي.

(وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وقد ملأني سروراً فسرّك الله، وأنا أرجو من الكافي الدافع أن يكفيك كيد كل كائد إن شاء الله تعالى) (١).

هذه بعض الرسائل التي بعثها الإمام الجواد عليه السلام إليه، وهي تكشف عن سمو مكانة علي بن مهزيار وجلالة شأنه، وما له من الأهمية البالغة في نفس الإمام عليه السلام.

مؤلفاته:

وألف علي بن مهزيار مجموعة من الكتب، كان معظمها في الفقه الإسلامي، ومن بينها ما يلي:

- ١ - كتاب الوضوء.
- ٢ - كتاب الصلاة.
- ٣ - كتاب الزكاة.
- ٤ - كتاب الصوم.
- ٥ - كتاب الحج.
- ٦ - كتاب الطلاق.
- ٧ - كتاب الحدود.
- ٨ - كتاب الديات.
- ٩ - كتاب التفسير.
- ١٠ - كتاب الفضائل.
- ١١ - كتاب العتق والتدبير.
- ١٢ - كتاب التجارات والإجازات.
- ١٣ - كتاب المكاسب.
- ١٤ - كتاب المثالب.
- ١٥ - كتاب الدعاء.
- ١٦ - كتاب التجمّل والمرّة.
- ١٧ - كتاب المزار.

(١) الكشي.

- ١٨ - كتاب الرد على الغلاة.
- ١٩ - كتاب الوصايا.
- ٢٠ - كتاب المواريث.
- ٢١ - كتاب الخمس.
- ٢٢ - كتاب الشهادات.
- ٢٣ - كتاب فضائل المؤمنين وبرهم.
- ٢٤ - كتاب الملاحم.
- ٢٥ - كتاب التقية.
- ٢٦ - كتاب الصيد والذبائح.
- ٢٧ - كتاب الزهد.
- ٢٨ - كتاب الأشربة.
- ٢٩ - كتاب النذور والأيمان والكفارات.
- ٣٠ - كتاب الحروف.
- ٣١ - كتاب القائم.
- ٣٢ - كتاب البشارات.
- ٣٣ - كتاب الأنبياء.
- ٣٤ - كتاب النوادر^(١).

هذه بعض مؤلفاته، وهي تحكي عن قدراته العلمية، وما يتمتع به من الفضل.

٢١٦ - علي بن يحيى:

يكنى أبا الحسين، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

٢١٧ - علي بن يونس:

ابن بھمن، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٢١٨ - عمار بن يزيد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، يروي عنه الحسن

(١) النجاشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

والحسين ابنا سعيد^(١).

٢١٩ - عمر بن زهير:

الجزري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

٢٢٠ - عمر بن فرات:

الكاتب، البغدادي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وأضاف أنّه فعال^(٣)، وفي بعض المصادر أنّه كان بواباً للإمام.

٢٢١ - عمرو بن سعيد:

المدائني، ثقة، روى عن الإمام الرضا عليه السلام له كتاب يرويه جماعة^(٤).

٢٢٢ - عيسى بن عثمان:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه مجهول^(٥).

٢٢٣ - عيسى بن عيسى:

الكلامي، مولى لبني عامر، كوفي، واقفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٦).

٢٢٤ - عبيس بن عثمان:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام، وأضاف أنّه مجهول^(٧).

(ف)

٢٢٥ - فضالة بن أيوب:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه عربي

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) النجاشي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) رجال الطوسي.

أزدي^(١) قال النجاشي: إنّه روى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان ثقة في حديثه، مستقيماً في دينه له كتاب الصلاة^(٢).

٢٢٦ - الفضل بن سنان:

النيسابوري: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه وكيل للإمام^(٣).

٢٢٧ - الفضل بن سهل:

ذو الرياستين، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٤)، وهو من ألدّ أعداء الإمام الرضا عليه السلام، وهو وأخوه قد أغريا المأمون على قتل الإمام عليه السلام^(٥)، وفي الفضل وفي أخيه الحسن يقول الشاعر:
تقول حليلتي لَمَّا رأتنِي أشدّ مطيبي من بعد حلّ
أبعد الفضل ترتحل المطايا فقلت نعم إلى الحسن بن سهل

(ق)

٢٢٨ - القاسم بن أسباط:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه مجهول^(٦).

٢٢٩ - القاسم بن الفضيل:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه ابن أبي عمير^(٧).

٢٣٠ - القاسم بن يحيى: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وله كتاب في آداب

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) رجال الطوسي.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) معجم رجال الحديث ١٣ / ٣١٢.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) معجم رجال الحديث ١٤ / ٣٨.

(٨) رجال الطوسي.

(م)

٢٣١ - محسن بن أحمد:

القيسي، من موالي قيس غيلان، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام له كتاب ^(١).

٢٣٢ - محمد بن أبي جرير:

القمي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن علي الجعفي ^(٢).

٢٣٣ - محمد بن أبي عباد:

كان مشتهراً بسماع الغناء، وشرب النبيذ، سأل الإمام الرضا عليه السلام عن السماع، فقال عليه السلام: لأهل الحجاز رأي فيه، وهو في حيز الباطل واللهو، أما سمعت الله تعالى يقول: **(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)** ^(٣).

٢٣٤ - محمد بن أبي عمير:

أبو أحمد الأزدي من موالي المهلب بن أبي صفرة، بغدادى الأصل والمقام، لقي الإمام أبا الحسن موسى عليه السلام، وسمع منه أحاديث كناه الإمام في بعضها فقال: يا أبا أحمد، وروى عن الإمام الرضا عليه السلام، كان جليل القدر، عظيم المنزلة عند الشيعة وأبناء السنّة، ونقل عنه الجاحظ في **(البيان والتبيين)**، قال عنه: **(وكان وجهاً من وجوه الرافضة)**، وكان حبس في أيام الرشيد، فقيل ليلي القضاء، وقيل بل ليدل على مواضع الشيعة، وأصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ^(٤)، وروى الكشي يسنده عن الفضل بن شاذان، قال: دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه، ويقول: له أنت رجل عليك عيال، وتحتاج أن تكتسب عليهم، وما آمن أن تذهب عينك لطول سجودك، فلما أكثر عليه قال له: أكثرت عليّ ويحك لو ذهبت عين أحد في السجود لذهبت عين ابن أبي عمير، ما ظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما رفع رأسه إلا بعد زوال الشمس.

(١) النجاشي والطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث ١٤ / ٢٤٨.

(٣) معجم رجال الحديث ١٤ / ٢٨٣.

(٤) النجاشي.

وروى الفضل قال: أخذ يوماً شيخني بيدي، وذهب بي إلى ابن أبي عمير فصعدنا إليه في غرفة، وحوله مشايخ له يعظّمونه ويحلّوناه، فقلت: من هذا؟ قال أبي: هذا ابن أبي عمير، قلت: الرجل الصالح العابد؟ قال: نعم.

وروى الفضل قال: ضرب ابن أبي عمير مائة خشبة، وعشرين خشبة بأمر هارون تولى ضربة السندي بن شاهك على التشيع، وحبس، فأدى مائة وإحدى وعشرين ألفاً حتى خلى عنه، فقلت: كان متمولاً؟ قال نعم: كان ربّ خمسمائة ألف درهم^(١).

وألف مجموعة كثيرة من الكتب ذكر ابن بطة أنّ له أربعة وتسعين كتاباً، منها كتاب النوادر، كبير حسن، وكتاب الاستطاعة والأفعال والرد على أهل القدر والجبر، وكتاب الإمامة، وكتاب البداء، وكتاب المتعة، ومسائله للإمام الرضا عليه السلام وغير ذلك^(٢).

رحم الله محمد ابن أبي عمير، فقد كان من وجوه الشيعة، ومن أعلامهم، والمجاهدين عنهم.

٢٣٥ - محمد بن أحمد:

ابن غيلان كوفي، مولى له كتاب، ثقة عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٢٣٦ - محمد بن إسحاق:

ابن عمار الصيرفي، الكوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٤)، وروى الكليني بسنده عن محمد بن إسحاق قال: قلت: لأبي الحسن الأول - وهو الإمام الكاظم عليه السلام - ألا تدلني إلى من أخذ عنه ديني؟

فقال عليه السلام: هذا ابني علي، إنّ أبي أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول الله

صلى الله عليه وآله، فقال: يا بني إنّ الله عزّ وجل إذا قال قولاً وفي به^(٥). وعدّه

(١) الكشي.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) أصول الكافي الجزء الأول باب النص على الأئمة.

الشيخ المفيد من خاصة الإمام الكاظم عليه السلام ومن ثقاته ومن أهل الورع والعلم والفقہ من شيعته ^(١).

٢٣٧ - محمد بن إسحاق:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢)، وروى الكشي بسنده عن يزيد بن إسحاق أخي محمد، وكان من أرفع الناس لهذا الأمر، قال: خاصمني مرة أخي أحمد، وكان مستويّاً - أي مؤمناً - فلمّا طال الكلام بيني وبينه، قلت له: إن كان صاحبك بالمنزلة التي تقول: فأسأله أن يدعو الله لي حتى أرجع إلى قولكم، قال: قال لي محمد: فدخلت على الرضا عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك إن لي أخاً وهو أسنّ منّي، وهو يقول: بحياة أبيك، وأنا كثيراً ما أناظره، فقال لي يوماً: سل صاحبك إن كان بالمنزل الذي ذكرت أن يدعو الله لي حتى أصير إلى قولكم فأني أحبّ أن تدعو الله له، قال: فالتفت أبو الحسن عليه السلام نحو القبلة، فذكر ما شاء الله أن يذكر، ثم قال: اللهم خذ بسمعه وبصره، ومجامع قلبه حتى ترده إلى الحق، وكان يقول هذا وهو رافع يده اليمنى، قال: فلمّا قدم أخبرني بما كان فو الله ما لبثت إلّا يسيراً حتى قلت له بالحق ^(٣).

٢٣٨ - محمد بن أسلم:

الطبري، الجبلي، أصله من الكوفة، كان يتجر إلى (طبرستان)، يقال: كان غالياً فاسد الحديث، روى عن الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

٢٣٩ - محمد بن أسلم:

الطوسي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥)، وهو من رواة الحديث المعروف بالسلسلة الذهبية.

٢٤٠ - محمد بن إسماعيل:

ابن بزيع، مولى أبي جعفر المنصور، كان من صالحى الشيعة، وثقاتهم ^(٦) قال

(١) الإرشاد.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) الكشي.

(٤) النجاشي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) النجاشي.

له الإمام الرضا عليه السلام :

(إنَّ الله تعالى بأبواب الظالمين، من نور الله البرهان، ومكَّن له في البلاد، ليدفع بهم أوليائه، ويصلح الله به أمور المسلمين، إليهم ملجأ المؤمن من الضر، وإليهم يفرح ذو الحاجة من شيعتنا، وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة، أولئك أمناء الله في أرضه، أولئك نور في رغبتهم يوم القيامة، ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهو الدرية لأهل الأرض، أولئك من نورهم يوم القيامة، تضيء منهم القيامة، خلِّقوا والله للجنة، وخلقنا الجنة لهم، فهنيئاً لهم ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كله...).

فانبرى محمد قائلاً: (بماذا جعلني الله فداك؟).

قال عليه السلام :

(يكون معهم - أي مع الحكومة الجائرة - فيسرنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا، فكن منهم يا محمد) ^(١).

وروى الحسين بن خالد الصيرفي قال: كنا عند الإمام الرضا عليه السلام ونحن جماعة، فذكر محمد بن إسماعيل بن بزيع، فقال الإمام عليه السلام لأصحابه: (وددت أن فيكم مثله) ^(٢).

وألف مجموعة من الكتب كان منها (كتاب ثواب الحج) و (كتاب الحج) ^(٣). وقد طلب من الإمام الجواد عليه السلام أن يأمر له بقميص من ثيابه ليحعله كفننا له، فبعث إليه بقميص، فقال له كيف أصنع؟ فقال عليه السلام: انزع أزراره ^(٤).

٢٤١ - محمد بن أورمة:

أبو جعفر القمي، اتهمه القميون بالغلو، وبعثوا إليه من يقتله، فلما رأوا أنه يصلي كفو عنه، قال ابن الغضائري: اتهمه القميون بالغلو، وحديثه نقي لا فساد

(١) معجم رجال الحديث ١٠ / ١٠٧.

(٢) معجم رجال الحديث.

(٣) النجاشي.

(٤) معجم رجال الحديث.

فيه، ولم أر شيئاً ينسب إليه تضطرب منه النفس إلا أوراقاً في تفسير الباطن، وما يليق بحديثه، وأظنها موضوعة عليه ورأيت كتاباً بإخراج من أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام إلى القميص في براءته مما قذف به ^(١).

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢) ألف مجموعة كبيرة من الكتب، وكتبه صحاح إلا كتاباً ينسب إليه ترجمته في تفسير الباطن فإنه مختلط ^(٣).

٢٤٢ - محمد بن بحر:

أخو مغلس، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

٢٤٣ - محمد بن جداعة:

الفارسي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥).

٢٤٤ - محمد بن جعفر:

العني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦).

٢٤٥ - محمد بن جعفر:

المقناني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٧).

٢٤٦ - محمد بن جمهور:

قال النجاشي: محمد بن جمهور القمي ضعيف الحديث، فاسد المذهب، وقيل فيه أشياء الله يعلم بها من عظمها، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وله كتب، كتاب الملاحم الكبير، كتاب نوادر الحج، كتاب أدب العلم ^(٨) قال ابن الغضائري: إنّه غال، فاسد الحديث، لا يكتب حديثه، رأيت له شعراً، يجلل فيه محرمات الله عزّ وجل ^(٩).

(١) معجم رجال الحديث ١٥ / ١٣٠.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) النجاشي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) رجال الطوسي.

(٨) النجاشي.

(٩) معجم رجال الحديث ١٦ / ٢٨.

٢٤٧ - محمد بن الحسن:

ابن زياد، الميثمي الأسدي، مولا هم، أبو جعفر، ثقة عين، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، له كتاب ^(١).

٢٤٨ - محمد بن الحسين:

ابن يزيد، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه علي بن أسباط ^(٢).

٢٤٩ - محمد بن حمزة:

عده الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

٢٥٠ - محمد بن خالد:

البرقي، عده الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤)، كان ضعيفاً في الحديث، وكان أديباً، حسن المعرفة بالأخبار، وعلوم العرب، وله كتب، منها: كتاب التنزيل والتعبير، كتاب يوم وليلة، كتاب التفسير، كتاب مكة والمدينة، كتاب حروب الأوس والخزرج، كتاب العلل، كتاب في علم الباري، كتاب الخطب ^(٥).

٢٥١ - محمد بن الخطيب:

الأهوازي، عده الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦).

٢٥٢ - محمد بن راشد:

كان باباً للإمام الرضا عليه السلام ^(٧).

٢٥٣ - محمد بن زيد:

الرازمي، خادم الإمام الرضا عليه السلام ^(٨).

(١) النجاشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) النجاشي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) معجم رجال الحديث ١٦ / ٨٩.

(٨) النجاشي.

٢٤٥ - محمد بن زيد:

الطبري، الكوفي الأصل، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(١)، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن المثنى ومروك بن عبيد^(٢).

٢٥٥ - محمد بن سالم:

القمي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٢٥٦ - محمد بن سليمان:

الديلمي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٤).

٢٥٧ - محمد بن سماعة:

الصيرفي، كوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٥)، كان ثقة، ووجهاً من وجوه الشيعة له: (كتاب الوضوء) و (كتاب الحيض) و (كتاب الصلاة) و (كتاب الحج)^(٦).

٢٥٨ - محمد بن سنان:

أبو جعفر الزاهري، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وهو ضعيف جداً لا يعول عليه، ولا يلتفت إلى ما تفرد به، وروى محمد بن عيسى قال: كنت مع صفوان بن يحيى بالكوفة في منزل إذ دخل علينا محمد بن سنان فقال صفوان: إنّ هذا ابن سنان لقد همّ أن يطير غير مرة، فقصصناه حتى ثبت معنا، وهذا يدل على اضطراب كان وزال عنه، وقد صتّف كتباً منها: (كتاب الطرائف) و (كتاب الأظلة) و (كتاب المكاسب) و (كتاب الحج) و (كتاب الصيد والذبائح) و (كتاب الشراء والبيع) و (كتاب الوصية) و (كتاب النوادر).

توفي سنة (٢٢٦ هـ)^(٧)، وقد وثّقه السيد الخوئي، وقال: إنّّه كان من الموالين،

(١) رجال الطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث ١٦ / ١١١.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) النجاشي.

(٧) النجاشي.

وَمَنْ يَدِينُ اللَّهَ بِمَوْلَاةِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ﷺ فَهُوَ مَمْدُوحٌ، فَإِنْ ثَبِتَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَخَالَفَةِ فَقَدْ زَالَ، وَقَدْ رَضِيَ عَنْهُ الْمَعْصُومُ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ وَلَأَجْلَ ذَلِكَ عَدَّهُ الشَّيْخُ مَمْدُوحاً حَسَنَ الطَّرِيقَةِ (١).

٢٥٩ - محمد بن سهل:

الأشعري، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وعن جماعة، وروى عنه جماعة (٢).

٢٦٠ - محمد بن سهل:

البحلي، الرازي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٣).

٢٦١ - محمد بن سهل:

ابن اليسع الأشعري، القمي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام وعن الإمام أبي جعفر الجواد له كتاب (٤).

٢٦٢ - محمد بن صدقة:

العنبري، البصري، أبو جعفر، روى عن الإمام أبي الحسن موسى وعن الإمام الرضا عليه السلام، له كتاب

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (٥).

٢٦٣ - محمد بن عبد الله الصيقل:

الأزدي، عدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٦).

٢٦٤ - محمد بن عبد الله:

الأشعري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٧).

(١) معجم رجال الحديث ١٦ / ١٧٧.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) النجاشي.

(٥) النجاشي.

(٦) رجال البرقي.

(٧) رجال الطوسي.

٢٦٥ - محمد بن عبد الله:

الصيقل، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ^(١).

٢٦٦ - محمد بن عبد الله:

ابن عمرو، بن سالم الصفار، له نسخة تشبه كتاب الحلبي مبنية كبيرة، روى عن الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

٢٦٧ - محمد بن عبد الله:

ابن عيسى، الأشعري، القمي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

٢٦٨ - محمد بن عبد الله:

الخراساني، خادم الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه ^(٤).

٢٦٩ - محمد بن عبد الله:

الطاهري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥).

٢٧٠ - محمد بن عبد الله:

الطهوري، عدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦).

٢٧١ - محمد بن عبد الله:

القمي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن محمد بن أبي نصر ^(٧).

٢٧٢ - محمد بن عبد الله:

المدائني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٨).

(١) معجم رجال الحديث ١٦ / ١٨٥.

(٢) النجاشي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) معجم رجال الحديث ١٦ / ٢٨٣.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) معجم رجال الحديث.

(٧) معجم رجال الحديث ١٦ / ٢٨٨.

(٨) رجال الطوسي.

٢٧٣ - محمد بن عبيد:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام ، وروى عنه علي بن سيف ^(١) .

٢٧٤ - محمد بن عبيد الله:

الهمداني، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ^(٢) .

٢٧٥ - محمد بن عبيد الله:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام ، وروى عنه أحمد بن محمد بن أبي نصر ^(٣) .

٢٧٦ - محمد بن عبيدة:

روى عن الإمام أبي الحسن عليه السلام ، وروى عنه إبراهيم بن محمد الهمداني ^(٤) .

٢٧٧ - محمد بن عرفة:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥) .

٢٧٨ - محمد بن علي:

ابن جعفر، عدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦) .

٢٧٩ - محمد بن علي:

ابن الحسين بن زيد بن الحسين عليه السلام : له نسخة يرويها عن الإمام الرضا

عليه السلام ^(٧) .

٢٨٠ - محمد بن علي:

الهمداني، روى عن الإمام الرضا عليه السلام ، وروى عنه إبراهيم بن هاشم وجماعة ^(٨) .

(١) معجم رجال الحديث ١٦ / ٢٩٦ .

(٢) معجم رجال الحديث .

(٣) معجم رجال الحديث ٨ / ٢٩٨ .

(٤) معجم رجال الحديث ١٦ / ٣٠٦ .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال البرقي .

(٧) النجاشي .

(٨) معجم رواة الحديث .

- ٢٨١ - محمد بن عمار: ابن الأشعث النهدي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).
- ١٨٢ - محمد بن عمارة: روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه سعد بن سعد ^(٢).
- ٢٨٣ - محمد بن عمر: ابن يزيد، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن الجهم ^(٣).
- ٢٨٤ - محمد بن عمر: ابن يزيد بياح السابري: عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).
- ٢٨٥ - محمد بن عمر: الساباطي، روي عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن أبي نصر ^(٥).
- ٢٨٦ - محمد بن عمر: الكناسي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦).
- ٢٨٧ - محمد بن عمرو الزيات: ابن سعد روى عن الإمام الرضا عليه السلام نسخته ثقة ^(٧).
- ٢٨٨ - محمد بن عيسى: ابن يقطين، مولى أسد بن خزيمه، أبو جعفر، جليل عند الشيعة ثقة عين،

(١) رجال الطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث ١٧ / ٦٧.

(٣) معجم رجال الحديث ١٧ / ٧٧.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) معجم رجال الحديث ١٧ / ٨٠.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) النجاشي.

كثير الرواية، حسن التصانيف (١)، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٢)، ألف مجموعة من الكتب منها: (كتاب الإمامة) و (كتاب الواضح المكشوف في الرد على أهل الوقوف) و (كتاب المعرفة) و (كتاب بعد الإسناد) و (كتاب قرب الإسناد) و (كتاب الوصايا) و (كتاب اللؤلؤ) و (كتاب المسائل المحرمة) و (كتاب الضياء) و (كتاب ظرائف) و (كتاب التجمل والمرورة) و (كتاب الفياء والخمس) و (كتاب الرجال) و (كتاب الزكاة) و (كتاب ثواب الأعمال) و (كتاب النوادر) (٣).

٢٨٩ - محمد بن عيسى:

القمي، روى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه مروك بن عبيد (٤).

٢٩٠ - محمد بن فرات:

الجعفي، كذاب، منحرف عن الحق، كان يكذب على الإمام الرضا عليه السلام، وقد شكاه إلى يونس، فقال له: يا يونس أما ترى إلى محمد بن فرات، وما يكذب عليّ؟ فقال يونس: أبعد الله وأشقاه، فقال عليه السلام: قد فعل الله به ذلك، أذاه الله حرّ الحديد، كما أذاه من كان قلبه ممن كذب علينا، يا يونس إنّما قلت ذلك، لتحذر عنه أصحابي، وتأمروهم بلعنه والبراءة منه، فإنّ الله يبرأ منه (٥).

وروى علي بن إسماعيل الميثمي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: آذاني محمد بن فرات آذاه الله، وأذاه حرّ الحديد، آذاني لعنه الله آذى أبو الخطاب لعنه الله جعفر بن محمد عليه السلام بمثله، وما كذب علينا خطابي بمثل ما كذب محمد بن فرات، والله ما من أحد يكذب علينا إلّا ويذيقه الله حرّ الحديد (٦).

(١) النجاشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) النجاشي.

(٤) معجم رجال الحديث ١٧ / ١٣٦.

(٥) الكشي.

(٦) الكشي.

ولم يلبث محمد بن فرات بعد دعاء الإمام عليه إلا قليلاً حتى قتله إبراهيم بن شكلة أخبث قتلة (١).

٢٩١ - محمد بن الفرّج:

الرخحي، ثقة، عدّه الإمام من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٢)، كان شديد الولاء لأئمة الهدى عليه السلام ووثيق الصلة بهم، وله مكاتبات معهم، ذكرها الكشي في ترجمته.

٢٩٢ - محمد بن الفضل:

الأزدي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٣).

٢٩٣ - محمد بن الفضل:

ابن عمر، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٤).

٢٩٤ - محمد بن الفضيل:

الصيرفي، يرمى بالغلو، له كتاب، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٥).

٢٩٥ - محمد بن الفيض:

المدائني، مولى عمر بن الخطاب، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٦).

٢٩٦ - محمد بن القاسم:

ابن الفضيل: روى عن الإمام الكاظم والإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه جماعة (٧).

(١) الكشي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) معجم رجال الحديث ١٧ / ١٧٧.

(٧) معجم رجال الحديث.

٢٩٧ - محمد بن القاسم:

ابن الفضيل بن يسار، روى عن الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه البرقي ^(١).

٢٩٨ - محمد بن القاسم:

البوشنجاني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

٢٩٩ - محمد بن كعب القرطبي:

وهو الذي رأى رسول الله (ص) في المنام، فقال له: يا محمد سررت بما تصنع مع أولادي في الدنيا؟ فقال له محمد: لو تركتهم فبمن اصنع؟ فقال (ص): فلا جرم تجزى مني في العقبى، فكان بين يديه طبق تمر صيحاني فسألته عن ذلك فأعطاني قبضة فيها ثمانية عشر تمرة، فتأولت ذلك أن أعيش ثماني عشرة سنة، ونسيت ذلك ورأيت يوماً ازدحام الناس فسألتهم عن ذلك فقالوا: أتى علي بن موسى الرضا عليه السلام فرأيته جالساً في ذلك الموضع وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني، فسألته عن ذلك فناولني قبضة فيها ثماني عشرة تمرة، فقلت: زدني منه، فقال: لو زادك جدّي لزدناك ^(٣).

٣٠٠ - محمد بن كليب:

الأشعري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٤).

٣٠١ - محمد بن منصور:

ابن الأبرد النخعي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٥).

٣٠٣ - محمد بن منصور:

الأشعري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنه مجهول ^(٦).

(١) معجم رجال الحديث ١٧ / ١٧٩.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) معجم رجال الحديث ١٧ / ١٩٩.

(٤) رجال الطوسي.

(٥) رجال الطوسي.

(٦) رجال الطوسي.

- ٣٠٤ - محمد بن منصور:
- الأشعري، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(١).
- ٣٠٥ - محمد بن منصور:
- ابن نصر، الخزاعي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٢).
- ٣٠٦ - محمد بن منصور:
- الكويني، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه محمد بن سعد^(٣).
- ٣٠٧ - محمد بن يحيى:
- ابن حبيب، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن يحيى^(٤).
- ٣٠٨ - محمد بن يحيى:
- السباطي روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه صفوان^(٥).
- ٣٠٩ - محمد بن يزيد:
- الطبري، روى عن الإمام الرضا عليه السلام^(٦).
- ٣١٠ - محمد بن يونس:
- ابن عبد الرحمن، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٧).
- ٣١١ - محمد مولى الرضا:
- عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام^(٨).

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) معجم رجال الحديث ١٧ / ٣١٢.

(٤) معجم رجال الحديث ١٨ / ٣٧.

(٥) معجم رجال الحديث ١٨ / ٤٤.

(٦) معجم رجال الحديث ١٨ / ٥٥.

(٧) رجال الطوسي.

(٨) رجال الطوسي.

٣١٢ - مرزبان:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه سعد بن سعد ^(١).

٣١٣ - مرزبان بن عمران:

الأشعري، القمي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام له كتاب ^(٢).

٣١٤ - مروان بن يحيى.

عده الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنه مجهول ^(٣).

٣١٥ - مروك بن عبيد:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه جماعة ^(٤).

٣١٦ - مسافر:

مولى الإمام الرضا عليه السلام، أمره الإمام الرضا فقال له: الحق بأبي جعفر - يعني الإمام الجواد عليه السلام - فإنه صاحبك ^(٥).

٣١٧ - معاوية بن حكيم:

ابن معاوية، بن عمار الدهني، ثقة جليل، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام له كتب، منها: (كتاب الطلاق) و (كتاب الحيض) و (كتاب الفرائض) و (كتاب النكاح) و (كتاب الحدود) و (كتاب الدييات)، وله نوادر ^(٦).

٣١٨ - معاوية بن سعد:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه محمد بن سنان ^(٧).

٣١٩ - معاوية بن سعيد:

عده الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (٨)، له كتاب ^(٨).

(١) معجم رجال الحديث. / ٢٤٥.

(٢) معجم رجال الحديث.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) معجم رجال الحديث.

(٥) الكشي.

(٦) النجاشي.

(٧) معجم رجال الحديث ١٨ / ٢٣٧.

(٨) رجال الطوسي.

(٩) النجاشي.

٣٢٠ - معاوية بن يحيى:

عدّه الشيخ من أصحاب الرضا عليه السلام ^(١).

٣٢١ - معاوية الجعفري:

من رواية النص من الإمام الكاظم عليه السلام على إمامة ولده الرضا عليه السلام ^(٢).

٣٢٢ - معروف الكرخي:

هو أبو محفوظ، ابن فيروز، وقيل فيرزان كان أبواه نصرانيين، من أهالي (بهران) إحدى قرى (واسط)، سلمه أبوه إلى المعلم، فكان يقول له: قل: ثالث ثلاثة، فيأبى معروف ويقول: هو الواحد، فيضربه المعلم ضرباً مبرحاً، وهو يأبى أن يقول: ثالث ثلاثة، ثم هرب من المعلم، واسلم على يد الإمام الرضا عليه السلام ^(٣)، ورجع إلى منزله فطرق الباب، فقالوا: من في الباب؟ فقال: معروف، فقالوا على أيّ دين أنت؟ قال: على الدين الحنفي، وأسلم أبواه وأهله جميعاً ^(٤)، وكان بعد إسلامه حاجباً للإمام الرضا عليه السلام، وازدحمت الشيعة على باب الإمام، فكسروا أضلع معروف من شدة الزحام، وبقي أياماً عليلاً، وقد أوصى أن يتصدق بقميصه الذي كان لابساً له؛ لأنه أحب أن يخرج من الدنيا كما دخلها عرباناً ^(٥)، رحم الله معلوماً فقد كان من أفاضل العارفين والمتقين، ونال الدرجة العليا ببركة الإمام الرضا عليه السلام.

٣٢٣ - معمر بن خالد:

بغدادى، ثقة روى عن الإمام الرضا عليه السلام، له كتاب الزهد ^(٦).

(١) رجال الطوسي.

(٢) معجم رجال الحديث ١٨ / ٢٩٥.

(٣) التصوّف في الشعر العربي (ص ٤٥).

(٤) طبقات الصوفية (ص ٨٥).

(٥) التصوف في الشعر العربي.

(٦) النجاشي.

٣٢٤ - معن بن خالد:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه ثقة، وله كتاب ^(١).

٣٢٥ - مقاتل بن مقاتل:

البلخي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأضاف أنّه واقفي حبيث ^(٢)، إلا أنّ الكشي ذكر رواية تدل على استقامته وعدم وقفه، فقد روى الحسين بن عمر بن يزيد قال: دخلت على الإمام الرضا عليه السلام، وأنا شاك في إمامته، وكان زميلي في الطريق رجلاً يقال له: مقاتل بن مقاتل، وكان قد مضى على إمامته - أي إمامة الرضا - بالكوفة، فقلت له: عجلت، فقال: عندي في ذلك - أي في إمامة الرضا - برهان، وعلم.

قال الحسين: فقلت للإمام الرضا عليه السلام: قد مضى أبوك؟ فقال: أي والله، وإني لفي الدرجة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ومن كان أسعد ببقاء أبي متي؟ ثم قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: **(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)** العارف للإمامة حين يظهر الإمام، ثم قال: ما فعل صاحبك؟ فقلت: من؟ قال: مقاتل بن مقاتل المستوي الوجه، الطويل اللحية، الأقفى الأنف؟ وأضاف عليه السلام يقول:

(أما إنّه ما رأيته، ولا دخل عليّ، ولكنّه آمن وصدق) ثم إنّه أوصاني به، ثم انصرفت من عند الإمام، وإذا بمقاتل أمامي، فقلت له: لك بشارة عندي ألاّ أخبرك بما حتى تحمد الله مائة مرة، وأخبرته بما قال الإمام عليه السلام، وعلّق الإمام الخوئي على هذه الرواية فقال: إنّها صريحة في أنّ الرجل كان قائلاً بإمامة الرضا عليه السلام، وعلى تقدير أنّه كان واقفاً فقد رجع عن وقفه ^(٣).

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) معجم رجال الحديث ١٨ / ٣٥٩.

٣٢٦ - موسى بن أبي الحسن:

الرازي، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه إبراهيم بن هاشم ^(١).

٣٢٧ - موسى بن جند:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

٣٢٨ - موسى بن رنجويه:

الأرميني، ضعيف، له كتاب، عدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

٣٢٩ - موسى بن سلمة:

كوفي، له كتاب عن الإمام الرضا عليه السلام أخبر به أحمد بن محمد ^(٤).

٣٣٠ - موسى بن عيسى:

ابن عبيد اليقطيني، بعث له الإمام الرضا عليه السلام هدية رزم ثياب، وغلماناً، وأموالاً يحج بها عنه،

وكذلك بعث لأخيه موسى بن عبيد، وليونس بن عبد الرحمن، أموالاً ليحجّوا بها عنه ^(٥).

٣٣١ - موسى بن القاسم:

ابن معاوية، بن وهب البجلي، ثقة، ثقة جليل، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الرضا

عليه السلام ^(٦)، له كتب، منها: (كتاب الوضوء) و (كتاب الصلاة) و (كتاب الزكاة) و (كتاب الصيام) و

(كتاب النكاح) و (كتاب الطلاق) و (كتاب الحج) و (كتاب الحدود) و (كتاب الديات) و (كتاب

الشهادات) و (كتاب الأيمان والندور) و (كتاب أخلاق المؤمن) و (كتاب الجامع) و (كتاب الأدب)

^(٧).

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) النجاشي.

(٥) معجم رجال الحديث.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) النجاشي.

٣٣٢ - موسى بن معمر:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

٣٣٣ - موسى بن مهران:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٢).

٣٣٤ - موفق بن هارون:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٣).

٣٣٥ - موفق خادم الإمام الرضا:

قال الوحيد في التعليقة: يظهر منه كونه من خدامه، بل ومن خواصه وأصحاب أسراره ^(٤).

(ن)

٣٣٦ - نصر بن قابوس:

اللخمي، القابوسي: روى عن الإمام أبي عبد الله، وأبي إبراهيم، وأبي الحسن الرضا عليهم السلام، وكان ذو منزلة عندهم، له كتاب ^(٥).

٣٣٧ - نصر بن مغلّس:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٦).

(و)

٣٣٨ - الوليد بن أبان:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه أحمد بن محمد ^(٧).

٣٣٩ - الوليد بن أبان:

الضبي، الرازي، عدّه البرقي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ^(٨).

(١) رجال الطوسي.

(٢) رجال الطوسي.

(٣) رجال الطوسي.

(٤) معجم رجال الحديث ١٩ / ١٠٠.

(٥) النجاشي.

(٦) رجال الطوسي.

(٧) معجم رجال الحديث ١٩ / ٢٣٧.

(٨) رجال البرقي.

٣ - تركة الرشيد:

وترك هارون الرشيد (تسعمائة مليون درهم) ^(١).

هذه بعض الأموال التي تركوها، وقد استولوا عليها بغير حق، وقد عانى المسلمون في جميع عهودهم الضيق والبؤس والحزنان، هذه بعض معالم السياسة الاقتصادية في الحكم العباسي من أوله إلى منتهاه، وخلاصة القول فيها إنّها لم تكن مبيّنة على أسس سليمة، ولم تساير الاقتصاد الإسلامي الذي يهدف إلى إنعاش الشعوب ونشر الرخاء والقضاء على البؤس والحاجة، فالملك العباسي كالمملك الأموي ظل الله في الأرض يتصرّف في إمكانيات العباد حسب رغباته، ألم يقل الدوانيقي:

(أيّها الناس إنّما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني الله عليه قفلاً إذا شاء أن يفتحني فتحني، وإذا شاء أن يقفلني قفلني) ^(٢).

وهذه السياسة القائمة لا يقرّها الإسلام، فإنّ أموال المسلمين للمسلمين يجب أن تنفق على صالحهم ورفع مستواهم اقتصادياً وفكرياً، وليس لرئيس الدولة أي سلطان عليها.

كراهة المسلمين للحكم العباسي:

وكره المسلمون الحكم العباسي، ونقموا منه كأشد ما تكون النقمة، وتمنّوا رجوع الحكم الأموي على ما فيه من قسوة وعذاب، فقد ساسوا الأمة بسياسة الظلم والجور، يقول عبد الرحمن الإفريقي للمنصور الدوانيقي: (ظهر الجور ببلادنا فجئت لأعلمك، فإذا الجور يخرج من دارك ورأيت أعمالاً سيئة، وظلماً فاشياً، ظننته لبعد البلاد منك فجعلت كلّما دنوت منك كان الأمر أعظم).

فالتاع المنصور من كلامه وأمر بإخراجه ^(٣) وسأل المنصور ابن أبي ذؤيب فقال له: (أيّ الرجال أنا).

(١) عصر المأمون.

(٢) الطبري.

(٣) تاريخ بغداد ١٠ / ٢١٥.

فأجابه بمنطق الأحرار الذي لا يخضع للسلطان قائلاً: (أنت والله عندي شرّ الرجال، استأثرت بمال الله ورسوله، وسهم ذوي القرى واليتامى والمساكين، وأهلكت الضعيف، واتبعت القوي، وأمسكت أموالهم) (١).

وكانت سياسة ملوك بني العباس متشابهة في الظلم والجور، يقول أحمد بن أبي نعم: ما أحسب الجور ينقضي وعلى الناس أمير من آل عباس فنفاه المأمون بسبب هذا لبيت إلى السند (٢)، ويقول أبو عطاء السندي:

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار (٣)
واستنهض سليم العدوي الأمة لتثور على الحكم العباسي يقول:
حتى متى لا نرى عدلاً نُسرّ به ولا نرى لولاة الحق أعوانا
مستمسكين بحقّ قائمين به إذا تلوّن أهل الجور ألوانا
يا للرجال لداءٍ لا دواء له وقائد ذي عمى يقتاد عميانا (٤)

ويقول شاعر الأحرار سديف:

إنّا لنأمل أن ترتدّ إفتنا بعد التباعد والشحناء والإحن
وتنقضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن
وانتشر هذا الشعر، وسمعه المنصور فأوعز إلى عامله عبد الصمد بدفنه حيناً ففعل (٥).

ويقول الدكتور أحمد محمود صبحي: لكنّ ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة الذي انتظره الناس من العباسيين قد أصبح وهمّاً من الأوهام، فشراسة المنصور والرشيد وجشعهم، وجور أولاد علي بن عيسى وعبثهم بأموال المسلمين يذكّرنا بالحجاج وهشام ويوسف بن عمرو الثقفي، وعمّ الاستياء أفراد الشعب بعد أن استفتح أبو عبد الله المعروف بالسّقّاح، وكذلك المنصور بالإسراف في سفك الدماء

(١) الإمامة والسياسة ٢ / ١٤٥.

(٢) نهاية الإرب ٨ / ١٧٥.

(٣) حياة الإمام الرضا (ص ١٠٨).

(٤) المستطرف ١ / ٩٧.

(٥) العمدة لابن رشيق ١ / ٧٥.

على نحو لم يعرف من قبل^(١).

لقد نغم المسلمون من الحكم العباسي الذي لم يحقق أي هدف من أهدافهم ولا أي أمل من آمالهم، وإنما كان سادراً في الطيش والعنف، وإرغام الناس على ما يكرهون.

الفتن والثورات الشعبية:

وماجت البلاد الإسلامية بالفتن، وشاعت فيها الثورات الشعبية، وهي من دون شك كانت ناجمة من سوء السياسة العباسية، التي لم ترع بأي حال من الأحوال مصالح المجتمع ورغباته المهادفة إلى تحقيق العدل السياسي، والعدل الاجتماعي بين الناس، ومن أهم الثورات التي اندلعت هي: ثورة أبي السرايا: أما ثورة أبي السرايا فهي من أخطر الثورات التي اندلعت في ذلك العصر، وقد خسر المسلمون فيها مائتي ألف مقاتل، ونتحدث - بإيجاز - عن بعض معالم هذه الثورة، وهي:

مفجر الثورة:

أما مفجر هذه الثورة، وواضع تصاميمها ومخططاتها فهو الزعيم العلوي العظيم محمد بن إبراهيم المعروف بالطباطبائي^(٢)، فقد رأى هذا العلوي الكريم ما مُني به المسلمون من الظلم والاضطهاد وما عاناه السادة العلويون من التنكيل والإرهاب فتحفز لإعلان الثورة لإنقاذ المسلمين من الطغمة العباسية الحاكمة، وقد وصفه المؤرخون بأنه كان شديد الرقة والعطف على الفقراء والمحرومين فقد اجتاز في بعض شوارع الكوفة فرأى عجوزاً تتبع أحمال الرطب فتلتقط ما يسقط منها، وتجمعه في كساء رث فسألها عن ذلك، فقالت له: (إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي، ولي بنات لا يعدن أنفسهن بشيء، فأنا أتبع هذا في الطريق، وأتقوته أنا وولدي).

ولما سمع ذلك انهارت قواه وانفجر باكياً، والتفت إليها قائلاً بحرارة: (والله أنت وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي)^(٣).

(١) نظرية الإمامة (ص ٣٨١).

(٢) سمي بهذا الاسم للكنة في لسانه أيام طفولته، وقد لُقِّب بذلك أبوه، تاريخ ابن خلدون ٤ / ٨.

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٥٣٩).

ودفعه هذا الإحساس، والحذب على الفقراء لإعلان الثورة لينقذهم من الظالمين الذين اختلسوا أموال الشعب.

وأخذ محمد في تدبير أموره فاتصل بذوي الرأي والنفوذ من زعماء العرب وشخصيات المسلمين، يطلب منهم الانضمام إليه والاشتراك معه في مقاومة الظلم وقلب الحكم القائم، والتقى بالزعيم العربي الكبير نصر بن شيث فعرض عليه الأمر فانبرى نصر يعلن دعمه له، ويخبره على الثورة قائلاً له: (حتى متى توطئون بالخسف، وتحتضم شيعتكم، وينزى على حقكم)^(١). وألهمت هذه الكلمات عواطفه ومشاعره وتحفز محمد إلى الإسراع بالثورة لِمَا رأى اختلاف العباسيين وتفرق كلمتهم، وتشتت شملهم بسبب الفتنة الكبرى التي حدثت بين الأمين والمأمون، فقد أوجبت تصدع الحكم، وتطلع المجتمع إلى ثورة تنقذهم من ويلات الحكم العباسي.

انضمام أبي السرايا إلى الثورة:

ومَّا زاد في أحكام الثورة، وخطورتها انضمام القائد المحنك أبي السرايا إليها، وكان علوي الرأي يتحرق المأ على ما أصاب السادة العلويين من المآسي والخطوب على أيدي العباسيين، ومن الخير أن نتحدث عن بعض شؤون هذا القائد الملهم.

إنَّه السري بن منصور الشيباني الثائر الشجاع من الأمراء العصاميين، خاض كثيراً من الحروب، ولما نشبت الفتنة بين الأمين والمأمون التحق بمعسكر هرثمة بن أعين، وصار معه في ألفي مقاتل، وخوَّطب بالأمير، ولَمَّا قتل الأمين نقص هرثمة من عطايا الجيش ومرتباتهم فسَاء ذلك أبا السرايا، وعزم على التخلّي عنه، واستأذنه أن يهج فأذن له، وأعطاه عشرين ألف درهم فأخذها وفرَّقها بين أصحابه، وقد استمال بذلك قلوبهم، وأوصاهم باتباعه إلى (عين التمر)، فلَمَّا انتهوا إليها أخذوا عاملها، ونهبوا أمتعته، ولقوا عاملاً آخر لبني العباس فأخذوا أمواله، وقسموها بينهم، ولَمَّا انتهت الأنباء إلى هرثمة فقد صوابه، وأرسل جيشاً لمناجزة أبي السرايا، ولَمَّا التقى الجيشان دارت بينهم معركة رهيبية فانهزم جيش هرثمة، ومُني بخسارة فادحة وسار أبو السرايا قاصداً نحو (الأنبار)، فلَمَّا وصل إليها استولى على الإدارة المحلية، وقتل

(١) مقاتل الطالبين (ص ٥١٩).

عاملها إبراهيم الشوري، وصادر جميع أمواله.

التقاء أبي السرايا بمحمد:

وأخذ أبو السرايا يواصل الزحف بجيوشه، ولا ينتهي إلى بلد حتى يفتك بعمّال بني العباس، ووصل إلى (الرقّة) وفيها التقى بالزعيم الكبير محمد بن إبراهيم، وبعد مباحثات جرت بينهما عرضاً فيها ما يعانیه المسلمون من الذل والهوان والقهر من الحكم العباسي صمّما على القضاء عليه، والدعوة إلى بيعة الرضا من آل محمد^(١).

وأسند محمد إلى أبي السرايا القيادة العسكرية العامة ومنحه ثقته، وفوّض إليه جميع شؤون الثورة ومخططاتها.

إعلان الثورة:

وأعلن أبو السرايا الثورة على الحكم العباسي، وزحف بجيوشه نحو (نينوى)، واتجه صوب مرقد أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فزار المرقد الطاهر، وأطال الزيارة، وجعل يتمثل بأبيات منصور النمري قائلاً:

نَفْسِي فِدَاءُ الْحُسَيْنِ يَوْمَ غَدَا	إِلَى الْمَنَايَا غُدُوًّا لَا قَافِلَ
ذَاكَ يَوْمٍ أَنَحَى بِشَفْرَتِهِ	عَلَى سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَالكَاهِلِ
كَأَنَّمَا أَنْتَ تَعْجِبُنِي أَلَا	يَنْزِلُ بِالْقَوْمِ نَقْمَةَ الْعَاجِلِ
لَا يَعْجَلُ اللَّهُ إِنْ عَجَلْتَ وَمَا	رَبِّكَ عَمَّا تَرِينَ بِالْغَافِلِ
مَظْلُومَةَ وَالنَّبِيَّ وَاللَّاهِلِ	يُدِيرُ أَرْجَاءَ مَقْلَةَ حَافِلِ
أَلَا مَسَاعِيرَ يَغْضَبُونَ لَهَا	بَسَلَّةَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا الذَّابِلِ

ورفع عقيرته قائلاً: (مَن كَانَ هَاهُنَا مِنَ الزَّيْدِيَةِ فَلْيَقُمْ إِلَيَّ؟).

فوثب إليه جماعات من الجيش فخطبهم خطبة طويلة أشاد فيها بأهل البيت عليهم السلام، وبين ما آثرهم وفضائلهم، وما عانوه من الظلم والاضطهاد من

خصومهم وأعدائهم، وعرج في خطابه على سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ هَبْكُمْ لَمْ تَحْضَرُوا الْحُسَيْنَ فَتَنْصُرُوهُ، فَمَا يَقْعِدْكُمْ عَمَّنْ أَدْرَكْتُمُوهُ

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٤٠٠ - ٤٠١ نقلاً عن تاريخ ابن خلدون ٧ / ٢٤٣.

ولحتموه وهو غدا خارج طالب بثأره وحقه، وتراث آبائه، وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته، إنني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله، والذب عن دينه والنصر لأهل بيته، فمن كانت له نية في ذلك، فليلحق بي...).

واستجاب له الزيدية وغيرهم، واتجه أبو السرايا بجيوشه نحو الكوفة. وأمّا محمد فقد أعلن الثورة في نفس اليوم الذي ثار فيه أبو السرايا، وقد التفت حوله الجماهير الحاشدة، وظل محمد يتربّب بفارغ الصبر قدوم أبي السرايا عليه، وقد طالت الأيام حتى يئس منه أصحابه، ولاموا محمداً على الاستعانة به، واغتمّ محمد لتأخّره عنه، وبينما هم في قلق واضطراب إذ طلعت عليهم جيوش أبي السرايا، وفرح محمد وسرّ سروراً بالغاً، ولمّا قرب منه قام إليه محمد واعتنقه، وبقي معه أياماً ثم اتجه معه صوب الكوفة، فلما انتهى إليها استقبله أهلها استقبالاً رائعاً، وأظهروا الفرحة الكبرى بقدومه، وبايعوه بالإجماع^(١).

واحتلت جيوش أبي السرايا الكوفة، ونهبوا جميع ما في قصر الفضل بن عيسى والي الكوفة، ولم يرغب بذلك أبو السرايا فأصدر أوامره المشدّدة إلى الجيش بالكف عن السلب والنهب وإرجاع المنهوبات إلى أهلها.

وأرسل الحسن بن سهل حاكم العراق من قبل المأمون ثلاثة آلاف فارس بقيادة زهير بن الحسن لحرب أبي السرايا، ولمّا انتهت إلى الكوفة التحمت مع جيوش أبي السرايا، فانهمز الجيش العباسي شرّ هزيمة، واستولى جيش أبي السرايا على جميع أمتعته^(٢)، وقد انتصر أبو السرايا انتصاراً رائعاً، وسرى والخوف والرعب في نفوس العباسيين، وأيقن الكثيرون منهم أنّ الثورة قد نجحت، وأنّ مصيرهم في خطر عظيم.

وفاة الزعيم محمد:

ومن المؤسف حقاً أنّ الزعيم الكبير محمد بن إبراهيم قد توفّي، وذهبت معظم المصادر التاريخية إلى أنّه توفّي وفاة طبيعية، وعزت بعض المصادر وفاته إلى أبي السرايا فقد دسّ إليه سمّاً فاغتاله، ليتخلص منه، وأكبر الظن أنّه توفّي حتف أنفه، ولم يكن

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٥٣٣).

(٢) مقاتل الطالبيين.

لأبي السرايا أي ضلع فيها؛ لأنّ الثورة كانت في بدايتها، وليس من الممكن بأي حال من الأحوال أن يقدم أبو السرايا على اغتياله في تلك الظروف الحرجة التي لم يتيقن فيها بنجاح ثورته. ومهما يكن من أمر فإنّ أبا السرايا قام بتجهيز الجنمان الطاهر فغسله وأدرجه في أكفانه، وحملوه في غلس الليل البهيم إلى (الغري) فدفنوه فيه ^(١) ورجعوا إلى الكوفة، وفي الصبح جمع أبو السرايا الناس، ونعى إليهم الزعيم الكبير محمد وعزاهم بوفاته، فارتفعت الأصوات بالبكاء، والتفت إليهم قائلاً: (ولقد أوصى أبو عبد الله إلى شبيهه، ومن اختاره وهو أبو الحسن علي بن عبيد الله، فإن رضيتم به فهو الرضي، وإلا فاختاروا لأنفسكم).

وساد الوجوم في جميع قطعات الجيش، ولم ينبس أحد ببنت شفة وانبرى العلوي محمد بن محمد بن زيد، وهو غلام حدث السن، فخطب العلويين قائلاً: (يا آل علي إنّ دين الله لا ينصر بالفشل، وليست يد هذا الرجل - يعني أبا السرايا - عندنا بسيئة، وقد شفى الغليل وأدرك الثأر). والتفت إلي علي بن عبيد الله، فقال له: (ما تقول: يا أبا الحسن، فقد وصانا بك، أمدد يدك نبايعك).

وأضاف يقول: (إنّ أبا عبيد الله - رحمه الله - قد اختار، فلم يعدم الثقة في نفسه ولم يألوا جهدا في حق الله الذي قلده، وما رد وصيته تهاوناً بأمره ولا ادع هذا نكولاً عنه، ولكن أتخوّف أن اشتغل به عن غيره، ممّا هو أحمد وأفضل عاقبة، فامض رحمك الله لأمرك، واجمع شمل بني عمك، فقد قلدناك الرياسة علينا، وأنت الرضي عندنا الثقة في أنفسنا).

ثم التفت إلى أبي السرايا فقال له: (ما ترى أرضيت به؟). وسارع أبو السرايا قائلاً: (رضاي من رضاك وقولي من قولك).

(١) مقاتل الطالبين.

وجذبوا يد محمد بن محمد فبايعوه، وقام محمد في الوقت بعزم ثابت فنظم شؤون حكومته، وبعث عمّاله إلى الأقطار الإسلامية التي فتحها أبو السرايا، وهذه المناطق التي بعث إليها عمّاله:

- ١ - الكوفة: وقد ولى عليها إسماعيل بن علي.
- ٢ - اليمن: وقد ولى عليها إبراهيم نجل الإمام موسى بن جعفر.
- ٣ - الأهواز: وقد جعل عليها زيد بن موسى.
- ٤ - البصرة: وقد استعمل عليها العباس بن محمد.
- ٥ - مكة: وقد جعل عليها والياً الحسن بن الحسن الأفظس.
- ٦ - واسط: وقد جعل عليها جعفر بن محمد بن زيد وجعل على شرطته روح بن الحجاج، وأسند القضاء إلى عاصم بن عامر.

وضربت النقود بالكوفة، وكتب عليها الآية الكريمة (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ) وأخذت الثورة تتسع في مناطق العالم الإسلامي، فقد سئم المسلمون من الحكم العباسي، واستجابوا بفرح وسرور إلى الحكم العلوي.

وأدرك العباسيون الخطر الذي يهدد حياتهم وزوال سلطانتهم، فقد مُني والي العراق الحسن بن سهل بجزية ساحقة، فكتب إلى طاهر بن الحسين لينضم إليه إلى قتال أبي السرايا، ولكن كتبت إليه رقعة فيها هذه الأبيات، وقد أخفى صاحبها اسمه وهي:

قناع الشك يكشفه اليقينُ	وأفضل كيدك الرأي الرصينُ
تنبّت قبل ينفذ فيك أمر	ويهيج لشوره داء دفينُ
أنتدب طاهراً لقتال قوم	بنصرتهم وطاعتهم يدينُ
سيطلقها عليك معقالات	تصر ودونها حرب زبونُ
ويبعث كامناً في الصدر منه	ولا يخفى إذا ظهر المصونُ
فشأنك واليقين فقد أنارت	معالمه وأظلمت الظنونُ
ودونك ما تريد بعزم رأي	تدبره ودع ما لا يكونُ

ولمّا قرأ الحسن هذه الأبيات رجع عن رأيه، وكتب إلى هرثة بن أعين يسأله التعجيل في القدوم إليه، وأوفد لمقابلته السندي بن شاهك، وكانت بين الحسن

وهرثمة شحناء وتنافر، فلمّا التقى به السندي، وناوله الكتاب، فقرأه، وقال: (نوطى نحن الخلافة، ونمهد لهم أكنافها، ثم يستبدون بالأمر ويستأثرون بالتدبير علينا، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور، أرادوا أن يصلحوه بنا، لا والله، ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين - يعني المأمون - سوء آثارهم وقبيح أفعالهم).

وتباعد عنه السندي، ويئس منه، ووردت عليه رسالة من المنصور بن المهدي، فلمّا قرأها استجاب، وقفل راجعاً إلى بغداد، فلمّا صار إلى (النهروان) خرج البغداديون إلى استقباله، وفي طليعتهم الوجوه وقادة الجيش، وحينما رأوه ترجلوا جميعاً، ونزل في داره، وأمر الحسن بن سهل بدواوين الجيش فنقلت إليه ليختار من الرجال ما شاء، وأطلقت إليه بيوت الأموال، وأخذ هرثمة يجمع الجيوش ويعد العدة لمناجزة أبي السرايا، ولمّا كملت جيوشه وكان عددهم ثلاثين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل زحف بهم نحو الكوفة واجتاز على (المدائن) فاستولى عليها، وهزم عاملها،

ثم زحف نحو (الكوفة)، والتقى جيشه بجيش أبي السرايا، فالتحما ودارت بينهما معارك رهيبة، وقد قتل من أصحاب أبي السرايا خلق كثير، وقد انهارت قواه العسكرية، ولم يعد قادراً على حماية (الكوفة) التي هي عاصمته، فهرب نحو (القادسية) ثم منها إلى (السوس) فأغلق أهلها عليه الأبواب، وطلب أبو السرايا منهم أن يفتحوها له ففتحوها، ووقعت الحرب بينهم وبين أهالي السوس فانهمز أبو السرايا قاصداً (خراسان)، فنزل قرية يقال لها (برقانا) فخرج إليهم عاملها فاجتمع بهم، وأعطاهم الأمان فاستجابوا له، وفي نفس الوقت أرسلهم إلى الحسن بن سهل، وكان مقيماً بالمدائن، فلمّا انتهوا إليه أمر بقتل أبي السرايا، فقتل، ثم أمر بصلب رأسه في الجانب الشرقي من بغداد، كما أمر بصلب بدنه في الجانب الغربي من بغداد^(١). وكانت المدّة بين خروجه وقتله عشرة أشهر^(٢).

وانتهت بذلك هذه الحادثة الخطيرة، وقد قتل فيها ما يقرب من مائتي ألف مقاتل، ومما لا شبهة فيه أنّ هذه الثورة وأمثالها كانت ناجحة من سوء السياسة العباسية التي لم تألوا جهداً في ظلم الناس وإرغامهم على الذلّ والعبودية للحكم العباسي.

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٤٠٣ - ٤٠٦ نقلاً عن مقاتل الطالبين وغيره.

(٢) تاريخ الطبري ١٠ / ٢٣١ تاريخ ابن الأثير ٥ / ١٧٧.

وعلى أي حال فإن الحياة السياسية في عصر الإمام عليّ كانت مضطربة وبشعة، فقد شاعت الاضطرابات، وانتشر التمرد على الحكم العباسي في معظم البلاد الإسلامية.

التكيل بالعلويين:

ومن أفسى المحن التي عاناها السادة العلويون في العصور العباسية الأولى، والتي شاهد بعضها الإمام الرضا عليّ هو التكيل القاسي بالعلويين فقد عمد العباسيون بشكل سافر إلى اضطهادهم وتصفيتهم جسدياً.

وكان أول من أوقع الفتنة بين العلويين والعباسيين هو المنصور الدوانيقي^(١) وهو القائل: (قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون، وتركت سيدهم ومولاهم وإمامهم جعفر بن محمد)^(٢).
لقد قتل هذا العدد من أبناء رسول الله (ص) ليجعلهم ذخراً له يقدمهم إلى الله تعالى، وإلى جدّهم رسول الله (ص)، وهو الذي ترك لولده خزانة رؤوس العلويين، وعلّق بكل رأس ورقة كتب فيها اسم العلوي، وقد حوت رؤوس شيوخ وأطفال وشباب^(٣).

وقال للإمام الصادق عليّ: (لأقتلنك ولأقتلن أهلك حتى لا أبقى على الأرض منكم قامة سوط)^(٤).

وقال أبو القاسم الرسي عندما هرب من المنصور إلى (السند):

لم يروه ما أراق البغي من دمننا في كل أرض فلم يقصر من الطلب
وليس يشفي غليلاً في حشاه سوى أن لا يرى فوقها ابناً لبنت نبي^(٥)
إنّ ما اقترفه المنصور من إراقة دماء أبناء النبي (ص) من أسوأ الصفحات في

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٦١)، مروج الذهب ٤ / ٢٢٢.

(٢) الأدب في ظل التشيع (ص ٦٨).

(٣) تاريخ الطبري ١٠ / ٤٤٦.

(٤) المناقب ٣ / ٣٥٧.

(٥) النزاع والتخاصم للمقريزي (٥١).

تأريخ الدولة العباسية كما يقول السيد أمير علي^(١).

وفي عهد الهادي عانت الأسرة العلوية الخوف والإرهاب، فقد أحافهم خوفاً شديداً، وألح في طلبهم، وقطع أرزاقهم، وأعطيتهم إلى الآفاق بطلبهم^(٢) وهو صاحب (واقعة فخ) الشبيهة بكارثة كربلاء في مآسيها، فقد بلغ عدد الرؤوس التي أرسلت إليه مائة ونيفاً، وسبى الأطفال والنساء، وقتل السبي حتى الأطفال^(٣).

وأما في عهد الرشيد فقد عانى العلويون أشد وأقسى ألوان الظلم يقول الفخري: (لم يكن - أي الرشيد - يخاف الله وأفعاله بأعيان آل علي وهم أولاد بنت نبيه لغير جرم^(٤) وقد أقسم على تصفيتهم وتصفية شيعتهم، يقول: (حتام أصبر على آل بني أبي طالب والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم)^(٥) وقد أوعز إلى عامله على يثرب بأن يضمن العلويون بعضهم بعضاً^(٦) وهو الذي هدم قبر سيد الشهداء وريحانة رسول الله (ص) الإمام الحسين، وقطع السدرة التي كان يستظل تحتها الزائرون وقد قام بذلك عامله على الكوفة موسى بن عيسى العباسي^(٧).

ومن أعظم ما اقترفه من (الإثم) اغتياله لإمام المسلمين وسيد المتقين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعدما قضى في سجون حفنة من السنين.

ويصف دعبل الخزاعي في قصيدته العصماء التي رثى بها الإمام الرضا عليه السلام ما عاناه العلويون من القتل والسجن والتعذيب من العباسيين يقول:

وليس حي من الأحياء نعلمه
من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم
كما تشارك أيسار على جزر
قتلاً وأسراً وتحريقاً ومنهبةً
فعل الغزاة بأهل الروم والجزر
أرى أمية معذورين إن فعلوا
ولا أرى لبني العباس من عذر^(٨)

(١) مختصر تأريخ العرب (ص ١٨).

(٢) تأريخ البيهقي ٣ / ١٣٦.

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر.

(٤) الآداب السلطانية (ص ٢٠).

(٥) الأغاني ٥ / ٢٢٥.

(٦) الولاية والقضاة (ص ١٩٨).

(٧) أمالي الشيخ (ص ٣٣٠).

(٨) ديوان دعبل.

ويقول منصور النمري:

آل النبي ومَن يحبهم يتطامنون مخافة القتل
أمن النصارى واليهود وهم من أمة التوحيد في أزل
وعرض الشاعر الكبير ابن الرومي في قصيدته التي رثى بها الشهيد الخالد يحيى إلى محن العلويين، وما جرى عليهم من صنوف التعذيب، يقول:

ألا أيهذا الناس طال ضريركم بآل رسول الله فاحشوا أو ارتجوا
أكل أوانٍ للنبي محمّدٍ قتيلا ركي بالدماء مضرج
تبيعون فيه الدين شرّ أئمةٍ فلله دين الله قد كاد يعرج^(١)
إلى أن قال:

بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبواكم عمّا قليل مفرج^(٢)
أما فيهم راعٍ لحقّ نيّيه ولا خائف من ربه يتحرج^(٣)
وقد عرض أحرار الشعراء إلى ما عانوه السادة من الخطوب والحن من أئمة الظلم والجور في كثير ممّا نظموه، وقد ذكرنا القسم الكثير منه في مؤلّفاتنا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، من أراد الوقوف عليه فليراجعها، ونختم هذا البحث بالرسالة الآتية فقد عرضت ما جرى على العلويين.

رسالة الخوارزمي:

وكشف الخوارزمي في رسالته التي بعثها إلى أهالي (نيسابور) ما جرى على السادة العلويين من ضروب الحن والبلاء التي يعانها غيرهم ونقل بعض ما جاء منها قال:
(فلما انتهكوا - أي بني أمية - ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الاثم العظيم غضب الله عليهم، وانتزع الملك منهم، فبعث عليهم (أبا مجرم) لا أبا مسلم فنظر لا نظر الله إليه إلى صلابة العلوية، وإلى لين العباسية فترك تقاه واتبع هواه، وباع آخرته بدنياه، بقتله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسلّط طواغيت

(١) أراد بشر الأئمة العباسيين، ومرج: أي يفسد ويضطرب.

(٢) الشلو: العضو، والمراد قتل أبنائهم.

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٦٤٦).

خراسان، وأكراد أصفهان، وخوارج سجستان على آل أبي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدبر، ويطلبهم في كل سهل وجبل، حتى سلط الله عليه أحب الناس إليه فقتله كما قتل الناس في طاعته، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه، وإن ركب ما لا يهواه، وخلت إلى الدوانيقي الدنيا فحبط فيها عسفاً، وتفضي فيها جوراً وحيفاً، وقد امتلأت سجونه بأهل بيت الرسالة، ومعدن الطيب والطهارة، وقد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني بـ (السند)، على يد عمر بن هشام الثعلبي، فما ظنك بمن قرب متناولة عليه ولان مسه على يديه... وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن - والصحيح الحسين - بن علي بـ (فخ) من موسى، وما اتفق على علي بن الأفطس الحسيني من هارون، وما جرى على أحمد بن علي الزيدي، وعلى القاسم بن علي الحسيني من حبسه، وعلى غسان بن حاضر الخزاعي حين أخذ من قبله، والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة، واقتلع غرس الإمامة وأنتم أصلحكم الله أعظم نصيباً في الدين من الأعمش فقد شتموه ومن شريك فقد عزلوه، ومن هشام بن الحكم فقد أخافوه ومن علي بن يقطين فقد أتهموه...)

وعرض بعد هذا إلى بني أمية، ثم عرض ثانياً لبني العباس قائلاً:

وقل في بني العباس فإنك ستجد بحمد الله مقالاً: وجل في عجائبهم فإنك ترى ما شئت مجالاً. يجي فيؤهم فيفرق على الديلمي، والتركي، ويحمل إلى المغربي والفرغاني، ويموت إمام من أئمة الهدى، وسيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته، ولا تخصص مقبرته، ويموت (ظراط) لهم أو لا عجب أو مسخرة، أو ضارب فتحضر جنازته العدول والقضاة، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاة ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً، أو سوفسطائياً، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً، ويقتلون من يعرفونه شيعياً، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً.

ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلّى بن خنيس قتيل داود بن علي، ولو لم يجبس فيهم غير أبي تراب المروزي لكان ذلك جرحاً لا يبرأ، وثائرة لا تطفأ، وصدعاً لا يلتئم، وجرحاً لا تلتحم.

وكفاهم أنّ شعراء قريش قالوا في الجاهلية أشعاراً، يهجون بها أمير المؤمنين ﷺ، ويعارضون فيها أشعار المسلمين فحملت أشعارهم، ودوّنت أخبارهم، ورواها الرواة، مثل: الواقدي، ووهب بن منبه التميمي، ومثل الكلبي، والشرقي بن القطامي، والهيثم بن عدي، ودأب بن الكنايني، وإنّ بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب الوحي، بل ذكر معجزات النبي (ص) فيقطع لسانه، ويمزّق ديوانه، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي، وكما أريد بالكميت بن زيد الأسدي، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النميري، وكما دمر على دعبل بن علي الخزاعي، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي، ومن علي بن الجهم الشامي، ليس إلاّ لغلوهما في النصب، واستباحتهما مقت الرب، حتى أنّ هارون بن الخيزران وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمن كانا لا يعطيان مالا، ولا يبذلان نوالاً إلاّ لمن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب مثل: عبد الله بن مصعب الزبيري ووهب بن وهب البختري، ومن الشعراء مثل: مروان بن أبي حفصة الأموي، فأما في أيام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري، وأبي السمط بن أبي الجون الأموي وابن أبي الشوارب العبشمي.

وعرّج بعد هذا الكلام على بني أمية وما اقترفوه من ظلم العلويين، ثم أستأنف الكلام عن العباسيين فقال: وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن كرهوه، وبتفصيل من نقصوه وقتلوه، قال منصور بن الزبرقان على بساط هارون:

آل النبي ومَن يحبهم	يتطامنون مخافة القتل
أمن النصارى واليهود وهم	من أمّة التوحيد في أزل
وقال دعبل وهو صنيعه بني العباس وشاعرهم ^(١) :	
ألم تر أنّي مذثمانين حجّة	أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيهم في غيرهم متقسّماً	وأيديهم من فيئهم صفرات
وقال على بن العباس الرومي وهو مولى المعتصم:	
تأليت أن لا يبرح المرء منكم	يشل على حر الجبين فيعفج

(١) لم يكن دعبل الخزاعي صنيعاً بني العباس، وإنما هو صنيعاً أهل البيت وشاعرهم، وعانى في سبيلهم المضاعب والكوارث.

كذلك بنو العباس تصير منكم ويصير للسيف الكمي المدحج
لكل أوان للنبي محمدٍ قتييل زكي بالدماء مضرج
وقال إبراهيم بن العباس الصولي: وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لما قره المأمون:

يمن عليكم بأموالكم وتعطون من مئة واحدا
وكيف لا ينتفضون قوماً يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً، ويملأون ديار الترك والديلم فضة وذهباً،
يستنصرون المغربي والفرغاني وبنون المهاجري والأنصاري، ويولون أنباط السود وزارتهم وتلف العجم
والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمهم، وفيء جدّهم، يشتهي العلوي الأكلة فيحرمها،
ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز، وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى ابن
مريم المدني، وإلى إبراهيم الموصللي، وابن جامع السهمي، وإلى زلزل الضارب، وبرصوما الزامر، وإقطاع
بختيشوع النصراني قوت أهل بلد، وجاري بغا التركي والافشين الاشروسي، كفاية أمة ذات عدد.
والتوكل زعموا يتسرى باثني عشر ألف سرية، والسيد من سادات أهل البيت يتعقّف بزنجية أو سندية،
وصفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاغنة، وعلى موائد المخاتنة، وعلى طعمة الكلابين، ورسوم
القرادين، وعلى مخارق وعلوية المغني، زرزر، وعمر بن بانة المهلي، ويخلون على الفاطمي بأكلة أو
شربة، ويصارفونه على دائق وجبة، ويشترون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر.
والقوم الذين أحلّ لهم الخمس، وحرمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبة، يتكفّفون ضرراً،
ويهلكون فقراً، ويرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئه بعين مريضة، ويشتد على دهره بنفس
ضعيفة، ليس له ذنب إلا أنّ جدّه النبي (ص)، وأبوه الوصي، وأمّه فاطمة، وجدّته خديجة، ومذهبه
الإيمان، وإمامه القرآن، وحقوقه مصروفة إلى القهرمان والمفرطة وإلى المغمزة، وإلى المزررة، وخمسه مقسوم
على نقار الديكة الدمية، والقردة، وعلى رؤوس اللعبة واللعبة، وعلى مرية الرحلة.
(وماذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات وأجروا العبادة وذويه الجرايات، وحرثوا تربة
الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوا زوّاره إلى البلدان وما

أصف من قوم هم نطق السكاري في أرحام القيان؟ وماذا يقال في أهل بيت منهم
البغا، وفيهم راح التخنيث وغدا، وبهم عرف اللواط؟ كان إبراهيم ابن المهدي مغنياً، وكان المتوكل
مؤثناً موضعاً، وكان المعتز مخشاً، وكان ابن زبيدة معتوهاً مفركاً، وقتل المأمون أخاه، وقتل المنتصر أباه،
وسمّ موسى ابن المهدي أمّه، وسمّ المعتضد عمّه).

وعرض بعد هذا إلى مصائب الأمويين، ثم ختم كلامه بعيوب العباسيين قائلاً: (وهذه المثالب مع
عظمتها وكثرتها، ومع قبحها وشنعها، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس الذين بنوا مدينة الجبارين،
وفرقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين...) (١).

لا أكاد أعرف وثيقة سياسية جامعة مثل هذه الوثيقة فقد ألمت بأحوال ملوك العباسيين، وحكت
سوء سياستهم، التي منها قسوتهم البالغة على السادة العلويين، وحرمانهم من جميع حقوقهم الطبيعية،
حتى بلغت بها الضائقة إلى حد لا يطاق، في حين أنّ الأموال الطائلة كانت تنفق على الشهوات، وعلى
العابثين والمغنين والماجنين وأهل البيت ومن يمت إليهم من شيعتهم، لا يجدون الرغيف ولا الستر، ولا غير
ذلك من مستلزمات الحياة.

كما حكّت هذه الوثيقة أموراً بالغة الأهمية والخطورة، ولا نحتاج إلى بيانها فهي واضحة في مدلولها.

مع الواقفية:

من الأحداث التي جرت في عصر الإمام الرضا عليه السلام، وأزعجته إلى حدّ بعيد هي انتشار مذهب
(الواقفية) بين صفوف الشيعة، فقد ذهب القائلون بالوقف: إلى أنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حي ولم
يمت، ولا يموت، وأنّه رفع إلى السماء كما رفع المسيح بن مريم، وأنّه هو القائم المنتظر الذي يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وزعموا أنّ الذي في سجن السندي بن شاهك ليس هو الإمام
موسى عليه السلام، وإنما شبّه وخيّل إلى الناس أنّه هو... ولا بد

(١) حياة الإمام الرضا (ص ١٠٠ - ١٠٦) نقلاً عن رسائل الخوارزمي.

من وقفة قصيرة للحديث عن بعض شؤون هذه العصاة:

١ - سبب الوقف:

أمّا سبب الوقف فيعود إلى أنّ الإمام الكاظم عليه السلام حينما كان في سجن هارون نصب وكلاء له لبعض الحقوق الشرعية التي كانت ترد إليه من الشيعة، وقد اجتمعت أموال كثيرة عند بعض الوكلاء، فكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلمّا توفي الإمام الكاظم عليه السلام جحدوا موته، واشتروا بالأموال التي عندهم الضياع والدور، وقد طلبها الإمام الرضا عليه السلام منهم فأنكروا موت أبيه، وأبوا من تسليمها له^(١).

٢ - انتشار الوقف:

وانتشرت أفكار (الواقفية) بسبب الدعاة، فقد بذلوا الأموال الطائلة بسخاء لشراء الضمائر، وإضلال الناس فقد روى يونس بن عبد الرحمن قال: (مات أبو إبراهيم موسى عليه السلام وليس من قومه أحد إلاّ وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وفقهم وجحدهم موته طمعاً في الأموال، فكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلمّا رأيت ذلك، وتبيّنت الحق، وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما عرفت تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثنا إليّ، وقالوا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن

نعينك، وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالوا: كفّ، فأبيت، وقلت لهما، إنّنا روينا عن الصادقين عليه السلام أنّهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال، فناصباني، وأضمر لي العداوة^(٢).

بمثل هذه الأساليب والخدع انتشر مبدأ الوقف، ولكنّه ما لبث أن تحطّم، وانكشف زيفه، وظهر دجل دعائه.

شجب الامام للواقفية:

وأنكر الإمام الرضا عليه السلام على دعاة الواقفية ما ذهبوا إليه، فقد كتب

(١) البحار ٢ / ٣٠٨.

(٢) البحار ١٢ / ٣٠٨.

إليه بعض شيعته يسأله عنهم فأجابه عليه السلام: (الواقف حائد عن الحق، ومقيم على سيئة إن مات لها كانت جهنم مأواه وبئس المصير) ^(١).

وسأله بعض الشيعة عن جواز إعطاء الزكاة لهم فنهاه عن ذلك، وقال: إنهم كفار مشركون زنادقة ^(٢)، ووفد محمد بن الفضيل على الإمام الرضا عليه السلام، فقال للإمام يخبره بحال زعماء الوقف: (جعلت فداك، إني خلفت ابن أبي حمزة، وابن مهران وابن أبي سعيد - وهم زعماء الواقفية - أهل الدنيا عداوة لله تعالى...)

فأجابه الإمام:

(ما ضرك من ضلّ إذا اهتديت، إنهم كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكذبوا فلاناً، وفلاناً، وكذبوا جعفر وموسى عليهما السلام، ولي بأبائي أسوة...).

فانبرى محمد قائلاً:

(إنك قلت لابن مهران: أذهب الله نور قلبك، وأدخل الفقر بيتك...).

فقال الإمام عليه السلام:

(كيف حاله، وحال إخوانه؟).

فأخبره محمد باستجابة دعائه، وأنهم معانون البؤس والفقر قائلاً: (يا سيدي، هم بأشد حال مكروبون ببغداد، لم يقدر الحسين أن يخرج إلى العمرة...).

لقد تميّز موقف الإمام عليه السلام بالشدة والصرامة تجاه هؤلاء الذين ساقطتهم الأطماع إلى التمرد على الحق، وجحود الإمام.

الإمام مع الحسين بن مهران:

أمّا الحسين بن مهران فهو من أعلام الواقفية، وكان يكتب إلى الإمام الرضا عليه السلام بلهجة تنم عن نفاقه وعدم إيمانه، فكان يأمر الإمام وينهاه، وقد تخلّى بذلك عن نواميس الأدب، فلم يرع مقام الإمام، وقد كتب إليه الإمام برسالة، وأمر أصحابه باستنساخها؛ لئلاّ يسترها ابن مهران، وهذه صورة الكتاب بعد البسملة:

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٢٠٧.

(٢) البحار ١٢ / ٩٠٩.

(عافانا الله، وإيّاك، جاءني كتابك تذكر فيه الرجل الذي عليه الخيانة والغبن، وتقول: احذره، وتذكر ما تلقاني به، وتبعث إليّ بغيره، فاحتججت، فأكثر، وزغمت عليه أمراً، وأردت الدخول في مثله... تقول: إنّه عمل في أمري بعقله وحيلته، نظراً فيه لنفسه، وإرادة أن تميل إليه قلوب الناس، ليكون الأمر بيده، وإليه يعمل فيه برأيه، ويزعم أنّي طاوعته فيما أشار به عليّ، وهذا أنت تشير عليّ فيما يستقيم عندك في العقل والحيلة بعدك (بغيرك) لا يستقم الأمر إلّا بأحد الأمرين:

إمّا قبلت الأمر على ما كان يكون عليه، وإمّا أعطيت القوم ما طلبوا، وقطعت عليهم، وإلّا فالأمر عندنا معوج، والناس غير مسلمين ما في أيديهم من مالي وذاهبون به، فالأمر ليس بعقلك، ولا لحيلتك يكون، ولا نفع الذي نخلته بالرأي والمشورة، ولكنّ الأمر إلى الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، يفعل في خلقه ما يشاء، من يهدي الله فلا مضلّ له، ومن يضلله فلا هادي له ولن تجد له ولياً مرشداً.

فقلت: واعمل في أمرهم، وأحيل فيه، وكيف الحيلة، والله يقول:

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعُثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَّاءٌ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وقوله: عزّ وجلّ (وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ) فلو تجيبهم فيما سألوا عنه استقاموا وسلموا، وقد كان منّي ما أمرتك، وأنكرت وأنكروا من بعدي، ومد لي لقائي، وما كان ذلك منّي إلّا رجاء الإصلاح لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

(اقتربوا أو سلوا فإنّ العلم يفيض فيضاً) وجعل يمسح بطنه ويقول: (ما ملئني طعام ولكن ملأته علماً، والله ما آية نزلت في بر ولا بحر، ولا سهل ولا جبل إلّا أنا أعلمها، وأعلم في من نزلت) وقول أبي عبد الله عليه السلام: (إلى الله أشكو أهل المدينة إنّما أنا فيهم كالشعرة ما انتقل، يريدوني أن لا أقول الحق: (والله لا أزال أقول الحق حتى أموت) فلما قلت حقاً أريد به حقن دمائكم، وجمع أمركم على ما كنتم عليه أن يكون سرّكم مكتوماً عندكم غير فاشٍ في غيركم.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (سر أسره الله إلى جبرئيل، وأسره جبرئيل إلى محمد، وأسره محمد صلى الله عليه وآله إلى علي، وأسره علي إلى من شاء).

ثم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ثم أنتم تحدثون به في الطريق، فأردت

حيث مضى صاحبكم أن ألف أمركم عليكم لئلا تضعوه في غير موضعه، ولا تسألوا عنه غير أهله، فتكونون في مسألتكم إياهم هلكتم، فكم من دعا إلى نفسه، ولم يكن داخلاً، ثم قلت: لا بد إذا كان ذلك منه يثبت على ذلك، ولا يتحوّل عنه إلى غيره قلت: لأته كان من التقية، والكفّ أولى، وأما إذا تكلم فقد لزمه الجواب فيما يسأل عنه، وصار الذي كنتم تزعمون أنكم تدعون به، فإنّ الأمر مردود إلى غيركم وأنّ الفرض عليكم إتباعهم فيه إليكم فصيرتم ما استقام في عقولكم وآرائكم، وصحّ به القياس عندكم بذلك لازماً لئلا زعمتم من أن لا يصح أمرنا، زعمتم حتى يكون ذلك علي لكم.

فإن قلت: إن لم يكن كذلك لصاحبكم فصار الأمر أن وقع إليكم نبذتم أمر ربكم وراء ظهوركم فلو اتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتمدين، وما كان بد من أن تكونوا كما كان من قبلكم قد أخبرتم أنّها السنن والأمثال القدّة بالقدّة.

وما كان يكون ما طلبتم من الكفّ أولاً ومن الجواب آخر شفاء لصدوركم ولا ذهاب شككم، وما كان بد من أن يكون ما قد كان منكم، ولا يذهب عن قلوبكم حتى يذهبه الله عنكم، ولو قدر الناس كلهم على أن يجونا ويعرفوا حقنا، ويسلموا لأمرنا فعلوا، ولكنّ الله يفعل ما يشاء ويهدي إليه من أناب. فقد أجبته في مسائل كثيرة فانظر أنت ومن أراد المسائل منها وتدبرها، فإن لم يكن في المسائل شفاء، وقد مضى إليكم مّي ما فيه حجة ومعتبر.

وكثرة المسائل معتبة عندنا مكروهة، إنّما يريد أصحاب المسائل المحنة ليجدوا سبيلاً إلى الشبهة والضلال ومن أراد لبساً لبس الله عليه، ووكله إلى نفسه، ولا ترى أنت وأصحابك أيّ أجبته فذاك إليّ وإن شئت صممت فذاك إليّ لا ما تقوله أنت وأصحابك، لا تدرون كذا وكذا، بل لا بد من ذلك إذ نحن منه على يقين، وأنتم منه في شك^(١).

وانتهت هذه الرسالة التي بعثها الإمام إلى الحسين بن مهران، وقد احتوت على أمور غامضة، بالإضافة إلى تقطع فصولها، وعدم ترابطها، وأكبر الظن أنّها قد حذفت

(١) الكشي معجم رجال الحديث ٦ / ١٠٤ - ١٠٧.

منها ما يوجب ربطها، وإيضاح المقصود منها.
وعلى أي حال فقد عبّرت هذه الرسالة عن محنة الإمام عليه السلام وآلامه من الواقفية الذين غرّتهم الدنيا.
٢ - الحسين بن عمر:

قال: سمعت يحيى بن أكثم (قاضي سامراء)، بعدما جهدت به، وناظرته، وحاوَرته، وواصلته، وسألته عن علوم آل محمد، فقال: بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فرأيت محمد بن علي الرضا عليه السلام، يطوف به، فناظرته في مسائل عندي، فأخرجها إلي، فقلت له: والله إنني أريد أن أسألك مسألة، وإنني والله لأستحيي من ذلك!
فقال لي: أنا أحيرك، قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام.
فقلت: هو والله هذا! فقال: أنا هو.
فقلت: علامة؟

فكان في يده عصا، فنطقت وقالت: (إن مولاي إمام هذا الزمان وهو الحجة!)^(١).
وروي الحسين بن عمر بن يزيد، قال: دخلت على الرضا عليه السلام، وأنا يومئذ واقف، وقد كان أبي سأل أباه عن سبع مسائل، فأجابه في ست، وأمسك عن السابعة، فقلت: (والله لأسألنه عما سأل أبي أباه، فإن أجاب بمثل فسألته، فأجاب بمثل جواب أبيه في المسائل الست، فلم يزد في الجواد واوا ولا ياء، وأمسك عن السابعة.
وقد كان أبي قال لأبيه: إنني احتج عليك عند الله يوم القيامة، أنك زعمت أن عبد الله لم يكن إماما، فوضع عليه السلام يده على عنقه ثم قال له: نعم أحتج علي بذلك عند الله عز وجل، فما كان فيه من اثم فهو في رقبتي الخ^(٢).

٣ - الوشاء:

روى الوشاء قال: أتيت خراسان، وأنا من الواقفية، وقد حملت معي قناعا،

(١) أصول الكافي ١ / ٣٥٣.

(٢) أصول الكافي ١ / ٣٥٣.

وكان معي ثوب وشي في بعض الرزم، ولم اعرف مكانه فلما قدمت، ونزلت في بعض منازلها لم أشعر إلا ورجل مدني من بعض مولديها، فقال لي أبو الحسن الرضا يقول لك: ابعث إليّ الثوب الوشي الذي عندك، فقلت: ومَن أخبر أبا الحسن بقدمي؟

وأنا قدمت آنفاً، وما عندي ثوب وشي، فرجع إليّ، وأخبره فعاد إليّ، فقال لي: يقول لك: هو في موضع كذا وكذا، فطلبتّه حيث قال فبعثت به إليه ^(١) وكان ذلك سبباً لهدايته. هؤلاء بعض المؤمنين الذين هداهم الله، ورجعوا عن الوقف ودانوا بإمامة الإمام الرضا عليه السلام.

مشكلة خلق القرآن:

من الأحداث المهمة في عصر الإمام عليه السلام هي مسألة خلق القرآن، فقد اختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً، وعانى منهم جماعة سخط الدولة ونقمتها، وغضب الجمهور.

لقد نشأت هذه الفكرة في أواخر الدولة الأموية، وكان أول من ابتدعها الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فهو أول من تكلم بها، وقد حرّر وشرح فصولها وأذاعها في دمشق، فطلبتّه السلطة فهرب منها ثم نزل الكوفة، فتعلم منه الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية ^(٢) ويقول ابن الأثير: إنّ هشام بن عبد الملك قبض على الجعد وأرسله مخفوراً إلى خالد القسري أمير العراق وأمره بقتله، فحبسه خالد ولم يقتله فبلغ الخبر هشاماً فكتب إليه يلومه ويعزم عليه بقتله، فأخرجه خالد من الحبس في وثاقه، فلما صلى العيد يوم الأضحى قال في آخر خطبته: انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم، فاني أريد أن أضحي اليوم بالجعد، فإنه يقول: ما كلم الله موسى، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد: ثم نزل وذبحه ^(٣).

وظلّت هذه الفكرة بعد مقتل الجعد تحت الخفاء، وفي طي الكتمان إلى دور

(١) أصول الكافي ١ / ٣٥٤.

(٢) سرح العيون (ص ١٥٩).

(٣) عصر المأمون ١ / ٣٩٥.

هارون وعند ما ظهر أمر المعتزلة، وانتشرت أفكارهم، أعلنوا القول بخلق القرآن، وكان من أهم الداعين إلى ذلك بشر المريسي، وقد أُلّف فيها عدة كتب، وبلغ خبره هارون، فقال: والله لأن أظفري الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحداً، ولمّا بلغ بشر ذلك توارى واختفى طيلة حكم هارون^(١).

ولمّا ولي الحكم المأمون نشطت الحركة، وأخذت الفكرة بالنمو والانتساع وتبنى المأمون القول بخلق القرآن، وحمل الناس على القول بما فَمَن خالفها تعرّض للنقمة والعذاب.

وتعتبر هذه المسألة من أهم الأحداث الخطيرة التي حدثت في عصر الإمام عليّ، وقد تعرّض لبسطها وإيضاح جوانبها الفلاسفة من المعتزلة وغيرهم، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكلام النفسي فهي من فروعها، وبحوثه، ولولا خوف الإطالة لتحدثنا عنها بالتفصيل^(٢).

الكذب على الأئمة:

وشاع افتعال الأحاديث والكذب على الأئمة عليّ في عصر الإمام الرضا عليّ، وغيره من سائر العصور، وذلك للحط من شأنهم، والتقليل من أهميتهم، ومن بين تلك الأحاديث ما نقله أبو الصلت فقد قال للإمام الرضا: (يا بن رسول الله ما شيء يحكيه الناس عنكم؟).

وسارع الامام قائلاً:

(ما هو؟).

(يقولون: إنكم تدعون أن الناس عبيد لكم...).

فأنكر الإمام ذلك، وتبرأ منه وقال: (اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تشهد بأبيّ لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي قاله، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة وإنّ هذه منها).

(١) النجوم الزاهرة ١ / ١٤٧.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٢١٣.

ثم التفتت إلى أبي الصلت فقال له:
(يا عبد السلام إذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما يقولون: فعلى من نبيعهم؟ يا عبد السلام أمنكر
أنت لما أوجب الله عزّ وجل لنا من الولاية كما ينكره
غيرك...).

وعلق العلامة السيد هاشم معروف الحسيني (رحمه الله) على هذه الرواية بقوله: لقد أنكر الإمام على
السائل ذلك الاتهام الذي أراد أعداؤهم من خلاله التشنيع عليهم، وعدّه من جملة المظالم التي ارتكبتها
الأمة بحقهم؛ لأنّ نسبة ذلك لهم يعني أنّهم يخالفون سنن الإسلام، ونصوص القرآن التي لا ترى فضلاً
لأحد إلا بالتقوى^(١).

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عصر الإمام الرضا، وقد ذكرنا بحثاً مفصلاً عن
هذا العصر في كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) ولا نكرّر ما ذكرناه.

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر ٢ / ٣٥٩.

في عهد الرشيد والأمين والمأمون

عاصر الإمام الرضا عليه السلام ثلاثة من ملوك العباسيين: وهم هارون الرشيد، والأمين والمأمون، وفي عهد الرشيد انطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير؛ وذلك لما اتخذ هارون من إجراءات صارمة وقاسية ضد السادة العلويين عامة، وضد أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، كما تحدثنا عنه في فصول هذا الكتاب، ونتحدث - بإيجاز - عن هؤلاء الملوك، وعن مواقفهم مع الإمام الرضا عليه السلام.

هارون الرشيد:

وهو من أشهر ملوك بني العباس، فقد انتشر اسمه، وذاع ذكره في الشرق والغرب، واستوسقت له الدنيا، وزها له الملك، وأصبحت عاصمته بغداد عروس الشرق، وامتد حكمه وسلطانه على أغلب أنحاء الأرض، وهو القائل للسحاب: *إنما تمطرين ففي ملكي*. وقد ذعنت له ملوك الأرض، وصغرت أمام سلطانه، ونعرض إلى بعض ملامح شخصيته، وهي:

أ - القسوة:

أمّا القسوة فكانت من عناصره ومقوماته، وكان فيما يقول المؤرخون جباراً سفاكاً للدماء على نمط ملوك الشرق المستبدين، حسبما يقول الأمير شكيب أرسلان^(١).

وكان من قسوته البالغة فتكه بالسادة العلويين، وتنكيله بهم فقد صبّ عليهم وابلاً من العذاب الأليم لم يألفوه إلاّ في عهد جدّه الطاغية السفاك المنصور الدوانيقي، وقد عرضنا إلى ما لاقوه في عهده من الضر والمحن والبلاء.

ب - الحقد:

ومن عناصر شخصية الرشيد أنّه كان حقوداً على ذوي الأحساب العريقة والشخصيات اللامعة التي تتمتع بمكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية، وقد حقد على سيد المسلمين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فأودعه في ظلمات السجون ثم اغتاله بالسم، وذلك لما للإمام من منزلة عظمي في نفوس المسلمين وهكذا كان حاقداً على كل من ذاع اسمه، وانتشر فضله بين الناس، فقد نكب البرامكة فقتل أعلامهم، وصادر أملاكهم، وتركهم بأقصى مكان من الذلّ والهوان؛ وذلك لما لهم من مكانة عند الناس، فكانت الشعراء تلهج بذكرهم وتذيع جودهم وسخاءهم فغاظه ذلك، وورم أنفه فأنزل بهم عقابه الصارم. لقد كان الحقد من مقومات شخصية هارون، وعنصراً بارزاً من عناصره.

التحلّل:

ولم يملك هارون أي رصيد من التقوى والإيمان، فكان متحللاً منسأباً وراء شهواته وملاذه، وكان من مظاهر تحلّله ما يلي:

أ - شربه للخمر:

كان هارون مدمناً على شرب الخمر، وربما كان يتولى بنفسه سقاية ندمائه، وكانت أخته عليه تصنع له الخمر الجيد، وتبعثه إليه، وقد ذكرنا عرضاً مفصلاً لإدمانه على الخمر، وعكوفه على شربها في كتابنا حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

(١) حياة الإمام الرضا (ص ١١٩).

ب - ولعه بالغناء:

ونشأ هارون بين أحضان المغنيات والمطربات، وقد اجتمع في قصره عدد كبير من العازفات والمغنيات، فكان في قصره ثلاثمائة جارية من الحسان يعزفن ويغنين^(١)، وقد جعل المغنين طبقات ومراتب، فكان إبراهيم الموصللي وابن جامع وزلزل الضارب في الطبقة الأولى، وكان زلزل يضرب على العود، ويغني الموصللي وابن جامع، والطبقة الثانية: إسحاق وسليم بن سلام وعمرو بن الغزال، والطبقة الثالثة: أصحاب المعازف والطناب^(٢).

وهام بحب ثلاث مغنيات من جواريه هن: غادر، وماردة، وهيلانة، وحنث وقال فيهن الشعر ومن قوله:

ملك الثلاث الأنسات عناني وحللن من قلبي أعزّ مكاني
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصيان
ما ذاك إلا أنّ سلطان الهوى وبه غلبن أعزّ من سلطاني^(٣)

وقد عرضنا بصورة مفصّلة إلى هذه الظاهرة من حياة الرشيد في كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر).

ج - لعه بالنرد:

ومن تحلّل هارون وعدم مبالاته باقتراف الحرام لعه بالنرد^(٤) وهو من أنواع القمار، وقد لعب مرّة مع إسحاق الموصللي بالنرد، وقد قامره على الخلعة التي عليها فغلبه إسحاق، فقام وخلع ما عليه من ثياب فامتنع الرشيد من لبسها وقال له: ويلك أنا البس ثيابك؟ فقال إسحاق: أي والله إذا أنصفت، وإذا لم تنصف قدرت وأمكنك، قال: ويلك أو أفتدي منك؟ قال نعم: قال الرشيد: وما الفداء؟ قال إسحاق: قل: أنت يا أمير المؤمنين فإنّك أولى بالقوّة، فقال: أعطيك كل ما علي، قال إسحاق: فمر به يا أمير المؤمنين فدعا بغير ما عليه من الثياب، ونزع ما كان عليه

(١) التمدن الإسلامي ٥ / ١١٨.

(٢) الناج (ص ٤٠ - ٤٢).

(٣) تزيين الأسواق، فوات الوفيات ٤ / ٢٢٥.

(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٧٠.

فدفعه إلى إبراهيم^(١) وكان يعلب بالشطرنج إذا سافر في دجلة^(٢).
هذه بعض الأعمال التي أثرت عن هارون، وقد دلت - بوضوح - على تحلله وعدم تمسكه بتعاليم الدين الخفيف.

لقد أسرف هارون في الشهوات، وصار بلاطه مسرحاً لجميع ألوان الدعارة والمجون، فلا يكاد يخلو من حفلات الرقص والغناء وشرب الخمر، ولم يعد حكمه بأي حال من الأحوال يمثل أي جانب من جوانب الحكم الإسلامي.

مع الإمام الرضا:

وحيثما اغتال هارون الإمام الرضا عليه السلام بعث عصابة من رجال الأمن للاطلاع على شؤون الإمام الرضا عليه السلام ومعرفة اتجاهاته وميوله.

وشعر الإمام عليه السلام بذلك فأراد التخلص من هارون فمضى إلى السوق والأمن يتابعه فاشترى عليه السلام ديكاً وكلباً وشاة، ورفع رجال الأمن ذلك إلى هارون فلمّا عرف ذلك استراح من جانب الإمام، وعرف أنّه ليس أهلاً لأن يقوم بأي حركة ضده، وأمر رجال أمنه بالتوجّه إلى بغداد.

وانبرى الإمام عليه السلام إلى نشر أحكام الله وتعاليم الإسلام، وإيضاح جوانب الإمامة، وفتح بعض أعلام شيعته وخافوا بأنّه لا يصيبه أي مكروه من

هارون، وأنّه لا يخاف جانبه^(٣) بعد الذي صنعه من شراء الديك والكلب والكبش، وكان ممّن خاف على الإمام وحذره من بطش هارون هم:

١ - صفوان بن يحيى:

قال صفوان: لمّا مضى أبو إبراهيم عليه السلام وتكلّم أبو الحسن الرضا خفنا عليه، فقبل له: إنك قد أظهرت أمراً عظيماً، وإنّا نخاف عليك هذا الطاغية - يعني هارون - فقال عليه السلام: ليجهد جهده فلا سبيل له علي^(٤).

٢ - محمد بن سنان:

قال محمد بن سنان: قلت لأبي الحسن الرضا في أيام هارون، إنك قد شهرت

(١) الأغاني ٥ / ٦٩ - ٧٠.

(٢) الأغاني ٩ / ٦٤.

(٣) البحار ١٢ / ٣٢.

(٤) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٩٧.

نفسك بهذا الأمر - أي إظهار الإمامة - وجلست مجلس أيبك، وسيف هارون يقطر من دمائك! فقال عليه السلام: جرأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا أنني لست بنبي وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنني لست بإمام ^(١).

وشاية عيسى بن جعفر بالإمام:

وانبرى عيسى بن جعفر نحو هارون حينما توجه من (الرقعة) إلى (مكة) فقال له: (أذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنك حلفت إن ادعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً، وهذا علي ابنه يدعي الأمر - أي الإمامة - ويقال فيه، ما في أبيه...).

فلم يحفل هارون بكلامه، ونظر إليه وقال له: (وما ترى؟ أتريد أن أقتلهم كلهم؟). وكان في المجلس موسى بن مهران فبادر إلى الإمام الرضا عليه السلام فأخبره بالأمر، فقال عليه السلام: (مالي ولهم لا يقدرن علي علي شيء) ^(٢).

وشاية يحيى بالإمام:

وممن وشى بالإمام يحيى البرمكي، فقد قال لهارون: هذا علي الرضا بن موسى قد تقدم، وادعى الأمر لنفسه، فلم يحفل به هارون وقال له: يكفيننا ما فعلنا بأبيه أتريد أن نقتلهم جميعاً ^(٣)، وقد باءت بالفشل جميع المحاولات التي حيكت ضده.

دعاء الإمام علي البرامكة:

وكان للبرامكة دور خطير في التنكيل بالإمام الكاظم عليه السلام، فقد أوغروا صدر الطاغية هارون عليه، وكان الإمام الرضا عليه السلام عالماً بذلك

(١) أعيان الشيعة ٤ / ٢ / ٩٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٢٦.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف (ص ٥٩).

فراح يدعو عليهم فقد روى محمد بن الفضيل قال: لما كان في السنة التي بطش فيها بالبرامكة، ونزل بهم من البلاء ما نزل أبو الحسن الرضا واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك، فقال: إني كنت أدعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي فاستجاب الله لي اليوم فيهم، ولم يلبث يسيراً حتى بطش هارون بجعفر ويحيى وتغيّرت أحوالهم^(١).

وروى الحسن بن علي الوشاء عن مسافر قال: كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام ب (منى)، فمرّ يحيى بن خالد مع قوم من آل برمك، فقال عليه السلام: (مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة). وأضاف الإمام قائلاً:

(وا عجي من هذا، هارون وأنا كهاتين، وضّم بأصبغه)

قال مسافر: فو الله ما عرفنا معنى حديثه حتى دفّاه معه^(٢).

لقد استجاب الله دعاء وليّه فأنزل عقابه الصارم بالبرامكة، فأزال نعتهم وأباد أعلامهم، فقد نكل بهم هارون كأفطع وأقسى ما يكون التنكيل، فقتل جعفر، وقسمه نصفين، وجعل كل نصف في الأماكن الحساسة في بغداد وألقى يحيى مع بقية أبنائه في سجونهم، وصادر أمواهم المنقولة، وغير المنقولة.

كبس دار الإمام:

ولمّا ثار محمد بن جعفر بن محمد على هارون أرسل الجلودي إلى مناجزته وأمره أن يغير على دور العلويين في المدينة، ويسلب ما على نسائهم من ثياب وحلي، ولا يدع على واحدة منهن إلاّ ثوباً واحداً. وهجم الجلودي على دار الإمام الرضا عليه السلام، فقام الإمام وجمع السيدات من بنات رسول الله (ص) في بيت ووقف على باب البيت فقال الجلودي:

للإمام لا بد أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني الرشيد، فقال له الإمام: أنا أسلبهن لك، وأحلف أيّ لا أدع عليهنّ شيئاً إلاّ أخذته، فلم يزل الإمام يطلب إليه، ويتوسّل حتى سكن، وقام عليه السلام إلى البيت فأخذ ما على العلويات من حلي

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا، البحار.

وحلل، ولم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزارهن، وسلّم جميع ذلك إلى الجلودي ليقوم بتسليمه إلى طاغية بغداد (١).

وتأثر الإمام الرضا عليه السلام كأشد ما يكون التأثر من هذا الاعتداء الصارخ على بيته، فلم يرع هارون كرامة الإمام، ولا كرامة بنات رسول الله (ص) واقترف معهن ما اقترفه جند يزيد مع عائلة ريحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام بعد مقتله، فقد تدافعوا كالكلاب المسعورة إلى نهب ما على العلويات من حلي وحلل.

وعلى أي حال فإنّ هارون لم يقيم - فيما أحسب - بإجراء آخر ضد الإمام عليه السلام غير هذا الإجراء... ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام قد انطوت نفسه على حزن عميق على ما حلّ بأبيه الإمام موسى عليه السلام من الحن والخطوب التي صبّها عليه هارون، فقد أودعه في ظلمات سجونه حفنة من السنين، وقابله بمزيد من التوهين، ثم اغتاله بالسم، وكذلك صبّ جام غضبه على السادة العلويين فأنزله بهم العقاب الصارم، وقتلهم تحت كل حجر ومدر ولم يرع فيهم أواصر النسب، وقرباتهم من رسول الله (ص) التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء.

رسالة سفيان لهارون:

من الخير أن نهى الحديث عن هارون بهذه الرسالة القيّمة التي بعثها سفيان الثوري أو (سفيان بن عيينة) إلى هارون، فإنّها تكشف عن الكثير من جوانب حياته، فقد كتب إليه هارون رسالة يطلب فيها ودّه، والاتصال به، فأجابه سفيان بما يلي:

(من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الإيمان، ولدّة قراءة القرآن، أمّا بعد: فإنّي كتبت إليك أعلمك أنّي قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، وإنّك جعلتني شاهداً عليك بإقرارك على نفسك في كتابك، بما هجمت على بيت مال المسلمين، فأنفقته في غير حقّه، وأنفذته بغير حكمه، ولم ترض بما فعلته، وأنت ناءٍ عنيّ، حين كتبت إليّ تشهدني على نفسك، فأما أنا فأبّي قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين حضروا قراءة كتابك، وسنؤدّي الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل.

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦١، البحار ٤٩ / ١٦٦.

يا هارون: هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم، هل رضي بفعلك المؤلّفة قلوبهم، والعاملون عليها في أرض الله، والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم - يعني العاملين - أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل؟ أم رضي بذلك خلق من رعيتك، فشد يا هارون مئزرك، وأعد للمسألة جواباً، وللبلاء جلباباً، واعلم أنّك ستقف بين يدي الله الحكيم العدل، فاتق الله في نفسك إذا سلبت حلاوة العلم والزهد ولذّة قراءة القرآن، ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً، وللظالمين إماماً.

يا هارون: قعدت على السرير، وليست الحزير، وأسبلت ستوراً دون بابك، وتشبّعت بالحجّة بربّ العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك، يظلمون الناس، ولا ينصفون، ويشربون الخمر، ويحدون الشارب، ويزنون، ويقتلون القتال، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بما عللنا، فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل الله احشروا الظلمة وأعوانهم، فتقدّمت بين يدي الله، ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يكفهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك، وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار وكأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمداً (ص) في أمته، واعلم أنّ هذا الأمر يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد ÷، فمنهم من تزوّد زاداً نفعه، ومنهم من خسّر ديناه وأخرته، وإياك ثم إياك أن تكتب إليّ بعد هذا فيأتي لا أحييك والسلام...).

ثم بعث بالكتاب من غير طي ولا ختم^(١)، وحكى هذا الكتاب تصرّف هارون بأموال المسلمين، وإنفاقها في غير جهاتها المشروعة كما حكّت هذه الرسالة إيمان سفيان وقوّة شخصيته، ونكرانه لذاته... وبهذه الرسالة نطوي الحديث عن حكومة هارون.

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٥٥ - ٥٧ نقلًا عن حياة الحيوان للدميري ٢ / ١٨٨.

حكومة الأمين:

وتسلّم الأمين بعد وفاة أبيه القيادة الإسلامية، وكان بإجماع المؤرّخين غير مؤهل لهذا المنصب الرفيع؛ وذلك لما يتصف به من نزعات وضيعة كان منها ما يلي:

١ - انهماكه في اللذات:

وانصرف الأمين بعد تقلّده للخلافة إلى اللهو والطرب، وعهد بأمور الدولة إلى الفضل بن الربيع فجعل يتصرف في شؤون الدولة حسب رغباته وميوله^(١). وقد جدّ في طلب الملهين^(٢)، كما اشتغل بالخصيان ورقص النساء^(٣).

٢ - كراهته للعلم:

من صفات الأمين بغضه للعلم، وكراهته للعلماء، وكان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب^(٤). وإذا كان بهذه الصفة فكيف قلّده هارون شؤون المسلمين وجعله حاكماً على أعظم إمبراطورية في العالم كلّها؟ لقد قلّده الخلافة استجابة لعواطف السيدة زبيدة، وسائر الأسرة العباسية الذين كانت ميولهم معه.

٣ - ضعف الرأي:

ولم يتمتع الأمين برأي حصيف، فلم تصقله التجارب، ولم تهذّبه الأيام، وقد أعطي الملك العريض، ولم يحسن أي شيء، وقد وصفه المسعودي بقوله: (كان قبيح السيرة، ضعيف الرأي يركب هواه، ويهمل أمره، ويتكل في جليلات الخطوب على غيره ويثق بمن لا ينصحه)^(٥). ووصفه الكندي بقوله: (وكان قد هان عليه القبيح فاتبع هواه ولم ينظر في شيء من عقباه، وأنّه كان من أبخل الناس على الطعام، وكان لا يبالي أين قعد، ولا مع من شرب)^(٦).

(١) حياة الإمام محمد الجواد (ص ٢٨٤).

(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١ / ٢٨٥ روضة الأعيان ورقة ٩٩، وجاء فيه أنّه اشترى عربية المغنية بمائة ألف دينار.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٣٤)، مختصر تاريخ الدولة (ص ١٣٤).

(٤) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١ / ١٦.

(٥) التنبيه والإشراف (ص ٣٠٢).

(٦) عيون التواريخ ٣ / ورقة ٢١٢.

ويقول عنه الفخري: (انه لم يجد للأمين شيئاً من سيرته يستحسنه فيذكره) ^(١).

احتجابه عن الرعية:

ومن نزعاته أنه كان ينفر من الناس تكبراً عليهم، فقد احتجب عن رعيته وأهالي مملكته، وقد خفت إليه إسماعيل بن صبيح، وكان أثيراً عنده، فقال له: (يا أمير المؤمنين إنّ قوادك وجندك وعمامة رعيّتك قد خبثت نفوسهم وساءت ظنوتهم، وكبر عندهم ما يرون من احتجابك عنهم، فلو جلست لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك فإنّ في ذلك تسكيناً لهم ومراجعة لآمالهم...).

واستجاب الأمين لهذه النصيحة، فجلس في بلاطه، ودخل عليه الشعراء فمدحوه في قصائدهم، وهو لا يفهم ما يقولون، ثم انصرف عن الناس فركب الحراقة إلى (الشماسية)، واصطقت له الخيل، وعليها الرجال، وقد اصطفوا على ضفاف دجلة وحملت معه مطابخ القصر، وما فيه من الخزائن. أمّا الحراقة التي ركبها فكانت سفينة صنعت شبيهة بالأسد، وما رأى الناس منظرًا أبهى ولا أجمل من ذلك المنظر، وكان معه في السفينة أبو نواس ينادمه وقال يصف تلك السفينة:

سخر الله للأمين مطايا	لم تسخر لصاحب الخراب ^(٢)
فإذا ما ركابه سرن بحراً	سار في الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يعدو	أهرت الشدق كالح الأنياب ^(٣)
لا يعانیه باللجام ولا السوط	ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس إذ رأوك على صورة	ليث يمر مرّ السحاب
سبحوا إذ رأوك سرت عليه	كيف لو أبصروك فوق العقاب ^(٤)
ذات زور ومنسـر وجنـاحين	تشف العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء إذ ما	استعجلوها بجيئةٍ وذهاب

(١) الآداب السلطانية (ص ٢١٢).

(٢) صاحب الخراب: هو سليمان بن داود الذي بنى بيت المقدس.

(٣) أهرت الشدق: واسع، كالح الأنياب: أي كاشرها.

(٤) العقاب: إحدى السفن التي كانت معدة للأمين.

بَارِكِ اللهُ لِلْأَمِينِ وَأَبْقَاهُ لِيُجِيبَ رِجَاءَ الشُّبَّانِ
مَلِكٍ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ هَاشِمِيٌّ مَوْقِفٌ لِلصَّوَابِ (١)
هذه بعض نزعات الأمين وصفاته وهي تحكي صورة انسان تافه قد اتجه صوب ملذاته وشهوته، ولم
يعن بأي حال من الأحوال في شؤون الدولة الإسلامية، وإنما كان متجهاً نحو شهواته.

خلعه للمأمون:

وتقلد الأمين الخلافة يوم وفاة أبيه الرشيد، وقد تسلم خاتم الخلافة، والبردة، والقضيب التي كان
يتسلمها الملوك من قبله من بني العباس.

ولم يمض زمان طويل من الوقت حتى فسدت العلاقات ما بين الأمين والمأمون، فقد لعبت الحواشي
المحيطة بهما في خلق الأزمات بينهما وتبدلت الرسائل بينهما وهي تحمل السباب والشتائم، لكل منهما
وليس فيها أي دعوة إلى المودة والصفاء، وعمد الأمين فخلع رسمياً أخاه المأمون عن ولاية العهد وجعلها
لولده موسى وهو طفل صغير في المهدي، وسماه الناطق بالحق، وأرسل إلى الكعبة المقدسة من جاء بكتاب
العهد الذي علقه فيها الرشيد، وجعل فيه ولاية العهد إلى المأمون، وحينما أتى به مزقه، ولم يف به، وكان
ذلك فيما يقول المؤرخون برأي الفضل بن الربيع، وبكر بن المعتمر في نكته للعهد وبيعه لولده يقول رجل
أعمى من أهل بغداد:

أضاع الخلافة غشّ الوزير، وفعل الإمام، ورأى المشير
وما ذاك إلا طريق الغرور، وشر المسالك طرق الغرور
فعال الخليفة أعجوبة، وأعجب منه فعال الوزير
وأعجب من ذا وذا أننا، نباع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح أنفه، ولم يخل من متنه حجر ظير
وما ذاك إلا بباع وغا، يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزمان، أفي العير هذان أم في التفير
ولكنها فتن كالجبال، ترقع فيها الوضيع (٢) الحقيير

(١) أبو نواس (ص ١٠٣ - ١٠٤) لابن منظور.

(٢) مروج الذهب ٣ / ٣٠٩.

الرشيد هو المسؤول عن هذه الأحداث:

وألقى الرشيد العداة والفتنة بين أبنائه فقد نصب الأمين ملكاً من بعده، وجعل المأمون ولي عهده، وكتب بذلك اليهود والمواثيق، وأشهد عليها، وعلّقها في جوف الكعبة، مع علمه بالعداء العارم بين الأخوين فكانت النتيجة هي الأحداث المؤسفة التي ذهب ضحيتها عشرة آلاف من المواطنين، وتخربت بغداد، وقد أعرب بعض الشعراء عن أسفه العميق على ما فعله الرشيد يقول:

أقول لغمة في النفس مّي ودمع العين يطرد اطرادا
خذي للهول عدته بجزم ستلقي ما سيمنعك الرقادا
فإنك إن بقيت رأيت أمراً يطيل لك الكآبة والسهادا
رأى الملك المهذب شرّ رأي بقسمته الخلافة والبلادا
رأى ما لو تعقبه بعلم لبيض من مفارقة السوادا
أراد به ليقطع عن بنيه خلافهم ويتذلوا الودادا
فقد غرس العداوة غير آل وأورث شمل ألفتهم بدادا
وألقح بينهم حرباً عواناً وسلس لاجتتابهم القيادا
فويل للرعية عن قليل لقد أهدى لها الكرب الشدادا
وألبسها بلاءً غير فان وألزمها التضعضع والفسادا
ستحري من دمائهم بحور زواخر لا يرون لها نفاذا
فوزر بلائهم أبداً عليه أغياً كان ذلك أم رشادا (١)

الحروب الطاحنة:

وبعد ما خلع الأمين أخاه المأمون رسمياً عن ولاية العهد، وأبلغه ذلك ندب إلى حربه علي بن عيسى، ودفع إليه قيداً من ذهب، وقال له: أوثق المأمون ولا تقتله حتى تقدم به إليّ، وأعطاه مليوني دينار سوى الأثاث والكرع، ولمّا انتهت الأنباء من بغداد بالإجراءات التي اتخذها الأمين ضد أخيه، بادر المأمون فخلع أخاه، ونصب نفسه حاكماً عاماً على العالم الإسلامي وقطع الخراج عن الأمين، وألغى اسمه من الطراز والدراهم والدنانير، وأعلن الخروج عن طاعته، وندب إلى قتاله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين، وجهّزهما بجيش.

(١) تاريخ الطبري حوادث سنة ١٨٦ هـ.

والتقى الجيشان بـ (الري)، والتحما في معركة رهيبه، جرت فيها أنهار من الدماء، وأخيراً انتصر جيش المأمون على جيش الأمين، وقتل القائد العام لقواته المسلحة، وانتهت جميع أمتعته وأسلحته، وكتب طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يخبره بهذا الانتصار الرائع، ويهنئه فيه، وجاء في رسالته (كتبت إليك ورأس علي بن عيسى في حجري وخاتمه في يدي والحمد لله رب العالمين).

وبادر الفضل فسلم عليه بالخلافة وبشره بهذا الانتصار، وأيقن المأمون بالنصر فبعث إلى طاهر بالهدايا والأموال، وشكره شكراً جزيلاً على ذلك وسمّاه (ذا اليمينين، وصاحب خيل اليمين) وأمره بالتوجه إلى العراق لاحتلال بغداد، والقضاء على أخيه.

ولما علم الفضل بن الربيع وزير الأمين بهزيمة الجيش، ومقتل علي بن عيسى بن ماهان أسقط ما في يده، وأيقن بالرزق القاصم الذي حل بهم، وفي ذلك يقول الشاعر:

عجبت لمعشر يرجون نجحاً لأمر ما تتم به الأمور
وكيف يتم ما عقّدوا وراموا وأس بنائهم فيه الفجور
أهاب إلى الضلال بهم غوي وشيطان مواعده غرور
يصيب بهم ويلعب كل لعب كما لعبت بشاربها الخمر
وكادوا الحق والمأمون غدرًا وليس بمفلح أبداً غرور
هو العدل النجيب البر فينا تضمّن حبه منا الصدور
وعاقبة الأمور له يقينا به شهد الشريعة والزبور^(١)

وحكى هذا الشعر انتصار المأمون، وأنه الفاتز بالخلافة وأنه لا يتم أمر الأمين؛ لأنّ الذين ناصروه كان أس بنائهم قائماً على الفجور والبغي، وأنّ أنصاره قد أهاب بهم الضلال والغبي، وأنّ المنتصر هو المأمون فإنّ العدل النجيب الذي عقد له الولاء في قلوب الناس.

محاصرة بغداد:

وخفت جيوش المأمون إلى احتلال بغداد بقيادة طاهر بن الحسين، وقد

(١) مروج الذهب ٣ / ٣١٠.

حاصرت بغداد، وأيقن الأمين بالهزيمة فكتب إلى طاهر يطلب منه الأمان لنفسه وعائلته، وأنصاره، وأنه يستقبل من الخلافة لأخيه، فقال طاهر: (الآن ضيق خناقك، وهيض جناحك، وانهمز فساقك، لا والذي نفسي بيده حتى يضع يده في يدي، وينزل على حكمي).

ولم يجبه إلى شيء مما أراد.

ودام الحصار على بغداد مدة طويلة حتى تخربت فيها معالم الحضارة، وعمّ الفقر والبؤس جميع سكانها وكثر العابثون والشذاذ فقاموا باغتيال الأبرياء ونهب الأموال، ومطاردة النساء، وانبرى جماعة من خيار الناس بقيادة رجل يقال له سهل بن سلامة فمنعوا العابثين من إيذاء الناس، وتصدّوا لهم بقوة السلاح حتى أخرجوهم من بغداد.

وعلى أي حال فقد منيت بغداد بأفدح الخسائر، وفقدت زينتها وشبابها، وشاع الثكل والحزن والحداد في جميع أحيائها، وقد رثاها جماعة من الشعراء يقول الأعمى في قصيدة له:

وأبكي لإحراق وهدم منازل	وقتل وانهب اللهم والذخائر
وإبراز ربات الخدور حواسراً	خرجن بلا خمير ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهباً	نوافر كأمثال الطباء النوافر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً	وملهى رأته عين لاهٍ وناظر
بلى هكذا كانت فأذهب حسننها	وبدّد منها الشمّل حكم المقادر
وحلّ بهم ما حلّ بالناس قبلهم	فأضحوا أحاديثاً لبادٍ وحاضر
أبغداد يا دار الملوك ومحتنى	صفوف المني يا مستقر المنابر
ويا جنّة الدنيا ويا مطلب الغنى	ومستنبط الأموال عند المتاجر
أييني لنا أين الذين عهدتهم	يحلّون في روض من العيش ناضر
وأين الملوك في المواكب تغتدي	تشبّه حسناً بالنجوم الزواهر

والقصيدة كلها توجّع ولم على ما حلّ ببغداد من الدمار الشامل في الأموال والأنفس، ويصف شاعر آخر حالة بغداد، وما حلّ بها من الخراب يقول:

(١) مروج الذهب ٣ / ٣١٣.

مَن ذا أصابك يا بغداد بالعين أَلَمْ تَكُونِي زَمَاناً قَرَّةَ العَيْنِ
أَلَمْ يَكُن فِيكَ قَوْمَ كَان قَرِيهِمْ وَكَان مَسْكَنَهُمْ زِيناً مِّنَ الزِينِ
صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا ماذا لقيت بهم من لوعة البين^(١)

ورثي شاعر آخر بغداد وما حلّ بأهلها من الخطوب والنكبات يقول:

بكت عيني على بغداد لَمَّا فقَدت غَضارة العيش الأنيقِ
تبدّلنا هموماً من سرورٍ ومِن سَعَةٍ تبدّلنا بضيقِ
أصابتنا من الحساد عَيْنٌ فأفنت أهدنا بالمنجنيقِ
فقوم أحرقوا بالنار قسراً ونائحة تنوح على غريقِ
وصائحة تنادي يا صحابي وقائلة تقول أيا شقيقِي
وحوراء المدمع ذات دَلٍّ مضمّخة الجاسد بالخلوقِ
تنادي بالشفيق فلا شفيق وقد فقد الشفيق مع الرقيقِ
وقوم أخرجوا من ظل دنيا متاعهم يباع بكل سوقِ
ومغترب بعيد الدار ملقى بلا رأس بقارعة الطريقِ
توسّط من قتالهم جميعاً فما يدرون من أي الفريقِ
فلا ولد يقيم على أبيه وقد هرب الصديق عن الصديق^(٢)

وحكت هذه القصيدة الحالة الراهنة في بغداد من انتشار القتل، وفقدان الأمن، وشيوع الخوف في جميع أرجاء بغداد.

قتل الأمين:

وكان الأمين في تلك المحنة الحازية مشغولاً بلهوه وطربه، وقد أحاطت به جيوش المأمون، ويروي المؤرّخون أنّه كان يصطاد سمكاً مع جماعة من الخدم، وكان من بينهم (كوثر) وكان مغرماً به فخرج ينظر إلى الجيش المحيط بالقصر فأصابته شجة في وجهه فجعل يبكي، فوجّه الأمين من جاء به فجعل يمسح الدم من وجهه وهو يقول:

ضربوا قرّة عيني ومن أجلي ضربه أخذ الله من قلبي لأناس حرقوه^(٣)

(٢) مروج الذهب ٣ / ٣١٧.

(١) مروج الذهب ٣ / ٣١٦.

(٣) روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان، مصوّر في مكتبة السيد الحكيم تسلسل ٣٩٠٢ ورقة ١٠٣.

وكانت الأنبياء تتوافد عليه بهزيمة جيشه، ومحاصرة قصره فلم يعن بذلك كله، وكان مشغولاً مع كوثر في صيد الأسماك التي جعلها في حوض كبير له، وكان يقول: (يصطاد كوثر ثلاث سمكات وما صدت إلا سمكتين).

وكان بهذه الحالة المزرية مشغولاً بلهوه حتى هجمت عليه طلائع جيش المأمون فأجهزت عليه، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح، وتلا قوله تعالى: **(اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ)** ^(١). وهجاه بعض الشعراء بقوله:

إذا غدا ملك باللهو مشغلاً فاحكم على ملكه بالويل والخرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب ^(٢)

وبعث طاهر برأس الأمين إلى المأمون في (خراسان) فلما رآه حزن وتأسف فقال له الفضل:

(الحمد لله على هذه النعمة الجليلة فإن محمداً كان يتمنى أن يراك بحيث رأيت).

وأمر المأمون بنصب رأس أخيه في صحن الدار وقد وضع على خشبة، وأعطى الجندي، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه فكان الجندي يقبض رزقه ويلعن الرأس وقبض بعض العجم عطاءه فقيل له: العن هذا الرأس فقال: لعن الله هذا ولعن

والديه وأدخلهم في كذا وكذا من أمهاتهم، فقيل له: لعنت أمير المؤمنين، وكان المأمون يسمعه فتغافل عنه، وأمر بحط رأس أخيه وردّه إلى العراق فدفن مع جثته ^(٣).

وانتهت بذلك حياة الأمين، وقد حكى عن قساوة المأمون وعدم رأفته على أخيه، فقد سلب الرحمة من نفسه، وما ذاك إلا لحرصه على الملك.

ولم تظهر لنا أية بوادر للإمام الرضا عليه السلام في عهد الأمين، لعلّ السبب في ذلك هو انشغاله في الحرب مع أخيه فقد أشغلته هذه الحرب عن التعرض للإمام عليه السلام بأيّ مكروه.

(١) عيون التواريخ ٣ / ورقة ٢١١.

(٢) حياة الحيوان للدميري ١ / ٧٨.

(٣) مروج الذهب (ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

حكومة المأمون:

وقبل أن نتحدث عن شؤون الإمام الرضا عليه السلام في عهد المأمون، نعرض - بإيجاز - إلى إعطاء صورة عنه، وهي كما يلي:

أُمُّهُ:

أمّا أم المأمون فكانت أمة وهي إحدى خادمت قصر الرشيد، وقد عهد إليها بطبخ الطعام، ويصفها المؤرّخون بأنّها كانت أشوه وأقذر جارية في مطبخ الرشيد، أمّا السبب في ملامسة الرشيد لها فتعزوه بعض المصادر إلى أنّ السيدة زبيدة لعبت مع الرشيد الشطرنج فغلبته، فحكمت عليه أن يطأ أقبح جارية في المطبخ، وهي (مراجل) فأبى هارون ذلك، وبذل لها خراج مصر والعراق لتعفيه، فأبت، ولم تقبل، وانصاع إلى حكمها فوطأ (مراجل) فعلقت منه المأمون ^(١)، وقد ولد سنة (١٧٠ هـ) وهي السنة التي استخلف بها الرشيد، فلمّا بشر به سمّاه المأمون تيمناً بذلك ^(٢)، وقد توفيت أمّه في النفاس، وقد تولّى تربيته الفضل بن سهل.

وقد اتخذ الخاقدون على المأمون من أمّه وسيلة لهجائه والتشهير به، وعدم لباقته لتولّي منصب الخلافة، يقول له أخوه الأمين:

وإذا تطاولت الرجال بفضلها فأربع فإتاك لست بالمتطاول
أعطاك ربك ما هويت وإتمّا تلقى خلاف هواك عند مراجل
تعلو المنابر كل يوم آملاً ما لست من بعدي بواصل ^(٣)
وفي أيام الفتنة عبّره بأمه وكتب إليه:
يا بن التي بيعت بأبخس قيمة بين الملا في السوق هل من زائد
ما فيك موضع غرزة من أبوة إلّا وفيه نطفة من واحد
فردّ عليه المأمون:
وإتمّا أمّهات الناس أوعية مستودعات وللأحساب آباء
فلربّ معربة ليست بمنجبة وطالما أنجبت في الخدر عجماء ^(٤)

(١) حياة الحيوان للدميري ١ / ٧٢.

(٢) عصر المأمون ١ / ٢١٠.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٠٤).

(٤) محاسن بغداد دار السلام (ص ١٢١).

وقال الرقاشي في مدحه للأمين وهو يعرض بمراحل أم المأمون: لم تلده أمة تعرف في السوق التجار^(١) وليس على المأمون أي نقص من جهة أمه، فقد هدم الإسلام هذه النعرات الجاهلية، وساوى بين جميع أجناس البشر فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى.

صفات المأمون:

أما صفات المأمون ونزعاته النفسية فهي كما يلي:
الغدر:

أما الغدر فهو من ذاتيات المأمون، ومن عناصره فقد بايع الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد، وبعد ما انتهت مآربه السياسية غدر به ففسد له سمّاً قاتلاً فقتله - كما سنوضح ذلك في البحوث الآتية - وقد غدر بطائفة من أعلام عصره ممن كان يحذر منهم وهم:

١ - عبد الله بن موسى الهادي:

وكان يندد المأمون، وكان يعربد عليه إذا شرب معه فساء المأمون ذلك، فحبسه في منزله، وأقعد على بابه حرساً ثم أنه أظهر له الرضى، وصرف الحرس عن بابيه، وكان عبد الله مغرمّاً بالصيد ففسد إلى خادماً من خدمه فسقاه سمّاً في دراج وهو ب (موسى باد) ولمّا أحسن بالسم قال لأصحابه: هو آخر ما تروني^(٢).

٢ - إسحاق بن موسى:

الهادي، وقد احتفت به فصائل من الجيش حينما كان المأمون في (خراسان) وأمرته، فاستولى على بعض المناطق ففسد إليه المأمون ابنه ونخادماً له فقتلاه وقاد به ابنه وقتل الخادم بالسياط^(٣).

٣ - حميد بن عبد الحميد:

الطوسي، دعاه المأمون لتناول الطعام، وكان عنده أحمد بن أبي خالد الأحول وهو من الحاقدين على حميد ومن أعدائه، ولمّا قربت المائدة أجلس المأمون أحمد إلى

(١) الآداب السلطانية (ص ٢١٢).

(٢) أسماء المعتالين (ص ٢٠٠).

(٣) أسماء المعتالين (ص ١٩٩).

جانبه فسء ذلك حميد، وقال للمأمون: (يا أمير المؤمنين لا أماتني الله حتى يريني الدنيا عليك سهلة حتى ترى أين أنفع لك).

وانتهز أحمد هذه الفرصة فقال للمأمون: (يا أمير المؤمنين إنما يتمنى فساد ملكك والفتنة). فغضب المأمون وقام عن المائدة، ولم يتم غداءه، وقد أضمر ذلك في نفسه، ولما أراد البناء بـ (بوران) قال لحميد: يا أبا غانم قد أذنت لك في الحج، فانصرف حميد مسروراً وأمر بتهيئة أسباب السفر، ودخل جبريل بن بختيشوع على حميد فقال له: يا أبا غانم طر بدنك فيأتي أرجو أن تأتي بكل جارية معك حاملاً، وكان حميد مغرمًا بالنكاح ثم سقاه شربة، وكان في مجلسه عبد الله الطيفوري، وكان متطبباً فلما رأى الشربة فهم الأمر، فقال لجبريل: (أبو غانم قد ضعف عن هذه؟).

وقصد بذلك أنه انكشف له ما دبر لأبي غانم من الاغتيال، وتناول أبو غانم الشربة، فأثر به في الوقت، وجعل الطيفوري يداويه حتى تماثل للشفاء قليلاً إلا أنه بعد ذلك أشربه السم وقضى عليه^(١).

٤ - الفضل بن سهل:

واغتال المأمون الفضل بن سهل، وكان وزيره ومستشاره إلا أنه خشي منه فسد إليه من قتله في الحما، وسنوضح ذلك في البحوث الآتية.

هؤلاء بعض الذين اغتالهم المأمون، ومقتدياً بمعاوية فهو أول الملوك الذين فتحوا باب الاغتيال والغدر في الإسلام.

القسوة:

وظاهرة أخرى من صفات المأمون وهي القسوة وانعدام الرأفة من نفسه، فقد قتل أخاه، وحمل رأسه إليه، ولو كانت عنده نزعة من الرحمة لعفا عن

أخيه بعد ما طلب العفو والأمان وتسليم السلطة إليه، ومن قسوته أنه بعد ما اغتال الإمام الرضا عليه السلام قابل السادة العلويين بمنتهى الشدة والصرامة، فعهد إلى

(١) أسماء المعتالين (ص ١٩٩).

جلّاديه بقتلهم والتنكيل بهم أينما وجدوا^(١).

الدهاء:

ولم تعرف الدبلوماسية الإسلامية في العصر العباسي مَنْ هو أدهى من المأمون، ولا مَنْ هو أدرى منه في الشؤون السياسية، فقد كان سياسياً من الطراز الأول، فقد استطاع بدهائه أن يتغلب على كثير من الأحداث الرهيبة التي ألمّت به، وكادت تطوي حياته وسلطانه، فقد استطاع بمهارة فائقة أن يقضي على أخيه الأمين الذي كان يتمتع بتأييد مكثف من قبل الأسرة العباسية والقيادات العسكرية العليا، كما استطاع أن يقضي على أعظم ثورة مضادة له، تلك ثورة القائد الملهم أبي السرياء، التي اتسع نطاقها فشملت معظم الأقاليم الإسلامية، وقد سقط معظمها بأيدي الثوار، وكان شعار الثورة الدعوة إلى الرضا من آل محمد ﷺ، وقد حمل الإمام الرضا عليه السلام قسراً إلى (خراسان)، وهو الزعيم الأوحى للأسرة العلوية، والمرجع العام للعالم الإسلامي، فأرغمه على قبول ولاية العهد وعهد إلى جميع أجهزة حكومته بإذاعة مآثر الإمام أمير المؤمنين وباقي أفراد الأئمة الطاهرين، كما ضرب السكة باسم الإمام الرضا عليه السلام، وقد أوهم الثوار والقوى العسكرية التي كان معظمها يدينون بالولاء لأهل البيت عليه السلام بأنه علوي العقيدة وأنه جاد في تحويل الخلافة إلى العلويين حتى أيقنوا أنه لا حاجة لاستمرار الثورة، وإراقة الدماء وقضى بذلك على الثورات كما تعرّف في نفس الوقت على العناصر الشيعية التي عجز آباءه عن معرفتهم، وهذا التخطيط السياسي - فيما أحسب - من أروع المخططات السياسية التي عرفها العالم في جميع مراحل التاريخ^(٢).

الميل إلى اللهو:

وكان المأمون شديد الميل إلى اللهو، وكان بعض ما أثر عنه في ذلك ما يلي:

أ - لعبه بالشطرنج:

وأهم لعبة عند المأمون وأحبها إليه هي الشطرنج^(٣) فقد هام فيها، وقد وصفها بهذه الأبيات:

(١) حياة الإمام الرضا.

(٢) حياة الإمام محمد الجواد (ص ٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) العقد الفريد ٣ / ٢٥٤.

أرض مربعة حمراء من آدم ما بين إلفين موصوفين بالكرم
تذاكر الحرب فاحتلالاً لها شهباً من غير أن يسعياً فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر إلى الخيل قد جاشت بمعركة في عسكرين بلا طبل ولا علم^(١)
وألم هذا الشعر بوصف دقيق للشطرنج، وفيما أحسب أنه أسبق من نظم فيه، وأحاط بأوصافه
ودقائقه وقد تعلم هذه اللعبة من أبيه الرشيد الذي كان من الماهرين فيها، وقد أهدى إلى ملك (فرنسا)
أدوات الشطرنج، ولم تكن معروفة فيها، وتوجد حالياً تلك الأدوات التي أهداها الرشيد في متاحف
(فرنسا)^(٢).

ب - ولعه بالموسيقى:

وكان المأمون مولعاً بالغناء والموسيقى، ويقول المؤرخون أنه كان معجباً كأشد ما يكون الإعجاب بأبي
إسحاق الموصلي الذي كان من أعظم العازفين والمغنين في العالم العربي وقال فيه: (كان لا يغني أبداً إلا
وتذهب عني وساوسي المتزايدة من الشيطان)^(٣).

وكان يجيبي ليلاليه بالغناء والرقص والعزف على العود كأبيه الرشيد الذي لم يمر على قصره اسم الله
تعالى، وإنما كانت ليلاليه الليالي الحمراء.

ج - شربه للخمر:

وعكف المأمون على الإدمان على الخمر، فكان يشربها في وضوح النهار وفي غلس الليل، ولم يتأثم في
اقتراف هذا المحرم الذي هو من أفحش المحرمات في الإسلام.
إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض نزعات المأمون وصفاته.

التحف الثمينة التي أهديت للمأمون:

وقام الأمراء والأشراف بتقديم الهدايا القيمة والتحف الثمينة للمأمون تقريباً إليه، وكان من بعض ما
أُهدي إليه ما يلي:

(١) المستطرف ٢ / ٣٠٦.

(٢) حياة الإمام محمد الجواد (ص ٢٣٣).

(٣) الحضارة العربية لجاك س. ريسلر (ص ١٠٨).

١ - أهدى أحمد بن يوسف للمأمون سفظاً من الذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه، وكتب فيه هذا يوم جرت فيه العادة بإتحاف العبيد للسادة، وقد قلت:

على العبد حق وهو لا شك فاعله وإن عظم المولى وجلّت فواضله
ألم ترنا نهدى إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدي للجليل بقدره لقصّر عنه البحر يوماً وساحله
ولكننا نهدى إلى من نجّله وإن لم يكن في وسعنا ما يشاكلة (١)

٢ - أهدى أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي إلى المأمون في يوم مهرجان مائة حمل زعفران قد وضعت في أكياس من الإبريسم، وقد حملتها أتان شهب وحشية، فجاءت الهدايا والمأمون عند حرمه، فأخبر بالهدية، فسارع إلى النظر إليه، فلما رآها عجب بها وسأل عن الحمر التي حملت الزعفران هل هن ذكور أم إناث؟ فقيل له إنّها إناث فسُرّ بذلك، وقال: قد علمت أنّ الرجل أعقل من أن يوجه على غير أتن (٢).

٣ - أهدى ملك الهند جملة من الهدايا، وفيها جام ياقوت أحمر، ومعها رسالة جاء فيها: نحن نسألك أيّها الأخ أن تنعم في ذلك بالقبول، وتوسع عذراً في التقصير (٣).

هذه بعض الهدايا التي قدّمت للمأمون تقرّباً له، وطمعاً في الظفر ببعض الوظائف منه.

تظاهره بالتشيع:

وذهب بعض المؤرخين والباحثين إلى أن المأمون قد اعتنق مذهب التشيع، وقد استندوا إلى ما يلي:

من علمه التشيع:

إنّه أعلن أمام حاشيته وأصحابه أنّه اعتنق مذهب التشيع وذلك في الحديث التالي: روى سفيان بن

نزار، قال: كنت يوماً على رأس المأمون، فقال لأصحابه: (أندرون من علّمني التشيع؟).

(١) صبح الأعشى ٢ / ٤٢٠.

(٢) التحف والهدايا (ص ١٠٩).

(٣) نفس المصدر.

فقالوا جميعاً: لا والله ما نعلم؟.

فقال: علمنيه الرشيد فانبروا قائلين:

(كيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل البيت؟).

قال: كان يقتلهم على الملك لان الملك عقيم، لقد حججت معه سنة، فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجاجة، وقال لهم: (لا يدخلن على رجل من أهل المدينة ومكة، ولا من المهاجرين والأنصار وبني هاشم، وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه... وأمثل الحجاب ذلك، فكان الرجل إذا أراد الدخول عليه عرف نفسه إلى الحجاب، فإذا دخل فيصه بحسب مكانته ونسبه، وكانت صلته خمسة آلاف دينار إلى مائتي دينار، يقول المأمون وبينما أنا واقف إذ دخل الفضل بن الربيع، فقال: (يا أمير المؤمنين، على الباب رجل يزعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب).

فاقبل الرشيد على أبنائه، وعلى سائر القواد، وقال لهم: احفظوا على أنفسكم، ثم قال للفضل ائذن له، ولا ينزل إلا على بساطي، يقول المأمون: ودخل شيخ مسخد^(١) قد أنهكته العبادة كأنه شنّ بال^(٢) قد كلم^(٣) السجود وجهه وأنفه فلما رأى الرشيد أنه أراد أن ينزل من دابته، فصاح لا والله إلا على بساطي فمنعه الحجاب من الترحل، ونظر إليه الجميع بإجلال وإكبار وتعظيم ووصل الإمام إلى البساط والحجاب والقواد محذقون به، فنزل عن راحلته فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط، وقبل وجهه وعينييه، وأخذ بيده حتى صيره في صدر المجلس وأجلسه معه، وأقبل عليه بمحذته، ويسأله عن أحواله، ثم قال له: (يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟).

قال هارون: أولاد كلهم؟ قال الإمام: لا، أكثرهم موالي وحشم، أما الولد فلي نيف وثلاثون، وذكر عدد الذكور، وعدد الإناث، والتفت إليه هارون فقال له:

(١) المسخد: مصفر الوجه.

(٢) الشن البالي: القرية البالية.

(٣) كلم: أي جرح.

- لم لا تزوج النسوان من بني عمومتهن وأكفائهن؟

- اليد تقصر عن ذلك.

- ما حال الضيعة؟

- تعطي في وقت وتمنع في آخر!.

- هل عليك دين؟

- نعم.

- كم هو؟

- عشرة آلاف دينار.

- يا بن العم أنا أعطيك من المال ما تزوّج به الذكران والنسوان، وتقضي به الدين، وتعمّر به الضياع. فشكره الإمام على ذلك وقال له: (وصلتك رحم يا بن العم، وشكر الله هذه النية الجميلة والرحم ماسة، والقربة واشجة، والنسب واحد، والعباس عم النبي ﷺ، وصنو أبيه، وعمّ علي بن أبي طالب عليه السلام وصنو أبيه، وما أبعدك الله من أن تفعل ذلك، وقد بسط يدك، وأكرم عنصرك وأعلى محتدك^(١)). فقال هارون: أفعل ذلك وكرامة.

وأخذ الإمام عليه السلام يوصيه بالبر والإحسان إلى عموم الفقراء قائلاً:

(يا أمير المؤمنين إنّ الله قد فرض على ولاية العهد، أن ينعشوا فقراء الأمة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدوا عن المثقل، ويكسوا العاري، ويحسنوا إلى العاني^(٢)، فأنت أولى من يفعل ذلك...).

فانبرى هارون قائلاً: افعل ذلك يا أبا الحسن، ثم قام الإمام عليه السلام فقام الرشيد تكريماً له، وقبل عينيه ووجهه ثم اقبل على أولاده فقال لهم: (يا عبد الله، ويا محمد، ويا إبراهيم امشوا بين يدي عمكم وسيدكم خذوا بركابه، وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله).

وانصرف الإمام عليه السلام، وفي نفس الطريق أسرّ إلى المأمون فبشره

(١) المختد: الأصل.

(٢) العاني: الغفير.

بالخلافة، وقال له:

(إذا ملك هذا الأمر فأحسن إلى ولدي).

ومضى الإمام مشيئاً من قبل أبناء هارون إلى منزله، ورجع المأمون إلى منزله، فلما خلا المجلس من الناس التفت إلى أبيه قائلاً:

(يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته، وأجللته وقمت من مجلسك إليه، فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟).
فقال هارون:

(هذا إمام الناس، وحيّة الله على خلقه، وخليفته على عباده...).

وبهر المأمون فقال لأبيه: (يا أمير المؤمنين أليست هذه الصفات لك وفيك؟).

فأجابه هارون بالواقع قائلاً: (أنا أمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنّه لاحق بمقام رسول الله ﷺ منى ومن الخلق جميعاً، والله إن نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك، فإنّ الملك عقيم).

ولمّا أراد الرشيد الانصراف من المدينة إلى بغداد أمر بصرة فيها مائتا دينار، وقال للفضل بن الربيع اذهب بها إلى موسى بن جعفر، وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقة، وسيأتيك برنا بعد الوقت، فمقام المأمون، وقال لأبيه: (تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش، ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار ما دونها، وتعطي موسى بن جعفر، وقد عظمته، وجللته مائتي دينار أحسن عطية أعطيتها أحدا من الناس).

فزجره هارون، وقال له:

(اسكت لا أمّ لك، فإنّي لو أعطيت هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم).

وأعرب هارون عن خشيته من الإمام عليه السلام، وقضت سياسته في

مخاربه اقتصاديا لثلا يقوى على مناهضته وكان في المجلس مخارق المغني فتألم وانبرى إلى هارون قائلاً: (يا أمير المؤمنين، قد دخلت المدينة، وأكثر أهلها يطلبون مني شيئاً، وإن خرجت ولم أقسم فيهم شيئاً لم يتبين لهم فضل أمير المؤمنين علي، ومنزلي عنده).

فأمر له هارون بعشرة آلاف دينار، فقال له مخارق: (يا أمير المؤمنين هذا لأهل المدينة، وعلى دين احتاج أن أقضيه).

فأمر له بعشرة آلاف دينار، ثم قال له: بناتي أريد أن أزوجهن فأمر له بعشرة آلاف دينار، وقال له: لا بد من غلّة تعطينها ترد علي وعلى عيالي وبناتي فأمر له باقطاع^(١) تبلغ وارداتها في السنة عشرة آلاف دينار، وأمر أن يعجل ذلك له، وقام مخارق مسرعاً إلى بيت الإمام الكاظم عليه السلام، فلما انتهى إليه استأذن على الإمام فأذن له فقال له: (قد وقفت على ما عاملك هذا الطاغية، وما أمر لك به، وقد احتلت عليه لك، وأخذت منه صلات ثلاثين ألف دينار وأقطاعاً تغل في السنة عشرة آلاف دينار، ولا والله يا سيدي ما احتاج إلى شيء من ذلك، ما أخذته إلا لك وأنا أشهد لك بهذه القطع، وقد حملت المال لك).

فشكره الإمام عليه السلام على ذلك، وقال له: (بارك الله لك في مالك، وأحسن جزاءك، ما كنت لآخذ منه درهماً واحداً، ولا من هذه الأقطاع شيئاً، وقد قبلت صلتك وبرك، فانصرف راشداً ولا تراجعني في ذلك).

وقبل مخارق يد الإمام عليه السلام، وانصرف عنه^(٢).

وحكت هذه الرواية ما يلي:

١ - احتفاء الرشيد بالإمام الكاظم عليه السلام في حين أنه لم يحفل بأي إنسان كان، فقد سيطر على أغلب أنحاء الأرض وسرى اسمه في الشرق والغرب.

٢ - اعتراف هارون بأن الإمام الكاظم عليه السلام هو حجّة الله على

(١) الأقطاع: القطعة من الأرض الزراعية.

(٢) عيون أخبار الرضا ١ / ٨٨ - ٩٣.

العالمين وأتته إمام هذه الأمة، وقائد مسيرتها الزمنية والروحية، وأنّ هارون زعيم هذه الأمة بالقهر والغلبة لا بالاستحقاق.

٣ - حرمان الإمام الكاظم من العطاء الذي يستحقه؛ وذلك من أجل أن لا يقوى على مناهضة هارون والخروج على سلطانه.

٤ - إعطاء المغني (مخارق) الأموال الطائلة، وحرمان أبناء النبي ﷺ من حقوقهم التي نهبها هؤلاء البغاة... هذه بعض المعالم في هذه الرواية:

رد فدك للعلويين:

من الأمور التي يستند القائلون إلى تشييع هارون ردّه لـ (فدك) للعلويين بعد أن صادرتها الحكومات السابقة منهم، وكان الغرض من مصادرتها إشاعة الفقر والحرمان بين العلويين، وفرض الحصار الاقتصادي عليهم كي لا يتمكنوا من مناهضة أولئك الحكام، وقد قام المأمون بردّها عليهم، وقد رفع عنهم الضائقة الاقتصادية التي كانت آخذة بخناقهم، وقد مدحه شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي على هذه المكرمة التي أسداها على العلويين بقوله:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برّد مأمون هاشم فدكا
واعتبر الكثيرون من الباحثين هذا الإجراء دليلاً على تشييع المأمون.

إشادته بالإمام أمير المؤمنين:

وأشاد المأمون بالإمام أمير المؤمنين رائد الحق والعدالة في الإسلام، فقد كتب إلى جميع الآفاق بان علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ^(١)، وقد روى الصولي أشعاراً له في فضل الإمام أمير المؤمنين عليه كان منها ما يلي:

لا تقبل التوبة من تائب إلا بحب ابن أبي طالب
أخو رسول الله حلف المهدي والأخ فوق الخلل والصاحب
إن جمعا في الفضل يوماً فقد فاق أخوه رغبة الراغب
فقدم الهادي في فضله تسلم من اللائم والعائب
ومن شعره الذي يرد به على من عابه في قربه لأبناء النبي (ص) يقول:

(١) تذكرة الخواص (ص ٣٦٦).

ومن غاو يغص عليّ غيظاً
فقلت: أليس قد أوتيت علماً
وعرفت احتجاجي بالمشائي
بأية خلّة وبأيّ معني
علي أعظم الثقلين حقّاً
ومن شعره قاله في أهل البيت عليهم السلام هذه الأبيات:

إن مال ذو النصب إلى جانب
أكون في آل بني المهدي
حبهم فرض نؤدّي به
وهذا الشعر صريح في ولائه لأهل البيت عليهم السلام وتقديمه بالفضل على غيرهم.
وروى له الصولي هذه الأبيات في الإمام علي عليه السلام:

ألام على حب الوصي أبي الحسن
خليفة خير الناس والأول الذي
ولولاه ما عدت لهاشم إمرة
فولى بني العباس ما اختص غيرهم
فأوضح عبد الله بالبصرة الهدي
وقسم أعمال الخلافة بينهم
وذلك عندي من عجائب ذي الزمن
أعان رسول الله في السر والعلن
وكانت على الأيام تقضي وتمتهن
ومن منه أولى بالتكريم والمنن
وفاض عبيد الله جوداً على اليمن
فلا زال مربوطاً بهذا الشكر مرتين ^(٣)

وحكى هذا الشعر الأيادي البيضاء التي أسداها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأسرة العباسية حينما ولي الخلافة فقد قلده ولاية (البصرة) إلى عبد الله بن العباس، وكان وزيره ومستشاره الخاص، كما قلده عبيد الله بن العباس ولاية اليمن، ولكن الأسرة العباسية قد تنكرت لهذا المعروف فقابلت أبناء الإمام بالقتل والتنكيل وارتكبت معهم ما لم ترتكبه معهم الأسرة الأموية وقد أوضحنا في

(١) المحاسن والمساوي ١ / ١٠٥ للبيهقي.

(٢) تذكرة الخواص (ص ٣٦٧).

(٣) تذكرة الخواص (ص ٣٦٦).

هذا الكتاب جوانب كثيرة من اضطهادهم للسادة العلويين، فلم يراعوا فيهم أنّهم أبناء النبي
ﷺ، وأنهم وديعته في أمته، فعمدوا إلى قتلهم تحت كل حجر ومدر.

ونسب إلى المأمون هذان البيتان:

إذا المرّجى سـرك أن تـراه يموت حينه من قبل موته
فجدّد عنده ذكرى عليّ وصلّ على النبي وآل بيته
فردّ عليه إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة:

إذا الشيعي جمجم في مقال فسرك أن ييـوح بذات نفسه
فصلّ على النبي وصاحبيه وزيريه وجاريه برمسه^(١)
ومن الطريف ما ذكره الصولي أنّه كان مكتوباً على سارية من سواري جامع البصرة:

(رحم الله عليّ ا _____ إنّه كان تقيّ ا _____)

وكان يجلس إلى تلك السارية حفص أبو عمر الخطابي وكان أعور فعمد إلى محو ذلك، وكتب بعض
المجاورين إلى الجامع إلى المأمون يخبره بمحو الخطابي للكتابة، فشقّ على المأمون ذلك، وأمر بإشخاصه إليه،
فلمّا مثل عنده قال له:

(لم محوت اسم أمير المؤمنين من السارية؟).

فقال الخطابي: (وما كان عليها؟).

قال المأمون: كان عليها:

(رحم الله عليّ ا _____ انه كان تقيّ ا _____)

فقال: إنّ المكتوب رحم الله عليا إنّّه كان نبياً، فقال المأمون كذبت، بل كانت القاف أصح من عينك
الصحيحة، ولولا أن أزيدك عند العامة نفاقاً لأدبتك، ثم أمر بإخراجه^(٢).

(١) مروج الذهب ٣ / ٣٢٩.

(٢) تذكرة الخواص (ص ٣٦٧).

انتقاصه لمعاوية:

واستدلّ القائلون بتشيع المأمون إلى أنه أمر بسب معاوية بن هند وانتقاصه في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد أمر أن ينادي المنادي (أن برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ) (١).

وهذا لا يصلح دليلاً على تشيع المأمون؛ لأنّ معاوية قد انكشف، وظهر واقعه، فقد تسلمت على قدحه جميع الأوساط، وأتته الخصم اللدود للإسلام، وأتته صاحب الأحداث والمواقف.

استدلاله على إمامة الإمام علي:

ومن أهم ما استدل به القائلون على تشيع المأمون عقده للمؤتمرات العلمية، واستدلاله ببالغ الحجة على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأنه القائد الأول للمسيرة الإسلامية بعد النبي ﷺ وهو أولى بمقامه، وأحق بمركزه من غيره.

ومن أروع المؤتمرات التي أقامها المأمون في بلاطه، ومن أكثرها أهمية هذا المؤتمر الذي حضره أربعون من علماء الحديث، وعلماء الكلام انتخبهم يحيى بن أكثم من بين علماء بغداد، وقد أدلوا بحججهم على ما يذهبون إليه من تفضيل الخلفاء على الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلا أنّ المأمون قد حججهم بأدلة حاسمة دلّت على براعته واطلاعه الواسع في البحوث الكلامية، ونحن ننقل النص الكامل لهذه المناظرة الرائعة لما لها من الأهمية البالغة، وفيما يلي ذلك:

المأمون:

ولمّا مثل العلماء أمام المأمون، التفت إليهم بعد ترحيبه بهم، فقال لهم: (إني أريد أن أجعلكم بيني وبين الله تبارك وتعالى في يومي حجة، فمن كان حاقناً (٢) أو له حاجة فليقم إلى قضاء حاجته، وانبسطوا، وسلوا خفافكم، وضعوا أرديتكم).

(١) مروج الذهب ٣ / ٣٦١.

(٢) الحاقن: الذي يضايقه البول.

ففعّلوا ما أمرهم به، والتفت المأمون لهم قائلاً: (أيّها القوم إنّما استحضرتكم لأحتج بكم عند الله تعالى، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم، وإمامكم، ولا يمنعكم جلالتي، ومكاني من قول الحق حيث كان، ورد الباطل، على من أتى به، وأشفقوا على أنفسكم من النار، وتقربوا إلى الله تعالى، برضوانه، وإيثار طاعته، فما أحد تقرب إلى مخلوق بمعصية الخالق، إلا سلّطه الله عليه، فناظروني بجميع عقولكم.

إني رجل أزعم أنّ عليّاً عليه السلام خير البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فإن كنت مصيباً فصوّبوا قولي، وإن كنت مخطئاً فردّوا عليّ وهلمّوا، فإن شئتم سألتكم، وإن شئتم سألتموني...).

وليس في هذا الكلام أي التواء، أو خروج عن المنطق، وإمّا صاحبه يريد الحقيقة الناصعة.

علماء الحديث:

وسارع علماء الحديث قائلين: (بل نحن نسألك...).

وانبرى المأمون فأرشدهم إلى طريق الحوار قائلاً: (هاتوا وقلدوا كلامكم رجلاً واحداً منكم، فإذا تكلم فإن كان عند أحدكم زيادة فليزده وإن أتى بخلل فسددوه...).

الدليل الأوّل:

وأدلى عالم من علماء الحديث بحجّته على أنّ أبا بكر هو خير هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: (نحن نزعم أنّ خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر، من قبل الرواية المجمع عليها جاءت عن الرسول (ص) قال: (اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر) فلما أمر نبي الرحمة بالاعتداء بهما، علمنا أنّه لم يأمر بالاعتداء إلاّ بخير الناس...).

جواب المأمون:

وناقش موضوع الحديث المنسوب إلى النبي (ص) نقاشاً موضوعياً فقال: (الروايات كثيرة، ولا بد من أن تكون كلها حقاً، أو كلها باطلاً، أو بعضها

حقاً، وبعضها باطلاً، فلو كانت كلها حقاً، كانت كلها باطلاً من قبل أن بعضها ينقض بعضها، ولو كانت كلها باطلاً كان في بطلانها بطلان الدين، ودرس الشريعة^(١) فلمّا بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار، وهو أنّ بعضها حق، وبعضها باطل، فإذا كان كذلك فلا بد من دليل على ما يحق منها، ليعتقد، أو ينفي خلافه، فإذا كان دليل الخبر في نفسه حقاً كان أولى ما اعتقده، وأخذ به.

وروايتك هذه من الأخبار التي أدلتها باطلة في نفسها، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أحكم الحكماء، وأولى الخلق بالصدق، وأبعد الناس من الأمر بالمحمال، وحمل الناس على التدين بالخلاف، وذلك أنّ هذين الرجلين لا يخلو من أن يكونا متفقين من كل جهة كانا واحداً في العدد والصفة والصورة والجسم، وهذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كل جهة.

وإن كانا مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما، وهذا تكليف بما لا يطاق؛ لأنك إذا اقتديت بواحد خالفت الآخر، والدليل على اختلافهما، أنّ أبا بكر سبي أهل الردة، وردّهم عمر أحراراً، وأشار عمر بعزل خالد لقتله مالك بن نويرة فأبى أبو بكر عليه، وحرم عمر المتعتين ولم يفعل ذلك أبو بكر، ووضع عمر ديوان العطية، ولم يفعله أبو بكر، واستخلف أبو بكر ولم يفعل ذلك عمر، ولهذا نظائر كثيرة...).

وردّ المأمون وثيق للغاية، فقد زيف الحديث، وأثبت أنّه من الموضوعات، ولا نصيب له من الصحة.

الدليل الثاني:

وانبرى عالم آخر من علماء الحديث فاستدل على أفضلية الشيخين وتقدّمهما على الإمام أمير المؤمنين بالحديث المنسوب إلى النبي (ص).

قال: (إنّ النبي (ص) قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً...).

جواب المأمون:

وزيف المأمون هذا الحديث قائلاً: هذا مستحيل من قبل أن رواياتكم قد صرّحت أنّ النبي ﷺ، آخى بين أصحابه، وأخّر عليّاً

(١) أي إمامة الشريعة.

عليه السلام، فقال له: في ذلك فقال: وما أخرتك إلا لنفسي، فأَيّ الروايتين ثبتت بطلت الأخرى...).

إنّ مناقشة المأمون للحديث مناقشة موضوعية ليس فيها أي تحيز، وإنّما كانت خاضعة للدليل الحاسم.

الدليل الثالث:

وانبرى محدث آخر فقال: إنّ علياً عليه السلام قال على المنبر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر...).

مناقشة المأمون:

وناقش المأمون هذا الحديث قائلاً: هذا مستحيل لأنّ النبي (ص) لو علم أنّهما أفضل ما ولى عليهما مرة عمرو بن العاص ومرة أسامة بن زيد، ومّا يكذب هذه الرواية قول علي لَمّا قبض النبي (ص): وأنا أولى بمجلسه منّي بقميصي، ولكن أشفقّت أن يرجع الناس كفقاراً، وقوله عليه السلام: أئني يكونان خيراً مني؟ وقد عبدت الله قبلهما، وعبدته بعدهما، وأبطل المأمون الحديث، وبين زيفه، فلم يصلح لأن يكون دليلاً للخصم.

الدليل الرابع:

وقال عالم من علماء الحديث: إنّ أبا بكر أغلق بابه وقال: هل من مستقيل فأقبله، فقال عليه السلام: قدّمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك؟).

ردّ المأمون للحديث:

ورد المأمون الحديث قائلاً: هذا باطل لأنّ علياً عليه السلام قعد عن بيعة أبي بكر، ورويتم أنّه قعد عنها حتى قبضت فاطمة عليها السلام، وأنّها أوصت أن تدفن ليلاً لئلا يشهدا جنازتها.

ووجه آخر وهو أنّ النبي (ص) لو كان استخلفه فكيف كان له أن يستقيل، وهو يقول للأنصار: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أبا عبيدة وعمر...).

الدليل الخامس:

وقال عالم آخر: إنّ عمرو بن العاص قال: يا نبي الله من أحب الناس إليك

من النساء؟ قال: عائشة، فقال: من الرجال؟ فقال: أبوها...).

ردّ المأمون:

ورد المأمون هذا الحديث فقال: هذا باطل لأنكم رويتم أن النبي (ص) وضع بين يديه طائر مشوي، فقال: اللهم ايتني بأحبّ خلقك إليك، فكان عليّاً، فأبي رواياتكم تقبل؟).
إنّ حديث الطائر المشوي مجمع عليه، وهو يدل بوضوح على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ الخلق عند الله، وأقربهم إليه.

الدليل السادس:

وانبرى عالم آخر فقال: (إنّ عليّاً قال: من فضلي على أبي بكر وعمر جلده حد المفتري...).

جواب المأمون:

وأجاب المأمون عن هذا الحديث المنسوب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:
(كيف يجوز أن يقول علي: أجدد الحد على من لا يجب حد عليه، فيكون متعدّياً لحدود الله، عاملاً بخلاف أمره، وليس تفضيل من فضله عليهما فرية، وقد رويتم عن إمامكم أنّه قال: وليتكم ولست بخيركم، فأبي الرجلين أصدق عندكم أبو بكر على نفسه، أو علي على أبي بكر، مع تناقض الحديث في نفسه، ولا بد له من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن كان صادقاً فأنت عرف ذلك بوحى؟ فالوحي منقطع أو بالتظنين فالمتظني متحير، أو بالنظر، فالنظر بحث وإن كان غير صادق، فمن المحال أن يلي أمر المسلمين، ويقوم بأحكامهم ويقيم حدودهم كذاب...).

الدليل السابع:

وقال عالم آخر: إنّ النبي صلّى الله عليه وآله قال: أبو بكر وعمر سيذا كهول أهل الجنة).

جواب المأمون:

قال المأمون: هذا الحديث محال لأنّه لا يكون في الجنة كهول، ويروى أن (أشحمية) كانت عند النبي (ص) فقال: لا يدخل الجنة عجوز فبكت، فقال لها

النبي (ص): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبْكَارًا * عُرْبًا أَنْثَرَابًا) ^(١) فإن زعمتم أنّ أبا بكر ينشأ شاباً إذا دخل الجنة، فقد روّيتم أنّ النبي (ص) قال للحسن والحسين: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين وأبوهما خير منهما).

ومناقشة المأمون للحديث مناقشة منطقية غير خاضعة للأهواء والتيارات المذهبية.

الدليل الثامن:

وقال عالم آخر من علماء الحديث: (إنّ النبي (ص) قال: لو لم أكن أبعث فيكم لبعث عمر...).

جواب المأمون:

قال المأمون في تنفيذ هذا الحديث: هذا محال لأنّ الله تعالى يقول: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) ^(٢)، وقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) ^(٣)، فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ ميثاقه على النبوة مبعوثاً؟ ومن أخذ ميثاقه على النبوة مؤخرأ؟...).

إنّ مناقشة المأمون لهذه الأحاديث مبنية على الفكر والمنطق وليس فيها ما يشذ عنهما.

الدليل التاسع:

وانبرى عالم آخر فأدلى بحجّته قائلاً: (إنّ النبي ﷺ نظر إلى عمر يوم عرفه فتبسم، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى باهى بعباده عامة، وبعمر خاصة...).

جواب المأمون:

وقال المأمون في ردّه على هذا الحديث: هذا مستحيل لأنّ الله تبارك وتعالى لم يكن ليباهي بعمر ويدع نبيه، فيكون عمر في الخاصة والنبي في العامة.

وليست هذه الروايات بأعجب من روايتكم أنّ النبي (ص) قال: دخلت الجنة

(١) سورة الواقعة: آية ٣٥ - ٣٧.

(٢) سورة النساء: آية ١٦٣.

(٣) سورة الأحزاب آية ٧.

فسمعت خفق نعلين فإذا بلال مولى أبي بكر سبقني إلى الجنة، فقلت: عبد أبي بكر خير من الرسول (ص) لأنّ السابق أفضل من المسبوق...).

الدليل العاشر:

وانبرى محدث آخر فقال: إنّ النبي (ص) قال: لو نزل العذاب ما نجا إلاّ عمر بن الخطاب...).

جواب المأمون:

قال المأمون: هذا خلاف الكتاب أيضاً؛ لأنّ الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) ^(١) فجعلتم عمر مثل الرسول (ص)!!...).

الدليل الحادي عشر:

وقال محدث آخر: لقد شهد النبي (ص) لعمر بالجنة في عشرة من الصحابة.

مناقشة المأمون:

قال المأمون: لو كان كما زعمتم لكان عمر لا يقول لحذيفة: نشدتك بالله أمن المنافقين أنا؟ فإن كان قد قال له النبي: أنت من أهل الجنة، ولم يصدقه حتى زكاه حذيفة، فصدق حذيفة، ولم يصدق النبي (ص) فهذا على غير الإسلام، وإن كان قد صدق النبي (ص) فلم سأل حذيفة؟ وهذان الخبران متناقضان في أنفسهما).

الدليل الثاني عشر:

وقال عالم آخر: قال النبي (ص): (وضعت في كفة الميزان ووضعت أمّتي في كفة أخرى فرجحت بهم، ثم وضع مكاني أبو بكر فرجح بهم، ثم عمر فرجح بهم ثم رُفِع الميزان).

جواب المأمون:

وفدّ المأمون هذا الحديث فقال: هذا محال لأنّه لا يخلو من أن يكون أجسامهما أو أعمالهما، فإن كانت الأجسام فلا يخفى على ذي روح أنّه محال؛ لأنّه لا يرجح أجسامهما بأجسام الأمة، وإن كانت أفعالهما فلم تكن بعد فكيف بما ليس؟.

والتفت المأمون إلى العلماء فقال لهم:

(١) سورة الأنفال: آية ٢٣.

(أخبروني بماذا يتفاضل الناس؟).

وانبرى بعض العلماء فقال: (يتفاضلون بالأعمال الصالحة).

وعلق المأمون على هذا الكلام قائلاً: (أخبروني ممن فضل صاحبه على عهد النبي (ص)، ثم إنَّ المفضول عمل بعد وفاة الرسول (ص) بأكثر من عمل الفاضل على عهد النبي (ص) ثم أيلحق به؟ فإن قلت: نعم أوجدتكم في عصرنا هذا من هو أكثر جهاداً، وحملاً، وصوماً، وصلاة، وصدقة من أحدهم...).

فانبروا جميعاً قائلين: (صدقت لا يلحق فاضل دهرنا بفاضل عصر النبي (ص)).

فقال لهم المأمون: (انظروا فيما روت أئمتكم الذين أخذتم عنهم أديانكم في فضائل علي عليه السلام وقيسوا إليها ما ورد في فضائل تمام العشرة الذين شهدوا لهم بالجنة فإن كانت جزءاً من أجزاء كثيرة فالقول قولكم، وإن كانوا قد رووا في فضائل علي عليه السلام أكثر فخذوا عن أئمتكم ما رووا ولا تتعدوه...).

وحرار القوم في الجواب، فقد سدّ عليهم المأمون كل ثغرة يسلكون فيها للدفاع عمّا يذهبون إليه، والتفت إليهم المأمون قائلاً:

(ما لكم سكتكم؟...).

فقالوا: (قد استقصينا)، إذ لم تبق عندهم حجة يتمسكون بها، فقال لهم المأمون: (إني سائلكم، أخبروني أي الأعمال كان أفضل يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله...).

فقالوا جميعاً: (السبق إلى الإسلام؛ لأنّ الله تعالى يقول: **(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)** ^(١)...).

(١) سورة الواقعة: آية ١٠ - ١١.

وسارع المأمون قائلاً: (فهل علمتم أحداً أسبق من علي إلى الإسلام؟...).

وارتفعت أصواتهم قائلين: (إنه - أي علي - سبق حدثاً لم يجز عليه حكم، وأبو بكر أسلم كهلاً قد جرى عليه الحكم - أي التكليف - وبين هاتين الحالتين فرق...).

وأجاب المأمون قائلاً: (خبروني عن إسلام علي بالهام من قبل الله تعالى أم بدعاء النبي (ص)؟ فإن قلت: بالهام فقد فضلتموه على النبي (ص)؛ لأن النبي لم يلهم بل أتاه جبرئيل عن الله تعالى داعياً، ومعرفةً، وإن قلت بدعاء النبي (ص) فهل دعاه من قبل نفسه أو بأمر الله تعالى، فإن قلت: من قبل نفسه فهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نبيه في قوله: (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) ^(١) وفي قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) ^(٢)، وإن كان من قبل الله تعالى فقد أمر الله تعالى نبيه (ص) بدعاء علي من بين صبيان الناس وإيثاره عليهم، فدعاه ثقة به، وعلماً بتأييد الله تعالى.

وخلة أخرى: خبروني عن الحكيم هل يجوز أن يكلف خلقه ما لا يطيقون، فإن قلت: نعم فقد كفرتم، وإن قلت: لا، فكيف يجوز أن يأمر نبيه (ص) بدعاء من لا يمكنه قبول ما يؤمر به لصغره وحادثة سنه، وضعفه عن القبول.

وعلة أخرى هل رأيتم النبي (ص) دعا أحداً من صبيان أهله وغيرهم فيكونوا أسوة مع علي، فإن زعمتم أنه لم يدع أحداً غيره، فهذه فضيلة لعلي على جميع صبيان الناس).

والتفت المأمون إلى العلماء فقال لهم: (أي الأعمال بعد السبق إلى الإيمان؟...).

فقالوا جميعاً: (الجهاد في سبيل الله...).

وانبرى المأمون يقيم عليهم الحجة في تقديم الإمام علي غيره بالفضل قائلاً:

(١) سورة الواقعة: آية ١٠ - ١١.

(٢) سورة ص: آية ٣ - ٤.

هل تجدون لأحد من العشرة في الجهاد ما لعلي عليه السلام في جميع مواقف النبي (ص) من الأثر؟ هذه (بدر) قتل من المشركين فيها نيف وستون رجلاً، قتل علي منهم نيفاً وعشرين، وأربعون لسائر الناس...).
وانبرى عالم من علماء الحديث فقال: (كان أبو بكر مع النبي (ص) في عريشه يدبرها).
فردّ عليه المأمون قائلاً: (لقد جئت بهذا عجيبة!! كان يدبر دون النبي (ص) أو معه فيشركه، أو لحاجة النبي (ص) إلى رأي أبي بكر؟ أي الثلاث أحب إليك؟).

وأجاب العالم: (أعوذ بالله من أن أزعّم أنّه يدبر دون النبي (ص) أو يشركه أو بافتقار من النبي إليه).
(وردّ عليه المأمون قائلاً: فما الفضيلة في العريش؟ فإن كانت فضيلة أبي بكر بتخلّفه عن الحرب، فيجب أن يكون كل متخلّف فاضلاً أفضل من المجاهدين والله عزّ وجل يقول: **(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)** ^(١)).

ووجه المأمون خطابه إلى إسحاق بن حماد بن زيد، وهو من كبار علماء الحديث فقال له: (اقرأ سورة هل أتى).

وأخذ إسحاق في قراءة السورة فلمّا انتهى إلى قوله تعالى: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)** إلى قوله: **(وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)** ^(٢).
قال له المأمون:

(١) سورة النساء: آية ٩٥.

(فيمَن نزلت هذه الآيات؟).

(في علي...).

وانبرى المأمون قائلاً: (هل بلغك أنّ عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ قال حين أطعم المسكين واليتيم والأسير (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً) ^(١) على ما وصف الله تعالى في كتابه.

(لا...).

(إنّ الله تعالى عرف سريرة علي ونبيته فظاهر ذلك في كتابه تعريفاً لخلقه أمره...)

هل علمت أنّ الله تعالى وصف في شيء ممّا وصف في الجنة، ما في هذه السورة: (قوارير من

فضة...).

(لا...).

(فهذه فضيلة أخرى، كيف تكون القوارير من فضة؟).

(لا أدري).

(يريد كأنّها من صفاتها من فضة يرى داخلها كما يرى خارجها، وهذا مثل قوله ﷺ: (يا إسحاق

رويدا شوقك بالقوارير) وعنى به نساء كأنّها القوارير رقة، وقوله ﷺ: (ركبت فرس أبي طلحة فوجدته

بحراً) أي كأنّه بحر من كثرة جريه وعدوه، وكقول الله تعالى: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ

وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) ^(٢) أي كأنّه يأتيه الموت، ولو أتاه من مكان

واحد مات.

يا إسحاق ألسنتم تشهد أنّ العشرة في الجنة؟).

(بلى...).

(أرايت لو أنّ رجلاً قال: ما أدري أصحیح هذا الحديث أم لا أكان عندك

(١) سورة الدهر: آية ٩.

(٢) سورة إبراهيم: آية ١٧.

كافراً؟...).

(لا...).

(أرأيت لو قال: ما أدري هذه السورة قرآناً أم لا، أكان عندك كافراً؟...).

(بلى...).

(يا إسحاق خبرني عن حديث الطائر المشوي أصحيح عندك؟).

(بلى...).

(بان والله عنادك، لا يخلو هذا من أن يكون كما دعاه النبي أو يكون مردوداً، أو عرف الله الفاضل من خلقه، وكان المفضل أحب إليه، أو تزعم أن الله لم يعرف الفاضل من المفضل، فأبيّ الثلاث أحب إليك؟...).

وحار إسحاق ولم يهتد إلى الجواب، وبقي يتأمل فوجد مسلماً يدافع به عن فكرته، فقال: (يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول في أبي بكر: **(ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** ^(١) فنسبه الله إلى صحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وسارع المأمون في الرد عليه قائلاً: (سبحان الله!! ما أقل علمك باللغة والكتاب، أما يكون الكافر صاحباً للمؤمن، فأبيّ فضيلة في هذا؟ أما سمعت قول الله تعالى: **(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)** ^(٢)، فقد جعله له صاحباً، وقال الهزلي شعراً:
ولقد غدوت وصاحبي وحشية تحت الرداء بصيرة بالمشرق
وقال الأزدي:

ولقد دعوت الوحش فيه وصاحبي محض القوادم من هجان هيكل
فصير فرسه صاحبه، وأما قوله: **(إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** فإن الله تبارك وتعالى مع البر والفاجر، أما سمعت قوله تعالى: **(مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا**

(١) سورة التوبة: آية ٤٠.

(٢) سورة الكهف: آية ٣٤.

خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا) (١).

وأما قوله: (لا تحزن) فأخبرني عن حزن أبي بكر كان طاعة أو معصية، فإن زعمت أنه طاعة فقد جعلت النبي (ص) ينهى عن الطاعة، وهو خلاف صفة الحكيم، وإن زعمت أنه معصية فأبي فضيلة للعاصي؟ وأخبرني عن قوله تعالى: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) على من؟. وانبرى إسحاق فقال: (نزلت - أي السكينة - على أبي بكر؛ لأن النبي (ص) منزه عن صفة السكينة.

فأجابه المأمون:

(أخبرني عن قوله تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (٢).
أتدري من المؤمنون الذين أرادهم الله في هذا الموضع؟).
(لا...).

وأخذ المأمون يشرح لإسحاق معنى الآية الكريمة قائلاً: (إنّ الناس انهزموا يوم حنين فلم يبق مع النبي (ص) إلا سبعة من بني هاشم، علي عليه السلام يضرب بسيفه، والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله (ص) والخمسة محدقون بالنبي (ص) خوفاً من أن يناله سلاح الكفار حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله (ص) الظفر، عنى بالمؤمنين في هذا الموضع عليا، ومن حضر من بني هاشم، فمن كان أفضل أمن كان مع النبي (ص) فنزلت السكينة على النبي (ص) وعليه، أم من كان في الغار مع النبي (ص) ولم يكن أهلاً لنزولها عليه يا إسحاق، من أفضل؟ من كان مع النبي (ص) في الغار أو من نام على مهاده وفراشه، ووقاه بنفسه حتى تم للنبي (ص) ما عزم عليه من الهجرة.

إنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيه (ص) أن يأمر علياً بالنوم على فراشه، ووقايتة بنفسه فأمره بذلك، فقال علي: أتسلم يا نبي الله؟ فقال: نعم، قال: سمعاً وطاعة، ثم أتى مضجعه، وتسجّى بثوبه وأحدق المشركون به لا يشكون في أنّه النبي (ص)

(١) سورة المجادلة: آية ٧.

(٢) سورة التوبة: آية ٢٥ - ٢٦.

وقد اجمعوا على أن يضربه من كل بطن من قريش رجل ضربة؛ لئلا يطلب الهاشميون بدمه، وعلي
عليه السلام يسمع بأمر القوم فيه من التدبير في تلف نفسه، فلم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع أبو بكر في
الغار، وهو مع النبي (ص) وعلي وحده، فلم يزل صابراً محتسباً، فبعث الله تعالى ملائكته تمنعه من
مشركي قريش، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا أين محمد؟ قال: وما علمي به؟ قالوا: فأنت غدرتنا
ثم لحق بالنبي (ص)، فلم يزل علي عليه السلام أفضل لما بدا منه، إلا ما يزيد خيراً حتى قبضه الله تعالى إليه،
وهو محمود مغفور له.

يا إسحاق أما تروي حديث الولاية؟.

(نعم...).

(أروه...).

فرواه له، فقال المأمون:

(أما ترى أنه أوجب لعلي عليه السلام على أبي بكر وعمر من الحق ما لم يوجب لهما عليه؟).

فقال إسحاق:

(إنّ الناس يقولون: إنّ هذا قاله بسبب زيد بن حارثة).

فأنكر المأمون ذلك وقال:

(وأين قال النبي (ص) هذا؟).

فأجاب إسحاق:

(قاله بغدير خم بعد منصرفه من حجّة الوداع).

وسارع المأمون لإبطال ذلك قائلاً:

(متى قتل زيد بن حارثة؟... أليس قد قتل قبل غدير خم؟).

(بلى...).

(أخبرني لو رأيت ابناً لك أتت عليه خمس عشرة سنة، يقول: مولاي مولى ابن عمّي أيّها الناس فاقبلوا

أكنت تكره له ذلك؟).

(بلى...).

وكرّ المأمون منكرّاً عليه قائلاً:

(أتنزّه ابنك عمّا لا تنزّه عنه النبي (ص)...) .

والتفت إليه المأمون ليقيم عليه الحجّة قائلاً:

(أتروي قول النبي (ص) لعلي أنت مّتي بمنزلة هارون من موسى)؟.
(نعم...).

(أما تعلم أنّ هارون أخو موسى لأبيه وأمه؟).
(بلى...).

(فعلي كذلك؟).
(لا...).

سارع المأمون قائلاً: (هارون نبي، وليس علي كذلك، فما المنزلة الثالثة إلا الخلافة، لقد قال المنافقون: إنّه استخلفه استتقلاً، فأراد أن يطيب نفسه، وهذا كما حكى الله تعالى عن موسى، حيث قال: لهارون (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ^(١).

وانبرى إسحاق قائلاً: (إنّ موسى خلف هارون في قومه، وهو حي، ثم مضى، إلى ميقات ربّه تعالى، وإنّ النبي (ص) خلف عليّاً حين خرج إلى غزاته...).
وردّ عليه المأمون: (اخبرني عن موسى حين خلف هارون أكان معه حيث مضى إلى ميقات ربّه عزّ وجل أحد من أصحابه؟).

(نعم...).
(أو ليس قد استخلفه على جميعهم؟...).
(بلى...).

(فكذلك علي خلفه النبي (ص) حين خرج إلى غزاته في الضعفاء والنساء والصبيان، إذ كان أكثر قومه معه، وإن كان قد جعله خليفة على جميعهم، والدليل على أنّه جعله خليفة عليهم في حياته إذا غاب وبعد موته قوله ﷺ: (علي مّتي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي) وهو وزير النبي (ص) أيضاً بهذا القول؛ لأنّ موسى قد دعا الله تعالى، وقال فيما دعا (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي)*

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٢.

هَارُونَ أَحْيَى * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) ^(١) فإذا كان علي منه بمنزلة هارون من موسى فهو وزيره، كما كان هارون وزير موسى، وهو خليفته كما كان هارون خليفة موسى...).

مع علماء الكلام:

وبعدما حاجج المأمون علماء الحديث، وتغلب عليهم بمناقشته للأحاديث التي تمسكوا بها، في الاستدلال على ما يذهبون إليه، التفت بعد ذلك إلى علماء الكلام فقال لهم:

(أسألکم أو تسألوني؟...).

(بل نسألك...).

س - والتفت عالم منهم، فقال للمأمون: (أليست إمامة علي عليه السلام من قبل الله عز وجل؟ نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الفرائض مثل الظهر أربع ركعات، وفي مأتي درهم خمسة دراهم، والحج إلى مكة؟) فقال المأمون: بلى، فقال المتكلم: فما بالهم لم يختلفوا في جميع الفرائض، واختلفوا في خلافة علي وحدها؟...).

ج - المأمون:

(لأنّ جميع الفرائض لا يقع فيها من التنافس والرغبة مثل ما يقع في الخلافة).

س - متكلم:

وانبرى متكلم آخر فقال: ما أنكرت أن يكون النبي (ص) أمرهم باختيار رجل منهم يقوم مقامه رافة ورقة عليهم من غير أن يستخلف هو بنفسه، فيعصي خليفته فينزل بهم العذاب...).

ج - المأمون:

وأجاب المأمون: أنكرت ذلك من قبل أنّ الله تعالى أرفأ بخلقه من النبي (ص)، وقد بعث نبيّه إليهم وهو يعلم أنّ فيهم عاص ومطيع، فلم يمنعه تعالى ذلك من إرساله.

(١) سورة طه: آية ٢٩ - ٣٢.

وعلة أخرى: لو أمرهم باختيار رجل منهم كان لا يخلو من أن يأمرهم كلهم أو بعضهم، فلو أمر الكل من كان المختار؟ ولو أمر بعضاً دون بعض كان لا يخلو من أن يكون على هذا المعنى علامة، فإن قلت: الفقهاء فلا بد من تحديد الفقيه وسمته).

وانبرى متكلّم فقال: (روى أنّ النبي (ص) قال: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح...).

فردّ عليه المأمون هذه المقالة الفاسدة التي تستلزم التصويب المجمع على بطلانه، وهو أن ليس الله تعالى في كل واقعة حكم يصيبه من يصيبه، ويخطئه من يخطئه، وهذا جواب المأمون: (هذا القول لا بد أن يكون يريد كل المؤمنين أو البعض، فإن أراد الكل فهذا مفقود؛ لأنّ الكل لا يمكن اجتماعهم، وإن كان البعض، فقد روى كل في صاحبه حسناً مثل رواية الشيعة في علي، ورواية الحشوية في غيره، فمتى ثبت ما تريدون من الإمامة؟).

وقال متكلّم آخر: (فيحوز أن تزعم أنّ أصحاب محمد ﷺ أخطأوا).

فأجابه المأمون: (كيف نزعم أنّهم أخطأوا، واجتمعوا على ضلالة وهم لم يعلموا فرضاً ولا سنة؛ لأنّك تزعم أنّ الإمامة لا فرض من الله تعالى، ولا سنة من الرسول ﷺ؟ فكيف يكون فيما ليس عندك بفرض ولا سنة خطأ؟).

وسارع متكلّم آخر فقال للمأمون: (إن كنت تدّعي لعلي من الإمامة دون غيره فهات بيّناتك على ما تدّعي...).

مناقشة المأمون:

(ما أنا بمدع، ولكيّ مقرر، ولا بينة على مقرر، والمدّعي من يزعم أنّ إليه التولية والعزل، وأنّ إليه الاختيار، والبيّنة لا تعرى من أن تكون من شركائه، فهم خصماء، أو تكون من غيرهم، والغير معدوم، فكيف يؤتى بالبيّنة على هذا؟).

وقال متكلّم آخر:

(فما كان الواجب على علي عليه السلام بعد مضي رسول الله (صلى الله عليه

وآله؟).

وأجاب المأمون:

(قد فعله - أي فعل ما يجب عليه -).

وأشكل المتكلم قائلاً:

(أفما وجب عليه أن يعلم الناس أنه إمام؟).

وسارع المأمون قائلاً:

(إنّ الإمامة لا تكون بفعل منه في نفسه، ولا بفعل من الناس فيه من اختيار أو تفضيل أو غير ذلك، وإنّما تكون بفعل من الله تعالى فيه، كما قال إبراهيم: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) ^(١)، وكما قال تعالى لداود: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) ^(٢) وكما قال عزّ وجل للملائكة في آدم (إِنِّي جَاعِلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ^(٣).

فالإمام إنّما يكون إماماً من قبل الله تعالى، وباختياره إتياء في بدء الصنيعة والتشريف في النسب والطهارة في المنشأ والعصمة في المستقبل، ولو كانت بفعل منه في نفسه كان من فعل ذلك الفعل مستحقاً للإمامة، وإذا عمل خلافها اعتزل فيكون خليفة من قبل أفعاله).

وأشكل متكلم آخر فقال:

(لم أوجبت الإمامة لعلي بعد الرسول (ص)؟).

وأجاب المأمون:

(الخروج من الطفولة إلى الإيمان كخروج النبي من الطفولية إلى الإيمان، والبراءة من ضلالة قومه عن الحقّة، واجتنابه الشرك كبراءة النبي (ص) من الضلالة، واجتنابه للشرك؛ لأنّ الشرك ظلم ولا يكون الظالم إماماً، ولا من عبد وثناً بإجماع، ومن شرك فقد حلّ من الله تعالى محلّ أعدائه، فالحكم فيه الشهادة عليه بما اجتمعت عليه الأمة حتى يجيء إجماع آخر مثله، ولأنّ من حكم عليه مرة، فلا يجوز أن يكون حاكماً، فيكون الحاكم محكوماً عليه مرة، فلا يكون حينئذٍ فرق بين الحاكم والمحكوم عليه...).

(١) سورة البقرة: آية ١٢٤.

(٢) سورة ص: آية ٢٦.

(٣) سورة البقرة: آية ٣٠.

وأشكل شخص آخر من المتكلمين فقال:
(لم لا يقاتل علي عليه السلام أبا بكر وعمر، كما قاتل معاوية؟).
وأجاب المأمون:

(المسألة محال؛ لأنّ لم اقتضاء، ولم يفعل نفي، والنفي لا يكون له علة، إنّما العلة، للإثبات، وإنّما يجب أن ينظر في أمر علي عليه السلام امن قبل الله أم من قبل غيره، فإن صحّ أنّه من قبل الله تعالى، فالشك في تدبيره كفر لقوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ^(١) فأفعال الفاعل تبع له صلة، فإن كان قيامه عن الله تعالى، فأفعاله عنه، وعلى الناس الرضى والتسليم، وقد ترك رسول الله (ص) القتال يوم (الحديبية) يوم صد المشركون هديه عن البيت، فلمّا وجد الأعوان وقوي حارب، كما قال الله تعالى: في الأول: (فاصفح الصفح الجميل) ^(٢)، ثم قال عز وجل: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) ^(٣).

وانبرى متكلم آخر فقال:

(إذا زعمت أنّ إمامة علي عليه السلام من قبل الله تعالى، وأنّه مفترض الطاعة، فلم لا يجوز إلاّ التبليغ والدعاء للأنبياء عليهم السلام، وجاز لعلي أن يترك ما أمر به من دعوة الناس إلى طاعته؟...).

جواب المأمون:

(إنّا لم نزعم أنّ عليّاً عليه السلام أمر بالتبليغ فيكون رسولاً، ولكنّه وضع علماً بين الله تعالى وبين خلقه، فمن تبعه كان مطيعاً، ومن خالفه كان عاصياً، فإن وجد أعواناً يتقوى بهم جاهد، وإن لم يجد أعواناً فاللوم عليهم لا عليه؛ لأنّهم أمروا بطاعته على كل حال ولم يؤمر هو بمجاهدتهم إلاّ بقوة، وهو بمنزلة البيت، على الناس الحج إليه، فإذا حجّوا أدّوا ما عليهم، وإذا لم يفعلوا كانت اللائمة عليهم لا على البيت).

(١) سورة النساء: آية ٦٥.

(٢) سورة الحجر: آية ٨٥.

(٣) سورة التوبة: آية ٥.

وقال متكلّم آخر:

(إذا وجب أنّه لا بد من إمام مفترض الطاعة بالاضطرار، كيف يجب بالاضطرار أنّه (علي) دون غيره؟...).

جواب المأمون:

وردّ المأمون هذه الشبهة بقوله: إنّ الله تعالى لا يفرض مجهولاً، ولا يكون المفروض - أي الإمامة وغيرها من التكاليف - ممتنعاً، إذ المجهول ممتنع من قبل أن الله تعالى لا يفرض مجهولاً، ولا يكون المفروض ممتنعاً، فلا بد من دلالة الرسول (ص) على الفرض ليقطع العذر بين الله وبين عباده، أرايت لو فرض الله تعالى على الناس صوم شهر فلم يعلم الناس أي شهر هو؟ ولم يوسم بوسم وكان على الناس استخراج ذلك بعقولهم حتى يصيبوا ما أراد الله تعالى، فيكون الناس حينئذٍ مستغنين عن الرسول المبين لهم، وعن الإمام الناقل لهم خبر الرسول إليهم...).

وأشكل متكلّم آخر فقال:

(من أين أوجبت أنّ علياً كان بالغاً حين دعاه النبي (ص) فإنّ الناس يزعمون أنّه كان صبيّاً حين دعي، ولم يكن جاز عليه الحكم، ولا بلغ مبلغ الرجال...).

جواب المأمون:

(أنّه لا يرى في ذلك الوقت من أن يكون ممّن أرسل إليه النبي (ص) ليدعوه، فإن كان كذلك فهو محتمل التكليف، قوي على أداء الفرائض الخ...).

وجوم العلماء:

ووجم علماء الحديث وعلماء الكلام، فقد أفحمهم المأمون، وألزمهم الحجّة، واستدلّ على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأوثق الأدلة وأنصعها.

أسئلة المأمون للعلماء:

ووجه المأمون أسئلة إلى العلماء، كان منها ما يلي:

١ - س: أليس قد روت الأمة بإجماع منها أنّ النبي (ص) قال: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) فقال العلماء بأجمعهم:

(بلى يا أمير المؤمنين).

وعرض عليهم المأمون حديثاً نبوياً آخر فقال:

(وروا عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: (مَنْ عَصَى اللَّهَ بِعَصِيَّةٍ صَغُرَتْ أَوْ

كبرت ثم اتخذها ديناً، ومضى مصرّاً عليها فهو مخلد بين أطباق الجحيم).

وصدق العلماء الحديث وأقروا به، فقال لهم المأمون:

خبروني عن رجل تختاره الأمة، هل يجوز أن يقال له: خليفة رسول الله (ص) ومن قبل الله عز وجل، ولم يستخلفه الرسول (ص)؟ فإن قلتم نعم، فقد كابرتم، وإن قلتم: لا وجب أن يكون فلان غير خليفة لرسول الله (ص).

وأقبل المأمون يعظهم بعد حديث جرى بينه وبين العلماء في هذا الموضوع قائلاً: (اتقوا الله، وانظروا لأنفسكم، ودعوا التقليد، وتجنّبوا الشبهات، فو الله ما يقبل الله تعالى إلا من عبد لا يأتي إلا بما يعقل، ولا يدخل إلا فيما يعلم أنه حق، والريب شك، وإدمان الشك كفر بالله تعالى، وصاحبه في النار...).

والتفت إليهم بعد هذا التأييد، قائلاً:

(أخبروني عن النبي (ص) هل استخلف حين مضى؟ أم لا).

فقالوا جميعاً:

(لم يستخلف).

وأشكل عليهم المأمون قائلاً:

(فتركه ذلك - أي الاستخلاف لأحد من بعده - هدى أم ضلال؟...).

فأجابوا:

(بلى هدى).

وانبرى المأمون يقيم الدليل على بطلان ما ذهبوا إليه قائلاً:

(فعلى الناس أن يتبعوا الهدى، ويتركوا الباطل ويتنكبوا الضلال؟...).

فأجابوا:

(وقد فعلوا ذلك - أي اتبعوا الهدى -).

وأخذ المأمون يقيم أروع الحجج والبراهين على زيف ما قالوه: قائلاً:

(لم استخلف الناس بعده - أي بعد النبي (ص) - وقد تركه هو، فترك فعله ضلال، ومحال أن يكون

خلاف الهدى هدى... وإذا كان ترك الاستخلاف هدى، فلم استخلف أبو بكر ولم يفعله النبي ﷺ؟

ولم جعل عمر الأمر بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه، لأنكم زعمتم أن النبي (ص) لم

يستخلف،

وَأَنَّ أبا بكر استخلف، وعمر لم يترك الاستخلاف كما فعل أبو بكر، وجاء بمعنى ثالث، وهو الشورى التي نصَّ عليها لتعيين الخليفة من بعده فخبروني أي ذلك ترونه صواباً، فإن رأيتم فعل النبي (ص) صواباً فقد أخطأتم أبا بكر، وكذلك القول في بقية الأقاويل وخبروني أيهما أفضل ما فعله النبي (ص) بزعمكم من ترك الاستخلاف، أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟.

وخبروني هل يجوز أن يكون تركه من الرسول (ص) هدى وفعله من غيره هدى؟ فيكون هدى ضد هدى؟ فأين الضلال حينئذٍ.

وخبروني هل ولي أحد بعد النبي (ص) باختيار الصحابة منذ قبض النبي (ص) إلى اليوم؟ فإن قلت: لا، فقد أوجبتم أنّ الناس كلهم عملوا ضلالة بعد النبي (ص).

وإن قلت: نعم، كذبتم الأمة، وأبطل قولكم: الوجود الذي لا يدفع.

وخبروني عن قول الله عزَّ وجل: **(قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ)** ^(١).

أصدق هذا أم كذب؟.

فأجابوا:

(نعم - إنه صدق -).

وانبرى المأمون قائلاً:

(أليس ما سوى الله الله إذ كان محدثه ومالكه؟).

(نعم...).

وثار المأمون فقال:

(ففي هذا بطلان ما أوجبتم من اختياركم خليفة، تفرضون طاعته، وتسمونه خليفة رسول الله

ﷺ، وأنتم استخلفتموه وهو معزول عنكم إذا غضبتم عليه، وعمل بخلاف محبتكم، ومقتول إذا أبي الاعتزال...).

وتكلّم بعد هذا الكلام بعنف مع القوم، ثم استقبل القبلة ورفع يديه قائلاً: (اللهم إني قد أرشدتكم،

اللهم إني قد أخرجت ما وجب عليّ إخراجه من عنقي).

(١) سورة الأنعام: آية ١٢.

اللّهُمَّ إِنِّي أَدِينُ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْكَ بِتَقْدِيمِ عَلِيِّ ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ عَلَى الْخَلْقِ بَعْدَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ٱلرَّسُولِ ٱلصَّالِحِ ٱلْمُرْسَلِ، كَمَا أَمَرْنَا بِهِ رَسُولَكَ ٱلصَّالِحِ ٱلْمُرْسَلِ... (١).

ووجم القوم، ولم يجدوا منفذاً يسلكون فيه للدفاع عمّا يرونه، وكان معظم استدلال المأمون على إمامة الإمام أمير المؤمنين ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ قائماً على المنطق والدليل، ولا أكاد أعرف حقيقة ناصعة واضحة وضوح الشمس كإمامة الإمام أمير المؤمنين ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ، فقد فرضته مواهبه وعبقرياته، وشدة إنابته إلى الله وزهده، وتخلّيه من الدنيا، كل ذلك جعله أولى بالنبي ٱلصَّالِحِ ٱلْمُرْسَلِ من غيره، فلم يملك أحد من الصحابة، ولا من أقرباء النبي (ص) وأرحامه مثل ما يملكه من الطاقات الندية الخلاقة من العلم والنزاهة والشرف، وغير ذلك من الصفات الكريمة والنزعات العظيمة، وبهذه الجهة كان أولى بمركز النبي ومقامه، وأمّا قرابته من النبي فليس لها أي أثر في ترجيحه على غيره من المسلمين، فإنّ هذه الجهة لا تصلح دليلاً تثبت به أحقيّة الإمام ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ بالخلافة.

وعلى أيّ حال فإن ما أقامه المأمون من هذه الأدلة على إمامة الإمام أمير المؤمنين ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ لم يكن المقصود منها إلاّ التقرب إلى الإمام الرضا ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ حتى ينال ثقته منه، وقد صرّح بذلك إسحاق بن حماد فقال: لم يكن الغرض في تفضيله الإمام علي ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ على جميع الصحابة إلاّ تقريباً للإمام أبي الحسن الرضا ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ، وكان الإمام نفسه يقول لأصحابه الذين يثق بهم: لا تغتروا بقوله، فما يقتلني والله غيره، ولكن لا بد لي من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله (٢).

عقده بولاية العهد للإمام:

وثمة دليل آخر اعتمد عليه الذاهبون إلى تشييع المأمون، وهو عقده بولاية العهد للإمام الرضا ٱلرَّضِيِّ ٱلْعَلِيِّ، وبذلك فقد عرض الخلافة التي تقمّصها العباسيون إلى الخطر، وتسليمها إلى السادة العلويين. هذه أهم الأدلة التي استند إليها القائلون بتشيع المأمون وأنّه علوي الفكر والرأي:

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٨٤ - ١٩٩ البحار.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٨٥.

زيف تشييعه:

والذي نراه بمريد من التأمل والتحقيق أنّ المأمون لم يكن من الشيعة، ولم يعتنق ولاء أهل البيت عليهم السلام، وإنما بدرت هذه البوادر التي ذكرها لأغراض سياسية، لا علاقة لها مطلقاً بدعوى التشيع، ويدعم ذلك ما يلي:

١ - إنّه من الأسرة العباسية التي عرفت بالبغض والعداء لأهل البيت عليهم السلام، فلم تنجب هذه الأسرة إلاّ الجبابرة الطغاة الذين صبّوا جام غضبهم على آل النبي (ص) وعترته، فقد عمدوا إلى قتلهم وتشريدهم، والتنكيل بهم، وقد اقترفوا معهم ما لم تقترفه الأسرة الأموية، بل إنّ الأسرة الأموية على ما عرفت به من العداء العارم لأبناء النبي (ص) فإنّها لم تقابلهم بمثل ما قابلتهم به بنو العباس، وقد كانت لبني أمية من الفواضل ما ليست لبني العباس، وقد أوضحنا بعض ما عانوه العلويون منهم في فصول هذا الكتاب.

وعلى أي حال، فإنّه من المستبعد جداً أن يتحوّل المأمون عن خطّة آبائه، ويغيّر منهجهم وسلوكهم بين عشية وضحاها فيكون علوي الرأي، وموالياً لخصوم آبائه، ويعرّض دولته إلى الخطر.

٢ - أمّا انتقاصه لمعاوية، والحكام الذين سبقوه، وتفضيل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عليهم، فإنّه لم يكن جديّاً، وإنما كان صورياً لأغراض سياسية، فقد روى التغلبي، وكان معاصراً له، قال المأمون: (وظنّوا أنّه لا يجوز تفضيل علي إلاّ بانتقاص غيره من السلف، والله ما استجيز أن انتقص الحجاج بن يوسف، فكيف بالسلف الطيب) ^(١).

إنّه يتمّ من انتقاص الإرهابي المجرم الحجاج الذي أغرق العراق لما سفكه من دماء الأبرياء.

ونسب له من الشعر ما يدعم ذلك، فقد قال:

أصبح ديني الذي أدين به ولست منه الغداة معتذرا
حب علي بعد النبي ولا اشتهم صديقا ولا عمرا
ثم ابن عقان في الجنان مع الـ أبرار ذاك القتييل مصطبرا

(١) حياة الإمام الرضا نقلاً عن عصر المأمون ١ / ٣٦٩.

ألا ولا أشتمتم الزبير ولا طلحة إن قال قائل غدرنا
وعائش الأم لست أشتمها من يفتريها فنحن منه برا^(١)
إلى غير ذلك من الشواهد والأدلة التي تثبت زيف تشييعه، وأنه لا علاقة له مطلقاً بأهل البيت
عليهم السلام.

٣ - اغتياله للإمام الرضا عليه السلام بعد ما نفذت أغراضه السياسية ولم يكتف بذلك، وإنما أوعز إلى
عامله على مصر بغسل المنابر التي كان يخطب عليها بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام^(٢)، وهذا يكشف
عمّا يكنّه في أعماق نفسه من البغض والعداء للإمام.
لقد استبان بصورة واضحة للأسرة العلوية زيف ما يدّعيه المأمون من الولاء لهم، وأنه كان صورياً لا
واقع له، ويقول الرواة إنه كتب إلى عبد الله شقيق الإمام الرضا يعطيه الأمان، ويضمن له ولاية العهد
بعده كما صنع مثل ذلك بأخيه الإمام الرضا، وقد جاء في كتابه: (وما ظننت أنّ أحداً من آل أبي طالب
يخافني بعدما عملته بالرضا...).

فأجابه برسالة كشف فيها عن نوايا المأمون، وهذا نصّها: (وصل كتابك، وفهمت تحتلني فيه عن
نفسي ختل القانص، وتحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي. وعجبت من ذلك العهد، وولاية لي
بعدي، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أي شيء ظننت أنّي أرغب من ذلك؟ أي الملك
الذي قد غرّتك نضرته وحلاوته؟ فوالله لئن أقذف وأنا حي، في نار تتأجج أحبّ إليّ من أن ألي أمراً بين
المسلمين أو أشرب شربة من غير حلها مع عطش شديد قاتل.

أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا أم ظننت أنّ الاستتار قد أملني وضاق به صدري؟ فوالله
إني لذلك، ولقد مللت الحياة، وأبغضت الدنيا ولو وسعني في ديني أن أضع يدي في يدك حتى تبلغ من
قبلي مرادك لفعلت ذلك، ولكن الله قد حظر عليّ المخاطرة بدمي، وليتك قدرت من غير أن أبذل
نفسي لك فتقتلني، ولقيت الله عزّ وجل بدمي ولقيته فتيلاً مظلوماً، فاسترحمت من هذه الدنيا.

(١) البداية والنهاية ١٠ / ٢٧٧.

(٢) الولاية والقضاء للكندي.

واعلم أنّي رجل طالب النجاة لنفسي، واجتهدت فيما يرضي الله عزّ وجلّ عنيّ، وفي عمل أتقرّب به إليه، فلم أجد رأياً يهدي إلى شيء من ذلك، فرجعت إلى القرآن الذي فيه الهدى والشفاء، فتصفّحته سورة سورة، وآية، آية، فلم أجد شيئاً أزلّف للمرء عند ربّه من الشهادة في طلب مرضاته.

ثمّ تتبّعته ثانية أتأمّل الجهاد أيّه أفضل، ولأيّ صنف، فوجدته جلّ وعلا يقول: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً) فطلبت أيّ الكفار أضّر على الإسلام، وأقرب من موضعي فلم أجد أضّر على الإسلام منك؛ لأنّ الكفار أظهرُوا كُفْرَهُمْ فاستبصر الناس في أمرهم، وعرفوهم فخافوهم، وأنت ختلت المسلمين بالإسلام، وأسرت الكفر، فقتلت بالظنّة، وعاقبت بالتهمة، وأخذت مال الله من غير حلّه، وشربت الخمر المحرّمة صراحاً، وأنفقت مال الله على الملهين، وأعطيتهم المغنّين ومنعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام، وأحطت بأقطاره إحاطة أهله، وحكمت فيه للمشرك، وخالفت الله ورسوله في ذلك خلافة المضاد المعاند.

فإن يسعدني الدهر، ويعينني الله عليك، بأنصار الحق أبذل نفسي في جهادك بدلاً يرضاه منّي، وأن يمهلك ويؤخّرك ليجزيك بما تستحقّه في منقلبك، أو تختّر منّي الأيام قبل ذلك، فحسبي من سعيي ما يعلمه الله عزّ وجلّ من نيتي والسلام...^(١).

ووضعت هذه الرسالة المأمون على طاولة التشريح، فأظهرت زيفه، وكشفت خداعه، ودجله، وأنّه لا واقع بأي حال من الأحوال إلى ما يزعمه من الولاء والحب لأهل البيت.

أما الفصول الأخيرة من هذه الرسالة، فقد ألحقت المأمون بقافلة الكفار الذين يجب جهادهم، والإطاحة بهم، كما بيّنت سياسة المأمون، وأنّها تأخذ الناس بالظنّة، وتعاقبهم بالتهمة وبالإضافة إلى ذلك، فقد أعربت عن تحلّل المأمون؛ وذلك بشربه للخمر، وإنفاقه لأموال المسلمين على الملاهي والمغنّين والعاثين والماجنين.

لقد كانت هذه الرسالة صرخة مدوّية في وجه الطاغية المأمون، وهي من الصفحات المشرّقة في مناهضة الظلم والطغيان.

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٦٣٠ - ٦٣١).

ومن الحدير بالذكر أنه يروي جانب آخر من هذه الرسالة، أو من رسالة أخرى بعثها هذا السيد الجليل إلى المأمون يقول فيها:

(هيني لا ثأر لي عندك، وعند آبائك المستحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهرنا في أمرنا فحذرناهم، وكنت أطف حيلة منهم بما استعملته من الرضا بنا والتستّر لحننا، تحتل واحدا فواحدا منا، ولكنني كنت امرأ حيب إلى الجهاد، كما حيب إلى كل امرئ بغيته، فشحذت سيفي، وركبت سناني على رحمي، واستفهرت فرسي.

ولم أدر أي العدو أشد ضرراً على الإسلام، فعلمت أن كتاب الله يجمع كل شيء فقرأته فإذا فيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً).

ومن بنود هذه الرسالة:

(وتدبرت فإذا أنت أضرت على الإسلام والمسلمين من كل عدو لهم؛ لأن الكفار خرجوا منه، وخالفوه، فحذرهم الناس وقتلوههم، وأنت دخلت فيه ظاهراً، فأمسك الناس، وطفقت تنقض عراه، عروة، عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضرراً عليه... (١).

وحكمت هذه الفصول بعض الجوانب من السياسة العباسية التي تركزت على ظلم السادة العلويين، والتنكيل بهم، كما حكمت تعطش السيد الجليل نجل الإمام موسى عليه السلام إلى الجهاد للإطاحة بحكم المأمون الذي هو من ألد أعداء الإسلام، فقد نقض عراه، عروة، عروة على حد تعبير هذه الرسالة.

٤ - إبادته للسادة العلويين بعد اغتياله للإمام الرضا عليه السلام فقد عمدت مخبراته ورجال أمنه إلى مطاردتهم، واستئصالهم، وقد اغتال كوكبة من أبناء الإمام موسى عليه السلام، وقد استخدم السم كأعظم سلاح لتصفية أبناء النبي (ص)، فقد اغتال بالسم السيد الشريف الجليل إبراهيم نجل الإمام موسى عليه السلام، ولما توفي أنزله في ملحودة قبره الفقيه ابن السمّك، وأنشد حينما أخلده:

مات الإمام المرتضى مسموماً وطوى الزمان فضائلاً وعلوماً
قد مات في الزوراء مظلوماً كما أضحى أبوه بكرىلاً مظلوماً
فالشمس تندب موته مصفرةً والبدر يلطم وجهه مغموماً^(١)

إنّ اغتياله للسلادة العلويين، ومطاردتهم حتى هربوا خوفاً منه مختفين في الأقطار والأمصار ينسف دعوى تشييعه، وأنّه لا علاقة له بالولاء لأهل البيت شأنه شأن آبائه الذين هم من ألد أعداء أبناء النبي ﷺ .

أسباب تظاهرة بالتشييع:

ولا بد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن بعض الأسباب التي دعت المأمون لتظاهرة بالولاء لأهل البيت ﷺ، وإعلان تشييعه في المحافل الرسمية، وفيما أحسب أنّ الذي دعاه لذلك ما يلي:

أ - إنّ كان مختلفاً كأشد ما يكون الاختلاف مع أسرته العباسية، الذين كانت ميولهم مع أخيه الأمين؛ لأنّ أمه السيدة زبيدة، وهي من صميم الأسرة العباسية، وكانت من أئدى الناس كفاً، ومن أكثرهم عطاءً وصلةً للعباسيين، أمّا أم المأمون فهي (مراجل)، وكانت من إماء القصر، وكان العباسيون يحتقرون المأمون من جهة أمّه، فأراد بما أظهره من الولاء للعلويين، وعقده بولاية العهد للإمام الرضا ﷺ إرغامهم، وإذلالهم، وقهرهم.

ب - إنّ أراد بإظهاره التشييع إرضاء قادة جيشه الذين كانت لهم ميول ومحبة لأهل البيت ﷺ.

ج - وإتّما عمد المأمون إلى العطف على العلويين، وإذاعة فضائل الإمام أمير المؤمنين ﷺ جلب عواطف الشعب البار، الذين أترعت عواطفهم وقلوبهم بالمحبة والولاء لأهل البيت ﷺ وقد تسلّح بهم في محاربتهم لأخيه الأمين.

د - ومن الأسباب الوثيقة جداً التي دعت المأمون إلى التظاهر بالتشييع وعقده بولاية العهد للإمام الرضا ﷺ هو القضاء على الثورة العارمة التي فجرتها الشيعة بقيادة السلادة العظام من أبناء الإمام موسى بن جعفر ﷺ، فقد التهمت الكثير من مناطق العالم الإسلامي، وكادت تقضي على الحكم العباسي، ولكنّه

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٤٨ نقلاً عن مختصر الخلفاء.

استطاع بدهاء منقطع النظر القضاء عليها وذلك بعقده بولاية العهد للإمام الرضا الذي هو سيد العلويين وزعيمهم بلا منازع، والذي يدين شطر كبير من هذه الأمة بإمامته.

لقد أحمَد المأمون الثورة، واستأصلها من جذورها بعطفه المصطنع لأهل البيت، وترشيحه للخلافة الإمام الرضا ثم مبايعته له بولاية العهد، وضره للسكة باسمه.

هـ - ولعلّ من جملة الأسباب التي حقّزت المأمون إلى تظاهره بالتشيع، هو كشف الشيعة، ومعرفة السلطة بأسمائهم وأماكنهم، بعد ما كانوا خلاباً تحت الخفاء، فقد عجزت الحكومات العباسية السابقة على حكومة المأمون عن معرفتهم، والوقوف على نشاطاتهم ومعرفة خلابهم، فأراد المأمون بما صدر منه من الإحسان إلى العلويين، وانتقاصه للخلفاء، وذمه معاوية، وغير ذلك ممّا صدر منه كشف الشيعة حتى تطاردتهم أجهزة أمنه، وشرطته، وقد دلّت على ذلك بعض الوثائق الرسمية التي صدرت منه... هذه بعض الأسباب التي دعت المأمون إلى التظاهر بالولاء لأهل البيت عليهم السلام.

منهج حكمه:

ونهج المأمون في أيام حكومته منهج معاوية بن هند، فقد ذكر المؤرخون أنّه عرضت عليه سيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليهم السلام فأبى أن ينهج نهجهم، ويسير بسياساتهم، ولكنّه قبل أن يسير بسيرة معاوية الذئب الجاهلي الذي كان يأخذ الأموال من وجوهها، ويضعها كيف يشاء، وقال المأمون: إن كان فهذا ^(١)، لقد اقتدى بمعاوية ونهج نهجه فعمد إلى اغتيال الأبرياء ففسد إليهم سمّاً قاتلاً فقضى عليهم كما فعل معاوية بخصومة، وهو القائل: (إنّ لله جنوداً من عسل) لقد كان المكر والخداع من أبرز صفاته، كما كان معاوية.

(١) حياة الإمام الرضا (ص ١٨١) نقلاً عن المحاسن والمساوي للبيهقي (ص ٢٩٥).

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

نحن أمام حدث تاريخي مهم بالغ الخطورة، أشغل الرأي العام، وأذهل كافة الأوساط السياسية، وهو عقد المأمون بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، الأمر الذي يؤذن بتحوّل الخلافة من بني العباس إلى خصومهم السادة العلويين، فقد بهر الناس، وتساءلوا: كيف تحوّلت السياسة العباسية بين عشية وضحاها إلى هذا الخط المعاكس للخط السياسي الذي سلكه العباسيون منذ بداية حكمهم، وهو قهر السادة العلويين وإبادتهم، فقد أفنوا شباهم فدفنوهم أحياءً وألقوا بأطفالهم في حوض دجلة، واستعملوا معهم جميع ألوان الإبادة...

والمأمون - فيما عرفه الناس، وعرفه التاريخ - هو من أبناء هذه الأسرة الظالمة لأهل البيت عليهم السلام، لم يشذ في سلوكه عن سلوك آبائه، ولم ينحرف عن اتجاههم المعادي للعلويين، قد تغدّى وتربّى على بغضهم وعدائهم، فجده المنصور وأبوه الرشيد، وهما قد سلكا جميع الطرق لتصفية العلويين جسدياً، وسخّرا جميع أجهزتهم السياسية والاقتصادية للحط من شأن العلويين وكرامتهم، وإبعادهم عن الساحة السياسية في دنيا العرب والإسلام.

وبعد هذا فما الذي دعا المأمون إلى هذا التغيير المفاجئ والعدول عن خطة آبائه ومنهجهم، فعقد ولاية العهد إلى الإمام الرضا عليه السلام؟ كما أنه كيف انصاع الإمام الرضا إلى ذلك مع علمه بانحراف المأمون، وما يكنّه في ذخائر نفسه من البغض لأهل البيت عليهم السلام؟ وهذا ما سنتحدث عنه.

دوافع المأمون:

ولا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في الأسباب والدوافع التي دعت المأمون إلى عقده بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وهذه بعضها:

١ - إنه لم يكن له مركز قوي في الدولة الإسلامية، فقد كانت الأسرة العباسية تحتقره، وذلك من جهة أمه (مراجل) التي كانت من خدم القصر، مضافاً إلى صلته القوية بالفضل بن سهل، وتوليته جميع أموره، وهو فارسي الأصل، وكذلك كان أخوه الأمين يبغضه ويبغي له الغوائل، ويكيده من جهة منافسته له على السلطة، فأراد المأمون تدعيم مركزه، وتقوية نفوذه، والتغلب على الحاقدين عليه، فعقد بولاية العهد لأعظم شخصية في العالم الإسلامي وهو الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فهو ابن الإمام الصادق الملهم الأول لقضايا الفكر والعلم في الإسلام، كما يدين بإمامته والولاء له شطراً كبيراً من المسلمين، فلذا بادر إلى تعيينه لهذا المنصب الخطر في الدولة الإسلامية.

٢ - وقبل أن يتسلم المأمون قيادة الدولة الإسلامية كان على علم بما يكنّه المجتمع الإسلامي من الكراهية والبغض للأسرة العباسية؛ وذلك لما اقترفوه من

الظلم والاستبداد بأمور المسلمين، وما صبّوه على السادة العلويين دعاة العدل الاجتماعي من أنواع الجور والطغيان، حتى تمّ المسلمون عودة الحكم الأموي على ما فيه من قسوة وعذاب يقول الشاعر:

يا ليت جور بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العباس في النار
ويقول شاعر آخر:

ما أحسب الجور ينقضي وعلى الأُمَّة وإلّ من آل عباس

فأراد المأمون أن يفتح صفحة جديدة للمواطنين، ويلقي الستار على سياسة آبائه، فعين الإمام الرضا عليه السلام، والذي هو أمل الأمة الإسلامية لولاية العهد.

٣ - إنَّ معظم جيش المأمون ضباطاً وجنوداً كانوا من الشيعة الذين يدينون بإمامة الإمام الرضا عليه السلام فأراد أن يكسب ودّهم وإخلاصهم.

٤ - إنَّ الثورة ضد الحكم العباسي قد اندلعت في معظم الأقاليم الإسلامية، وكان شعار الثوّار الذي رفعوه الدعوة إلى الرضا من آل محمد صلّى الله عليه وآله ، وقد استحباب الثوّار لهذه البيعة التي عقدها للإمام، وفي نفس الوقت فقد أضفى على الإمام لقب الرضا ليجلب بذلك المأمون عواطف الثوّار، وبالفعل فقد بايع الثوّار المأمون واستراح من الخطر المحدق بدولته الذي كاد أن يلفّ لواءها، ويطوي معالمها، وكانت خطّة المأمون، وأنّه من الطراز الأول في السلك الدبلوماسي فقد استطاع أن يتغلّب على الأحداث المحيطة وينتقد حكومته من أعظم خطر محقق بها.

٥ - وفي بيعة المأمون للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد فقد أكسب المأمون حكومته الشرعية، وأتمّها ليست ظالمة كحكومة آباءه، وعلى هذا فالخروج عليه غير مشروع، ويجب على المسلمين مناهضة الثائرين عليه.

٦ - ومن المكاسب التي ظفر بها المأمون في هذه البيعة هو أنّه تعرّف على عناصر الشيعة، وتعرّف على هوياتهم، ولم يعودوا يعملون في السر والخفاء فقد كانت خلاياهم سرّية للغاية، وبعد البيعة ظهر أمرهم، وانكشفوا للسلطة.

٧ - ومن الأهداف التي كان ينشدها المأمون في هذه البيعة هو إظهار الإمام عليه السلام أنّه ليس من الزاهدين في الدنيا، وإتّما كان من عشاقها في قبوله لهذه البيعة، ولم تكن تخفى على الإمام جميع أهداف المأمون، فقد أبطلها؛ وذلك بالشروط التي اشترطها على المأمون أن لا ينصب ولا يعزل، ويكون بمنحى عن الحكم كما سنوضح ذلك.

هذه بعض الأهداف التي دعت المأمون إلى عقده ولاية العهد إلى الإمام الرضا عليه السلام ^(١)، ونعود للحديث عن ولاية العهد، وموقف الإمام عليه السلام منها، وبعض المواضيع التي ترتبط بها، وفيما يلي ذلك:

(١) عرض بصورة موضوعية وشاملة السيد جعفر مرتضى إلى الأهداف التي دعت المأمون لترشيح الإمام ولي عهده، وقد أحصاها إلى إحدى عشر هدفاً في كتابه حياة الإمام الرضا.

رسالة الفضل إلى الإمام:

وأرسل الفضل بن سهل رسالة إلى الإمام الرضا عليه السلام يطلب فيها القُدوم إلى (خراسان)، ليتسلم الخلافة من المأمون وهذا نصّها بعد البسملة:

لعلي بن موسى الرضا، وابن رسول الله المصطفى، والمهتدي بهديه، والمقتدي بفعله، الحافظ لدين الله، الخازن لوحى الله، من وليّه الفضل بن سهل، الذي بذل في ردّ حقّه إليه مهجته، ووصل ليله فيه بنهاره. سلام عليك أيها المهتدي ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصليّ على محمّد عبده.

أمّا بعد: فإني أرجو أنّ الله قد أدّى لك، وإذن لك في ارتجاع حقك ممّن استضعفك، وأن يعظم منته عليك، وأن يجعلك الإمام الوارث، ويرى أعداءك، ومّن رغب عنك منك ما كان يحدرون.

وإنّ كتابي هذا عن إزماع من أمير المؤمنين عبد الله الإمام المأمون ومّيّ على ردّ مظلمتك عليك، وإثبات حقوقك في يديك، والتخلّي منها إليك، على ما أسأل الله الذي وقف عليه: أن تبلغني ما أكون بها أسعد العالمين، وعند الله من الفائزين، ولحق رسول الله صلى الله عليه وآله من المؤدّين، ولك عليه من المعاونين، حتى أبلغ في تولّيك ودولتك كلتا الحسنتين.

فإذا أتاك كتابي - جعلت فداك - وأمكنك أن لا تضعه من يدك، حتى تسير إلى أمير المؤمنين، الذي يراك شريكاً في أمره، وشفيعاً في نسبه، وأولى الناس بما تحت يده... فعلت ما أنا بخيرة الله محفوظاً، وبملائكته محفوظاً، وبكلاءته محروساً، وإنّ الله كفيل لك بكل ما يجمع حسن العائدة عليك، وصلاح الأئمة بك، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(١).

وحفلت هذه الرسالة التي رفعها أكبر مسؤول في الدولة العباسية بما يلي:

١ - إضفاء الألقاب الكريمة، والنعوت الرفيعة على الإمام عليه السلام، من أنّه حافظ لدين الله تعالى، وخازن لوحيه، وهذه الألقاب هي التي تضيفها الشيعة على أئمّتهم.

(١) حياة الإمام الرضا (ص ٤٤٢ - ٤٤٣) نقلاً عن كتاب التدوين لعبد الكريم الرافي الشافعي.

- ٢ - إعلام الإمام عليّ بإرجاع الخلافة إليه، وأنّ الله تعالى قد شاء أن يرجع ويعود هذا الحق السليب الذي تناهتته أيدي الظالمين إلى أهله، وأصحابه، وهم أهل بيت النبوة وسيدهم الإمام الرضا عليّ.
- ٣ - إنّ هذه الرسالة لم تكن بإيحاء وتدبير من الفضل وحده، وإتّما كانت منه ومن المأمون فهو الذي عزم على التخلّي عن الخلافة وتسليمها للإمام.
- ٤ - واحتوت هذه الرسالة على طلب الفضل من الإمام مغادرة يثرب فوراً والتوجّه إلى (خراسان) ليتسلّم قيادة الحكم.

موقف الإمام:

ولم تظهر المصادر التي بأيدينا جواب الإمام عن هذه الرسالة، إلاّ أنّه من المؤكّد أنّ الإمام رفض رفضاً باتاً الاستجابة لها؛ وذلك لعلمه بنوايا المأمون وأنّه لا واقع لرسالة الفضل إليه وإتّما كانت هناك دوافع سياسية ومدبّرة تحت الكواليس هي التي دفعت الفضل والمأمون إلى هذا العرض.

رسل المأمون إلى الإمام:

وأرسل المأمون وفداً رسمياً لإشخاص الإمام الرضا (ص) من (يثرب) إلى (خراسان)، أمّا الشخص الذي كان يرأس الوفد فقد ذهب أكثر المؤرّخين إلى أنّه الرجاء بن أبي الضحاك، وقيل إنّ عيسى بن يزيد المعروف بالجلودي، واستبعد ذلك السيد الأمين، وقال: إنّ الجلودي كان من قوّاد الرشيد وكان عدوّاً للإمام الرضا عليّ، وليس من الحكمة أن يبعثه المأمون لإشخاص الإمام^(١).

وقد عهد المأمون إلى رئيس الوفد أن يأتي بالإمام عليّ على طريق (البصرة)، و (الأهواز) و (فارس)، وأن لا يأتي به على طريق (الكوفة) و (قم)^(٢)، كما كتب المأمون إلى الإمام الرضا عليّ أن لا يأخذ على طريق الجبل وقم، وإتّما يأخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس^(٣).

وواضح كل الوضوح السر في إصرار المأمون واهتمامه على أن لا يأتي الإمام من

(١) أعيان الشيعة ٤ / ١٢١.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤٩.

(٣) أعيان الشيعة البحار.

طريق الكوفة وقم هو أنّ هاتين المدينتين من مراكز الشيعة، وأهلها ممن يدينون بالولاء للإمام عليه السلام ويقولون بإمامته، ومن الطبيعي أنّه إذا اجتاز عليهما فسوف يقابل بمزيد من الحفاوة والتكريم، الأمر الذي يعزّز مركز الإمام عليه السلام، ويشكّل ذلك خطراً على الدولة العباسية، أمّا مرور الإمام على (البصرة) فلا مكسب فيه للإمام؛ لأنّها كانت عثمانية المهوى، كما كانت تدين بالولاء للعباسيين، وهذا الإجراء يكشف عن زيف خطة المأمون في التخلّي عن الحكم، وإرجاعه للعلويين.

الإمام يودّع قبر النبي:

ولم يجد الإمام عليه السلام بدءاً من إجابة المأمون، فمضى إلى قبر جدّه الرسول صلى الله عليه وآله فودّعه الوداع الأخير، وعلم أنّه لا عودة له إلى جواره، روى محول السجستاني قال:
لما ورد البريد بإشخاص الإمام الرضا إلى (خراسان) كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودّع قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فودّعه مراراً، وكان صوته يعلو بالبكاء والنحيب، فتقدّمت إليه، وسلّمت عليه، فردّ السلام، وهنّأته بما يصير إليه.

فقال عليه السلام:

(ذري فإني أخرج من جوار جدّي صلى الله عليه وآله فأموت في غربة وأدفن في جنب هارون).
قال محول: فخرجت متبعاً طريق الإمام حتى مات ب (طوس)، ودُفن بجنب هارون^(١).

الإمام يأمر أهله بالبكاء عليه:

وكان الإمام الرضا عليه السلام على علم لا يخامره أدنى شك أن لا عودة له إلى أهله ووطنه، فودّعهم الوداع الأخير، وجمع عياله وأمرهم بالبكاء والنحيب عليه، وهو يسمع ذلك، وورّع عليهم اثني عشر ألف دينار^(٢) وعزّفهم أنّه لا يرجع إليهم أبداً.

(١) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ١٢٢.

(٢) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ١٢٣ كشف الغمة ٣ / ٩٥.

إقامة ولده الجواد مقامه:

وأقام الإمام الرضا عليه السلام ولده الجواد مقامه وهو ابن سبع سنين أو يزيد على ذلك، وأدخله مسجد النبي صلى الله عليه وآله، ووضع يده على حافة القبر الشريف وألصق ولده بالقبر، واستحفظه عند جدّه الرسول (ص) وقال له: أمرت جميع وكلائي، وحشمي، بالسمع والطاعة لك، وعرف أصحابه أنّه القيّم من بعده ^(١).

إلى بيت الله الحرام:

وقبل أن يتوجّه الإمام إلى (خراسان)، يّمّ وجهه نحو بيت الله الحرام ليودعه الوداع الأخير، وقد صحب معه معظم عائلته، وكان من بينهم ولده الإمام الجواد عليه السلام، ولما انتهى إلى بيت الله المعظم أدّى التحية فطاف بالبيت وصلى بمقام إبراهيم، وسعى، وطاف معه ولده الإمام الجواد فلما انتهى إلى حجر إسماعيل جلس فيه، وأطال الجلوس فانبرى إليه موفق الخادم، وطلب منه القيام فأبى، وقد بدا عليه الحزن والأسى، فأسرع موفق نحو الإمام الرضا، وأخبره بشأن ولده، وبادر الإمام الرضا نحو ولده فطلب منه القيام فأحابه بنبرات مشفوعة بالبكاء والحسرات قائلاً:

(كيف أقوم وقد ودّعت يا أبتى البيت وداعاً لا رجوع بعده؟).

لقد رأى الإمام الجواد عليه السلام ما بدا على أبيه من الوجع والأسى، فاستشفّ من ذلك أنّه النهاية الأخيرة من حياة أبيه، وفعلاً قد تحقق ذلك، فإنّ الإمام الرضا لم يعد في سفرته إلى الديار المقدّسة، وقضى شهيداً مسموماً على يد المأمون العباسي.

إلى خراسان:

وغادر الإمام الرضا عليه السلام بيت الله الحرام متوجّهاً إلى خراسان، وقد قوبل بمنتهى الحفاوة والتكريم والإجلال في كل بلد أو حي اجتازه، فقد سارع المسلمون إلى الاحتفاء به، وهم يتبرّكون بتقبيل يديه، ويعرضون عليه التشرف بضيافته وتقديم الخدمات له، كما يسألونه عن أحكام دينهم، وهو عليه السلام يجيبهم عن ذلك.

(١) الدر النظيم.

في نيسابور:

وطوت قافلة الإمام البيداء تجذ في السير، لا تلوي على شيء حتى انتهت إلى (نيسابور) ^(١) وقد استقبل فيها استقبالاً شعبياً منقطع النظر، فلم تشهد (نيسابور) في جميع تاريخها مثل ذلك الاستقبال، وكان في طليعة المستقبلين كبار العلماء والفضلاء ورجال الحديث، وقد روا عنه الحديث الذهبي الذي سنذكره.

ونزل الإمام عليه السلام في محلة الغربي أو الفروي في دار شخص سمّاه أهل نيسابور (بسندة) وهي كلمة فارسية معناها في العربية (مريض)، لأنّ الإمام عليه السلام ارتضاه من دون الناس فنزل في داره، وزرع الإمام في تلك الدار لوزة فنبتت، وصارت شجرة وأثمرت في سنة، ولمّا علم الناس جعلوا يستشفون بلوزها فمن أصابته علّة تبرّك بالتناول من لوزها فعوفي ببركة الإمام العظيم، وقد قطع بعض أغصانها شخص فعمي، وقطع تلك الشجرة ابن حمدان فأصابه العمى ^(٢). وكان في (نيسابور) حمام فدخل فيه الإمام عليه السلام فاغتسل فيه ثم خرج منه وصلّى على ظهره، وأخذ أهالي (نيسابور) يتبركون بذلك الحمام فيغتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلّون على ظهره ويدعون الله عزّ وجل في حوائجهم فتقضى لهم ببركة الإمام العظيم ^(٣).

الحديث الذهبي:

وأحاط العلماء برواة الحديث بالإمام عليه السلام، وكان على بغلة شهباء،

(١) نيسابور: قال ياقوت الحموي: نيسابور مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنع العلماء، لم أر فيما طوّفت من البلاد كانت مثلها، وقال في مدحها أبو العباس الزوزني المعروف بالمأموني:

ليس في الأرض مثل نيسابور بل طيب ورب غفور
وقال المرادي: يذم أهلها:

لا تنزلن بنيسابور مغترباً
أو فلا أدب يجدي ولا حسب
إلا وحيلك موصول بسـلطان
يغني ولا رهمة ترعى لإنسان

وقد تجرّح منها من أئمة العلم ما لا يحصى، منهم: الحافظ الإمام أبو علي الحسين بن علي بن زيد بن داود بن يزيد النيسابوري الصائغ، معجم البلدان ٥ / ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٣.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٥.

وقد لبس عمامته، وكان في مقدمة العلماء يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع، وأحمد بن حرب، وغيرهم^(١)، لَمَّا رآته الجماهير الحاشدة وهو بتلك الهيئة التي تحكي هيئة جدّه رسول الله ﷺ تعالت أصواتهم بالتهليل والتكبير مشفوعة بالأسى والبكاء، وقد ضجّت البقعة بالبكاء فنادى العلماء والحفاظ:

(معاشر الناس انصتوا، وعوا، ولا تؤذوا رسول الله ﷺ في عترته).

وألقى الإمام عليّ عليه السلام هذا الحديث الشريف فقال:

(سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي).

ولمّا مرّت الراحلة نادى أهل (نيسابور) فقال: (ولكن بشروطها، وأنا من شروطها)^(٢).

إنّ كلمة لا إله إلا الله حصن من حصون الله تعالى، ولكنها ليست على إطلاقها موجبة للنجاة من العذاب، والأمن من العقاب، ولكن بشروط، منها: الإقرار بإمامة الإمام الرضا عليه السلام الذي هو أحد أوصياء رسول الله ﷺ.

وقد كتب هذا الحديث الشريف ما ينيف على عشرين ألفاً^(٣) من العلماء والحفاظ، أمّا أسند هذا الحديث الشريف فهو من أجل وأروع الأحاديث المسندة،

يقول أحمد بن حنبل: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته^(٤)، وقد أوصى

(١) المنتظم لابن الجوزي مصوّر في مكتبة السيد الحكيم (ج ١٠ ورقة ٦٧).

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٥ ونال هذا الحديث أهمية كبرى عند العلماء فذكروا له عدّة طرق وأدرجوه في الأخبار المتواترة التي هي قطعة الصدور.

(٣) أخبار الدول (ص ١١٥).

(٤) الصواعق المحرقة.

بعض أمراء السامانية أن يكتب هذا الحديث بالذهب ويدفن معه ^(١).

إلى طوس:

وسرت قافلة الإمام عليه السلام من (نيسابور)، وهي تطوي الصحراء حتى انتهت إلى (سناباد)، وفيه جبل كانت تنحت منه القدور، فاستند إليه، قال: اللهم انفع به، وبارك فيما يجعل فيه، وفيما ينحت منه، ثم أمر بأن ينحت منه قدور له فنحت له، وقال: لا يطبخ ما آكله إلاّ فيها.

وفي (سناباد) دار حميد بن قحطبة الطائي التي فيها قبر هارون الرشيد فمضى إليها الإمام، وانتهى إلى قبر هارون فخطّ بيده إلى جانبه، وقال لمن حوله: هذه تربتي، وفيها أدفن، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي، وأهل محبتي، والله ما يزورني منهم زائر، ولا يسلم عليّ منهم مسلم إلاّ وحب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت، ثم استقبل القبلة فصلّى ركعتين ودعا بدعوات، ولمّا فرغ من صلاته سجد سجدةً طال مكثه فيها فأحصيت له فيها خمسمائة تسبيحة ^(٢)، ثم ناول عليه السلام بعض ثيابه إلى حميد لغسلها، فأخذها حميد وأعطها إحدى جواربه فأخذتها، وسرعان ما أقبلت وقالت: وجدت رقعة في قميص أبي الحسن، فناولتها إلى حميد، وسارع بها إلى الإمام عليه السلام وقال له: ما فيها يا بن رسول الله (ص)؟

فقال عليه السلام:

(هذه عوذة من أمسكها في جيبه كان مدفوعاً عنه، وكانت له حرز من الشيطان الرجيم، ومن السلطان...).

وطلب حميد من الإمام أن يملئها عليه فأملأها وهذا نصّها بعد البسملة:

بسم الله إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً أو غير تقياً، أخذت بالله السميع البصير على سمعك وبصرك، لا سلطان لك علي، ولا على سمعي وبصري، ولا على شعري، ولا على بشري، ولا على لحمي، ولا على دمي، ولا على مخّي، ولا على عصبي، ولا على عظامي، ولا على أهلي، ولا على مالي، ولا على ما رزقني ربّي، سترت بيني وبينك بستر النبوّة الذي استتر به أنبياء الله من سلطان الفراعنة، جبرئيل

(١) أخبار الدول (ص ١١٥).

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٦ - ١٣٧.

عن يميني، وميكائيل عن يساري، وإسرافيل من ورائي ومحمد ﷺ أمامي، والله مطلع على ما يمنعك ويمنع الشيطان مئّي.

اللّهم لا يغلب جهله أناتك أن يستفزني ويستخفني، اللّهم إليك التجأت، اللّهم إليك التجأت، اللّهم إليك التجأت (١).

استقبال المأمون للإمام:

وأمر المأمون باستقبال الإمام استقبالاً رسمياً، فخرجت القوّات المسلّحة لاستقباله وسائر أبناء الشعب، وكان المأمون في مقدمة مستقبله، ومعه الفضل ابن سهل، وبقية وزراءه ومستشاريه، فصافح الإمام ورحّب به ترحيباً حارّاً، وخصّص له داراً فخمة، مزوّدة بالخدم والحشم، وسائر ما يحتاج إليه، وعني به عناية فائقة.

عرض الخلافة على الإمام:

وعرض المأمون الخلافة على الإمام عليه السلام، تنازله عن الخلافة رسمياً، وتقليد الإمام عليه السلام بما فقال له: (يا بن رسول الله قد عرفت فضلك، وعلمك وزهدك وورعك، وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مئّي...).

فأجابه الإمام:

(بالزهد بالدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمعالم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله...).

لقد أعرب الإمام عليه السلام عن زهده في الدنيا، وورعه عن محارم الله تعالى مبتغياً بذلك الفوز في الدار الآخرة والرفعة عند الله. وسارع المأمون قائلاً:

(إني رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، وأجعلها لك...).

ولم تخف على الإمام نوايا المأمون، وإنه إنما قام بذلك تنفيذاً لأغراضه السياسية، وكيف يتنازل عن الخلافة وقد قتل أخاه الأمين من أجلها، وخرّب بغداد، ونشر في ربوع العالم الإسلامي الشكل والحزن والحداد، فكيف يسلمها للإمام عليه السلام؟

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٨.

وأجابه الإمام بجواب حاسم أغاظ المأمون، وورم منه أنفه قائلاً له: (إن كانت هذه الخلافة لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله، وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك...).

وأفحم المأمون، فقد سدّ الإمام عليه كل نافذة يسلك منها، وراح يقول مهدّداً للإمام:
(لا بد لك من قبول هذا الأمر...).

فأجابه الإمام:

(لست أفعل ذلك طائعاً أبداً...).

وبهر ذو الرياستين، وراح يقول:

(وا عجباً!! رأيت الميمون أمير المؤمنين يفوّض أمر الخلافة إلى الرضا، ورأيت الرضا يقول: لا طاقة لي بذلك، ولا قدرة لي عليه، فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها...).

لقد كان الإمام عليّاً عالماً بزيغ هذا العرض، وعدم جدّيته فالمأمون من الأسرة العباسية الحاكمة على آل البيت عليه السلام، فقد ارتكب معهم من الجازر ما لم ترتكبه الأسرة الأموية، فقتلوه في وضح النهار وفي غلس الليل، وقد جهدوا أن لا يبقى علويّاً على وجه الأرض، والمأمون ليس أقلّ خبثاً، فقد اغتال سيد العلويين الإمام الرضا وقتل غيره من السادة الأطهار، فكيف يثق الإمام به؟.

المبرّرات المزعومة للمأمون:

أمّا المبررات المزعومة للمأمون في عرضه للخلافة على الإمام الرضا عليه السلام فهي:

١ - إنّه وجّه دعوة إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن بن سهل، فلمّا مثلاً عنده عرض عليهما ما نواه من تقليد الإمام للخلافة فجعل الحسن يعظم ذلك عليه، ويعرفه مضاعفات ذلك، فقال المأمون: (إنّي عاهدت الله أن أخرجها - أي الخلافة - إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل - يعني الإمام الرضا -) ^(١).

(١) مقاتل الطالبين (ص ٥٦٢ - ٥٦٣)، الفصول المهمة (ص ٢٤١).

ومعنى هذا أنه عقد عهداً مع الله يجب الوفاء به إن تمّ القضاء على أخيه، وظفر به، أن يعطي الخلافة إلى أفضل رجل من آل أبي طالب، وكان أفضلهم في عصره هو الإمام الرضا عليه السلام، ولكن لا واقع لذلك مطلقاً كما دلّت على ذلك الأحداث.

٢ - إنّه حاول بنقل الخلافة إلى العلويين أن يكافئ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ما أسداه إلى العباسيين من فضل حينما ولي الخلافة، فقد جعل عبد الله بن عباس وزيراً له كما قلّده إمارة البصرة، وكذلك قلّد عبید الله بن العباس ولاية اليمن، وغير ذلك من الأيادي التي أسداها إليهم، فأراد المأمون بما عمله مكافأة الإمام في ولده ^(١).

٣ - إنّه إنّما عمل ذلك طاعة لله وطلباً لمرضاته، والخير للأمة، ومصلحة المسلمين ^(٢).

هذه بعض المبررات التي تدرّع بها المأمون لنقل الخلافة إلى الإمام الرضا عليه السلام.

زيف مبرراته:

ولا واقع مطلقاً لهذه المبررات، فلو كان المأمون صادقاً فيها لما منع مرور الإمام على الكوفة في مجيئه من يثرب؛ وذلك خشية من أن يكون له استقبال شعبي في هذه المدينة التي هي من مراكز الشيعة في العالم الإسلامي، وكذلك منع اجتيازه على (قم) للعلّة ذاتها، ومضافاً لذلك فإنّ عبد الله بن أبي سهل النوبختي الذي كان عالماً بالنجوم أخبره أنّ وقت البيعة للإمام الرضا في الوقت الذي قرّره المأمون ليس بصالح ولا يتم، فأمر المأمون على تنفيذ بيعته للإمام في ذلك الوقت ^(٣) الأمر الذي ينم عن خبثه ودجله في هذا الأمر.

عرض ولاية العهد على الإمام:

وحاول المأمون بجميع الطرق والوسائل إقناع الإمام عليه السلام على قبول الخلافة أو ولاية العهد من بعده، فامتنع من إجابته امتناعاً شديداً، وقد استمرّت

(١) الآداب السلطانية (ص ٢١٩).

(٢) أعلن المأمون ذلك في وثيقة العهد التي سنذكرها.

(٣) فرج المهموم (ص ١٤٢)، تأريخ الحكماء (ص ٢٢٢ - ٢٢٣).

المحاولات على إقناعه أكثر من شهرين إلا أنّها لم تجد شيئاً وأصرّ الإمام على رفضه وامتناعه عن قبول أيّ منصب من مناصب الدولة.

إرغام الإمام:

ونفذت جميع الطرق الدبلوماسية التي سلكها المأمون لإقناع الإمام عليه السلام على قبول ولاية العهد، فرأى أن يسلك طريقاً آخر وهو التهديد والتوعيد للإمام، فقد بعث إلى الإمام فلماً مثل عنده جرى حوار بينهما فقال عليه السلام له: (والله ما كذبت منذ خلقتني ربّي عزّ وجلّ، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لاعلم ما تريد؟...).

وسارع المأمون قائلاً:

(ما أريد؟...).

وطلب الإمام منه الأمان إن صارحه بالحقيقة قائلاً:

(الإمام على الصدق؟).

(لك الأمان...).

وبيّن الإمام دوافع المأمون في إصراره على تقليده بولاية العهد قائلاً: (تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟...).

وغضب المأمون وورم أنفه، فصاح بالإمام قائلاً:

(إنّك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلاّ أجبرتكَ على

ذلك فإن فعلت، وإلاّ ضربت عنقك...^(١)).

وانبرى الإمام عليه السلام يتضرّع إلى الله تعالى ويدعو قائلاً:

(اللهم إنّك قد نهيته من الإلقاء بيدي إلى التهلكة، وقد أكرهت واضطرتت، كما أشرفت من قبل

عبد الله المأمون على القتل إن لم اقبل ولاية عهده، وقد أكرهت واضطرتت كما اضطر يوسف ودانيال

عليهما السلام إذ قبل كل واحد منهما الولاية من طاغية زمانه.

(١) أمالي الصدوق (ص ٤٣)، عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤٠.

اللَّهِمَّ لا عهد إلاّ عهدك، ولا ولاية لي إلاّ من قبلك، فوقفتني لإقامة دينك، وإحياء سنّة نبيّك محمد ﷺ فإنّك أنت المولى، وأنت النصير، ونعم المولى أنت، ونعم النصير...^(١).
وقبل الإمام ولاية العهد وهو باكٍ حزين^(٢)، قد طافت به الآلام والمهموم.

شروط الإمام:

وشروط الإمام عليه السلام على المأمون شروطاً تكشف عن عدم رضاه بولاية العهد، وإجباره على قبول هذا المنصب، وهي:

- أ - لا يوليّ أحداً.
 - ب - لا يعزل أحداً.
 - ج - لا ينقض رسماً.
 - د - يكون مشيراً من بعيد في شؤون الدولة^(٣).
- وأجاز المأمون هذه الشروط التي تتصادم مع أهدافه، وتفرض نواياه.

نص وثيقة ولاية العهد:

ولم تقتصر ولاية العهد بين الإمام عليه السلام وبين المأمون على البحوث الكلامية، وإنما دوّنت في وثيقة رسمية، ووّع عليها الإمام والمأمون، وشهد عليها كبار رجال الدولة، وقد نقلتها جمهرة من مصادر التاريخ، وقد اطلع عليها ابن الجوزي وقال: ابتاعها خالي بمأتي دينار، وحملها إلى سيف الدولة صدقة بن منصور، وكان فيها خطوط جماعة من الكتّاب مثل الصولي عبد الله بن العباس، والوزير المغربي^(٤)، وقد اطلع عليها علي بن عيسى الإربلي، ونقل نصّها في كتابه (كشف الغمّة) وذلك في سنة (٦٧٠ هـ)^(٥)، ونحن ننقل نصّها فقد جاء فيها بعد البسملة:

(هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين لعلي بن موسى بن جعفر.

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ١٩.

(٢) ينابيع المودة (ص ٢٨٤).

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤٠.

(٤) مرآة الزمان ٥ / ورقة ١٤٨ مصوّر.

(٥) كشف الغمّة.

أما بعد: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ اصطفى الإسلام ديناً، واصطفى من عباده رسلاً دالين عليه، وهادين إليه، ويشتر أولهم بأخرهم، ويصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله إلى محمد ﷺ على فترة الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فحتم الله به النبيين، وجعله شاهداً لهم، ومهيماً عليهم وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزِيل من حكيم حميد، بما أحلَّ وحرم ووعد وأوعَد، وحذر وأنذر، وأمر به، ونهى عنه لتكون له الحجة البالغة على خلقه، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وإنَّ الله لسميع عليم.

فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهد والغلظة، حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده ﷺ، فلما انقضت النبوة، وختم الله بمحمد ﷺ، الوحي والرسالة، وجعل قوام الدين، ونظام أمر المسلمين بالخلافة، وإتمامها وعزها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي يقيم بها فرائض الله تعالى وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، ويجاهد بها عدوه.

فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم، ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله، وأمن السبيل،

وحقق الدماء وصلح ذات البين، وجمع الألفة، وفي خلاف ذلك اضطراب جبل المسلمين، واختلالهم، واختلاف ملتهم وقهر دينهم، واستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة، وخسران الدنيا والآخرة.

فحق على من استخلفه الله في أرضه، وائتمنه على خلقه أن يجهد الله نفسه، ويؤثر ما فيه رضي الله وطاعته، ويعتمد لما الله موافقه عليه، ومسائله عنه، ويحكم بالحق، ويعمل بالعدل فيما أحله الله وقلده، فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) وقال الله عز وجل: (فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وبلغنا أنَّ عمر بن الخطاب قال: (لو ضاعت سحلة بشاطئ الفرات لتخوّفت أن يسألني الله عنها).

وأيم الله إنّ المسؤول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه وبين الله، ليعرض على أمر كبير، وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة، وبالله الثقة، وإليه المفرج، والرغبة في التوفيق والعصمة، والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجّة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة، وأنظر الأمة لنفسه، وأنصحهم لله في دينه وعباده من خلائقه في أرضه، من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه ﷺ، في مدّة أيامه وبعدها، وأجهد رأيه فيمن يوليه عهده، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علماً لهم، ومفزعاً في جمع ألفتهم، ولمّ شعثهم، وحقن دمائهم والأمن بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم، واختلافهم ورفع نزع الشيطان وكيدهم عنهم، فإنّ الله عزّ وجل جعل العهد بعد الخلافة من تمام الإسلام وكمالها، وعزّه وصلاح أهله، وأهم خلفاءه الخلافة من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة وشملت فيه العافية، ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق والعداوة والسعي والفرقة والترصص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختر بشاعة مذاقها، وثقل حملها، وشدّة مؤونتها، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله، ومراقبته فيما حمله منها، فانصب بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عزّ الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأمة ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش، علماً بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقي الله مناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه، في دينه وورعه وعمله، وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقّه، مناجياً بالاستجارة في ذلك ومسألته، وإلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره، ومعملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس، وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، مقتصراً ممّن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغا في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسألة.

فكان خيرته بعد استخارته الله، وإجهاده نفسه في قضاء حقّه في عباده وبلادهم في البيتين جميعاً:

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
لَمَّا رَأَى مِنْ فَضْلِهِ الْبَارِعَ، وَعَلِمَهُ النَّافِعَ، وَوَرَعَهُ الظَّاهِرَ، وَزَهْدَهُ الْخَالِصَ، وَتَخَلُّيَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَتَسَلَّمَهُ
مِنَ النَّاسِ.

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولَمَّا لم يزل
يعرفه به من الفضل يافعاً، وناشئاً، وحدثاً ومكتهاً، فعقد له بالخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله في ذلك،
إذ علم الله أنه فعله إثارة له، وللدن ونظراً للإسلام والمسلمين، وطلباً للسلامة، وثبات الحجّة والنجاة في
اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه، فبايعوا مسرورين عاملين بإيثار أمير المؤمنين
طاعة الله على الهوى في ولده، وغيرهم ممن هو أشبك منه رحماً وأقرب قرابة.

وسمّاه الرضا، إذ كان رضا عند أمير المؤمنين، فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، ومن بالمدينة
المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين لأمر المؤمنين، وللرضا من بعده علي بن موسى على اسمه
وبركته، وحسن قضائه لدينه وعباده، بيعة مبسوطة إليها أيديكم منشرحة لها صدورهم، عاملين بما أراد أمير
المؤمنين بها، وأثر طلعة الله، والنظر لنفسه ولكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين بها من قضاء
حقه في رعايتكم، وحرصه على رشدكم، وصلاحكم، راجين عائدة ذلك في جمع إلفتكم، وحقن
دمائكم، ولمّ شعنكم، وسدّ ثغوركم وقوة دينكم، ورغم عدوّكم، واستقامة أموركم، وسارعوا إلى طاعة الله،
وطاعة أمير المؤمنين، فإنه الأمن إن سارتم إليه، وحمدتم الله عليه، عرفتم الحظ فيه إن شاء الله...^(١).
وانتهت هذه الوثيقة وكان تأريخها يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين
هجريّة.

وطلب المأمون من الإمام الرضا عليه السلام أن يكتب بيده الشريفة بقبول هذا العهد، فكتب عليه السلام بخطّه
بعد البسملة ما يلي:

(١) صبح الأعشى ٩ / ٣٦٢ - ٣٦٦.

(الحمد لله الفعّال لما يشاء، ولا معقّب لحكمه، ولا راّد لقضائه يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وصلاته على نبيّه خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين.

أقول: وأنا علي بن موسى بن جعفر: إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسداد، ووفّقه للرشاد، عرف من حقّنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قُطعت، وأمن أنفساً فزعت، بل أحيها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، ومبتغياً رضى ربّ العالمين، لا يريد جزاءً من غيره، وسيجزى الله الشاكرين، ولا يضيع أجر المحسنين.

وأته جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حلّ عقدة أمر الله بشدّها، وفصم عروة أحبّ الله إثاقها، فقد أباح الله حريمه، وأحلّ محرمه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام منتهكاً حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، ولم يعترض على العزمات، خوفاً من شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد فرصة تنتهز وبائقة تبتدر.

وقد جعلت الله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلّدي خلافة العمل فيهم - عامة، وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة - بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيع فرجاً، ولا مالاً إلاّ ما سفكته حدود الله، وأباحته فرائضه، وأن أتخّر الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكّداً، يسألني الله عنه، فإنّه عزّ وجل يقول: **(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)**.

وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للغير مستحقاً وللنكال متعرضاً، وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته، في عافية لي وللمسلمين.

والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك، وما أدري ما يفعل بي، ولا بكم، إن الحكم إلاّ الله يقضي بالحق، وهو خير الفاصلين، ولكني امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمني وإيّاه، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً...).

وكتبت بخطّي، وبحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

وكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ما صورته:

(رسم أمير المؤمنين أطلال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه بحرم سيدنا رسول الله ﷺ بين الروضة والمنبر على رؤس الأشهاد، ومرأى ومسمع من وجوه بني هاشم، وسائر الأولياء والأجناد، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين الحجّة به على جميع المسلمين وإبطال الشبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) .

وكتب الفضل بن سهل في التأريخ المعين فيه.

وكتب يحيى بن أكثم القاضي ما صورته: (شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها، وكتب بخطه بالتأريخ.

وكتب حماد بن النعمان ما صورته: (شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه).

وكتب بشر بن المعتبر ما صورته: (شهد بمثل ذلك بشر بن المعتبر وكتب بخطه بالتأريخ) (١).

ولا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في وثيقة المأمون، وما كتبه الإمام الرضا عليه السلام، وما شهد به الفضل بن سهل، وفيما يلي ذلك:

محتويات وثيقة ولاية العهد:

وحفلت وثيقة ولاية العهد التي وقّعها المأمون والإمام الرضا بما يلي:

أولاً - الإشادة بالإسلام، وبكتاب الله العظيم: الذي هو المنهج الكامل والدستور الشامل لسعادة الإنسان وصلاحه.

ثانياً - الإشادة بالرسول العظيم داعية الله الأكبر، ورافع مشعل التوحيد، والنقطة الفكرية في الأرض.

ثالثاً - بيان أهمية الخلافة بعد النبي ﷺ، فبها قوام الدين، ونظام أمر المسلمين، وهي ظل الله في الأرض.

رابعاً - لزوم طاعة المسلمين للخلفاء، فإنّ عدم طاعتهم تنجم منه الإضرار البليغة

(١) صبح الأعشى ٩ / ٣٩٢ - ٣٩٣.

على العالم الإسلامي.

خامساً - إنّ على الخلفاء مسؤوليات خطيرة، والتي منها إيثار طاعة الله على كل شيء، والحكم بالحق والعدل بين الناس، إلى غير ذلك من المسؤوليات الجسام التي عرضتها الوثيقة بصورة شاملة.

سادساً - إنّ من أهم مسؤوليات الخلفاء تعيين ولاة العهد من بعدهم، وأن يكون التعيين قائماً على الاختيار التام والفحص الشديد في أمر من يعينه من بعده، وأن لا يكون الاختيار خاضعاً للمحاباة والأهواء، فإنّ في ذلك تعريض الأمة لأخطار جسام تُمنى بها.

سابعاً - إنّ المأمون قد بذل جهداً شاقاً وعسيراً في اختيار ولي عهده، فلم يجد في الأسرة العلوية، ولا في الأسرة العباسية من هو أفضل من الإمام الرضا عليه السلام؛ وذلك لما يتمتع به من الصفات الكريمة التي منها:

أ - الفضل البارع.

ب - العلم النافع.

ج - الزهد الخالص في الدنيا.

د - الورع عن محارم الله تعالى.

وهذه الصفات الكريمة هي التي دفعت المأمون لانتخاب الإمام الرضا عليه السلام، وترشيحه لولاية العهد من بعده.

محتويات ما كتبه الإمام:

أمّا محتويات ما كتبه الإمام الرضا عليه السلام على وثيقة ولاية العهد، فهي كما يلي:

أولاً - الإشادة بصلات المأمون للسلالة العلوية، فقد أنعشهم بما بعد ما عانوا من الضيق والحرمات، والظلم من حكام بني العباس الذين جهدوا على أن لا يبقى علوي على وجه الأرض، فقد دفنهم أحياء، وقتلوهم تحت كل حجر ومدبر، وألقوا بأطفالهم في حوض (دجلة) حتى ماتوا، إلى غير ذلك من المآسي التي صبّها العباسيون على العلويين.

ثانياً - أشار الإمام عليه السلام بقوله: (إذ كان بذلك زارياً على الإمام الخ) إلى

جدّه الإمام أمير المؤمنين باب مدينة علم النبي (ص)، ورائد حكمته، الذي أقصاه القوم عن منصبه الذي قلده النبي (ص) له في يوم (غدِير خم)، وقد عانت الأمة من جزاء ذلك ألواناً رهيبية من المآسي والويلات، فقد أصبحت الخلافة بأيدي الجناة أمثال: معاوية ويزيد مروان والوليد والمنصور وغيرهم من أئمة الظلم والجور، الذين لم يألوا جهداً في ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون.

وأشار الإمام عليّ عليه السلام بقوله: (فصبر منه على الفلتات) إلى قول عمر بن الخطاب الذي وصم بيعة أبي بكر بأنها فلتة وقي الله المسلمين شرّها فقد صبر الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على هذه الفلتة (وفي العين قذى وفي الحلق شحى) - على حدّ تعبيره - وذلك حرصاً منه على كلمة الإسلام من الانهيار، ووحدته المسلمين من التصدّع؛ وذلك لقرب المسلمين من الجاهلية، وترتّب القوى المعادية للإسلام للفتك والانقضاض عليه إذا حدث انقسام بين صفوف المسلمين، الأمر الذي دعا الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للصبر على نهب تراثه.

ثالثاً - إنّ الإمام عليّ عليه السلام قد قطع على نفسه عهداً مسؤولاً عنه أمام الله، وأمام المسلمين أن يسوس الناس سياسة قوامها العدل الخالص، والحق المحض، ويعيد للناس سيرة جدّه الرسول الأعظم ﷺ، ويختار لجهاز الحكم الأكفأ الصالحين الذين يحشون الله تعالى ويتبعون الدار الآخرة... بكل هذه الأهداف العظيمة التي سيحققها الإمام إذا تقلّد خلافة المسلمين.

رابعاً - واستشفّ الإمام عليّ عليه السلام من وراء الغيب أنّه لا يتقلّد الخلافة، ولا تنعم الأمة في حكمه، فقد قرأ في (الجامعة) و (الجفر) اللذين هما من ودائع النبوة، وفيهما علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة أنّ الخلافة لا تنتهي إلى الإمام عليّ عليه السلام، وأنّ تقلّده لولاية العهد إنّما هو خداع وتضليل من قبل المأمون.

محتوى كتابة الفضل:

أمّا ما كتبه الفضل بن سهل على وثيقة ولاية العهد فإنّه يشير إلى أنّ هذه الوثيقة متى أمر المأمون بقراءتها في الجامع النبوي بين الروضة والمنبر الشريف على رؤوس الأشهاد من وجوه الهاشميين، والقوّات المسلّحة وسائر الناس؛ ليكون ذلك أبلغ في توكيد العهد، ودفع آراء الجاهلين والمعرضين.

هذه بعض محتويات الوثيقة وملحقاتها، وقد كانت صريحة في محتوياتها، وليس

فيها أيّ لبس أو غموض.

البيعة للإمام:

وعقد المأمون لبيعة الإمام الرضا عليه السلام مهرجاناً شعبياً عاماً حضرته الوزراء، وكبار رجال الدولة، وقادة القوات المسلحة وبقية أبناء الشعب، وفي طليعتهم العلويون والعباسيون، وكان ذلك في يوم الثلاثاء في اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك ^(١) سنة (٢٠١ هـ) ^(٢).

وجلس المأمون على دست الخلافة، ووضع للإمام الرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلس المأمون، وعليه عمامة، وقد تقلد سيفاً، وأمر المأمون ولده العباس أن يبايع للإمام فكان أول من بايعه ^(٣) ثم بايعه الناس.

كيفية البيعة:

أمّا كيفية بيعة الناس للإمام عليه السلام فكانت فريدة لم يألفها ملوك الأمويين والعباسيين، فقد رفع عليه السلام يده، وتلقّى بظهرها وجهه الشريف،

وباطنها وجوه المبايعين، وبهر المأمون من ذلك، وراح يقول للإمام:
(اسط يدك للبيعة...).

فأجابه عليه السلام:

(إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع) ^(٤) ولعلّ ذلك يستند إلى قوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) فلا يصح أن تكون يد المبايع فوق يد النبي صلى الله عليه وآله أو فوق يد الإمام عليه السلام.

الإمام يخبر بعدم تمامية هذا الأمر:

ولمّا جلس الإمام الرضا عليه السلام ذلك المجلس، وقد لبس الخلع، والخطباء والشعراء يشيدون بفضله، ويدعون الناس إلى مبايعته نظر عليه السلام

إلى بعض مواليه، وقد داخله السرور، وعمّته الأفراح، فأشار إليه فأسرع نحوه فأسرّ إليه قائلاً:

(١) عيون التواريخ ٣ / ورقة ٢٢١.

(٢) سر السلسلة العلوية (ص ٣٨) مرآة الزمان ٦ / ورقة ٤٠ تأريخ القضاء.

(٣) البحار.

(٤) مقاتل الطالبيين.

(لا تشعل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر، ولا تستبشر فإنه لا يتم) ^(١) وتحقق ما أخبر به الإمام
عليه السلام فإنه لم تتم هذه البيعة للإمام، وخاس المأمون بعهدده ووعدده، فعدر بالإمام ودس إليه سمّاً فاغتاله.

خطبة المأمون:

ولما انتهت مراسيم البيعة قام المأمون فاعتلى المنبر، وخطب الناس فقال في جملة خطابه:
(أيها الناس جاءكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليه السلام، والله لو قرأت هذه الأسماء على الصم البكم لبرأوا بإذن الله عز وجل) ^(٢).

خطبة الإمام الرضا:

ولما تمت البيعة للإمام الرضا عليه السلام، وطلب منه المأمون أن يعتلي المنبر، ويخطب الناس، فصعد المنبر
وقال بعد حمد الله والثناء عليه:
(أيها الناس إن لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ، ولكم علينا حق به، فإذا أدبتم إلينا ذلك وجب
علينا الحق لكم...).

ولم يذكر الإمام غير هذه الكلمات ^(٣) التي أعرب فيها عن حقه على الناس؛ لأنه ابن رسول الله ﷺ
الذي برّ بدينهم ودنياهم، وأخرجهم من حياة التيه والضياع، فإذا وفوا له بحقه، وأقاموه خليفة عليهم فقد
وجب عليه أن يقيم في ربوعهم الحق، بجميع رحابه ومفاهيمه.

خطبة العباس:

وانبرى العباس الخطيب، فخطب خطاباً رائعاً بليغاً، وختم خطابه بهذا البيت:

(١) الفضول المهمة (ص ٢٣٨).

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤٧.

(٣) عيون أخبار الرضا.

لا بد للناس من شمس، ومن قمر فأنت شمس، وهذا ذلك القمر^(١)

المتنعون من البيعة للإمام:

وامتنع جماعة من البيعة للإمام عليه السلام، فقد حقدوا عليه، وكرهوه، ونقموا على المأمون ببيعته بولاية

العهد للإمام وهم:

١ - عيسى الجلودي.

٢ - علي بن عمران.

٣ - أبو يونس^(٢).

وأمر المأمون بإلقاء القبض عليهم وإيداعهم في السجن.

تنفيذ حكم الإعدام فيهم:

وأمر المأمون بإخراج هؤلاء الثلاثة الممتنعين من البيعة للإمام من السجن، فلما مثلوا عنده رأوا الإمام

إلى جانبه فتميزوا غيظاً وغضباً، وانبرى علي بن أبي عمران فقال للمأمون:

(أعيزك بالله يا أمير المؤمنين أن تخرج هذا الأمر الذي جعله الله لكم، وخصكم به، وتجعله في أيدي

أعدائكم، ومن كان آباؤك يقتلونهم، ويشردونهم في البلاد...).

فصاح المأمون: (يا بن الزانية، وأنت بعد على هذا؟!...).

ثم أمر بضرب عنقه، فنفذ ذلك فيه، وأدخل عليه أبو يونس فلما رأى الإمام إلى جانب المأمون محاطاً

بمالة من الحفاوة والتكريم ساءه ذلك، وحاطب المأمون قائلاً:

(يا أمير المؤمنين هذا الذي بجنبك، والله صنم يعبد من دون الله...).

فأمر المأمون بإعدامه فأعدم، ودخل عليه الجلودي، وكان من أعدي الناس لأهل البيت عليهم السلام، وهو

الذي بعثه الرشيد لسلب بنات رسول الله (ص) في

(١) تذكرة الخواص (ص ٣٦٤).

(٢) عيون أخبار الرضا.

يثرب، ومصادرة ما عليهنّ من حلي وحلل، فحاء إلى بيت الإمام الرضا عليه السلام وأراد المحجوم على بيت الإمام، وسلب ما على العلويات من ثبات فأبى الإمام فلم يعن به الجلودي، وأخذ الإمام يتوسّل إليه، ويعدّه بأن يأتي ما أراد فانصاع لقوله، ودخل الإمام إلى بيته فجمع له كل ما على العلويات من حلي وحلل فحاء به إلى الجلودي فأخذه، وقد طلب الإمام من المأمون أن يهب له الجلودي، فقال المأمون: (يا سيدي هذا الذي فعل بنات محمد (ص) ما فعل من سلبهنّ؟...).

ونظر الجلودي إلى الإمام وهو يكلم المأمون ويتوسّل إليه في العفو عنه فظن الغي أنّه يريد الانتقام منه لما فعله معه، فقال للمأمون:

(يا أمير المؤمنين أسألك بالله، وبخدمتي للرشيدي أن لا تقبل قول هذا في...).

والتفت المأمون إلى الإمام الرضا فقال له:

(يا أبا الحسن قد استعفى، ونحن نبرّ قسمه...).

وخاطب المأمون الجلودي فقال له:

(لا والله لا أقبل قوله فيك...).

ثم التفت إلى الشرطة، وقال لهم: ألحقوه بصاحبيه، فقدم وضربت عنقه ^(١).

قرارات هامة:

وأصدر المأمون قرارات هامة بمناسبة عقده ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وهي:

١ - إعطاء الجنود رواتبهم سنة كاملة.

٢ - ترك لباس الأسود الذي كان لباس العباسيين ^(٢) ولبس اللباس الأخضر؛ لأنّ ذلك فيما أحسب

هو لباس أهل الجنة، قال تعالى: (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) ^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦١ - ١٦٢.

(٢) ورد في بعض الأخبار أنّ جبرئيل هبط على النبي (ص) في قباء أسود فقال (ص): له يا جبرئيل ما هذا الزي؟ فقال: زي ولد

عمك العباس، يا محمد ويل لولدك من ولد عمك العباس، جاء ذلك في وسائل الشيعة ٣ / ٢٧٩.

(٣) سورة الكهف: آية ٣١.

٣ - ضرب الدراهم والدنانير باسم الإمام الرضا عليه السلام وقد أورد السيد عبد القادر أحمد اليوسف نماذج من تلك النقود ما يلي:

(الدينار)

كتب في مركز وجهه: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له).
وكتب على النطاق: بسم الله ضرب هذا الدينار بسمرقند سنة اثني ومائتين.
وكتب على الطوق: (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ).
وكتب في مركز القفا: الله، محمد رسول الله، المأمون خليفة الله، ممّا أمر الأمير الرضا ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن علي بن أبي طالب.
وكتب على طوق مركز القفا: (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

(الدرهم)

نقل عبد القادر صورة الدرهم من متحف برلين المرقّم (١٢٩٥) صورة الكتابة في مركز الوجه: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) سنة ثلاث ومائتين.
كتابة الطوق (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ).
كتابة القفا: (الله، محمد رسول الله، المأمون خليفة الله، ممّا أمر به الرضا).
كتابة الطوق: (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين ولو كره المشركون).
صورة أخرى من الدرهم الموجود في المتحف البريطاني في لندن تحت رقم (٢٨٩).
مركز الوجه: كتب عليه (لا إله إلا الله وحده لا شريك له).
النطاق: كتب عليه سنة اثنين.
الطوق: كتب عليه (لله الأمر من قبل ومن بعد).
مركز القفا: مر به...
... المسلمين علي بن موسى
... علي بن أبي طالب

... ذو الرياستين.

الطوق: محمد رسول الله.

إنّ هذه النقاط هي حروف ممحاة لأنّها مصوّرة هكذا (الكتلوكات) العالمية، ومسحت هذه الكتابة نتيجة قدم هذه النقود، وتداولها الكثير، وتوجد نماذج من الدراهم ضربت سنة (٧٠٤ هـ) تيمناً بسكّة الإمام، وقد كتب عليها ما كتب على السكّة الأصلية^(١).

زواج الإمام بابنة المأمون:

وعرض المأمون على الإمام الرضا عليه السلام أن يتزوَّج الأميرة السيدة أم حبيب^(٢) فقبل الإمام ذلك وتزوَّج بها، وإتّما عمد المأمون تقرّباً للإمام، وحتى تقوى العلاقة بينهما، ويرى بعض المحلّلين للأخبار أنّ سبب ذلك أن تكون ابنته عيناً لأبيها على جميع تصرّفات الإمام وتحركاته، وهذا ليس ببعيد عن سياسة المأمون ودهائه.

البيعة للإمام في جميع الأقطار:

وأمر المأمون جميع ولاته وعمّاله في جميع الأقطار والأقاليم الإسلامية بأخذهم البيعة للإمام الرضا بولاية العهد من جميع المواطنين، وهذه بعض الأقاليم التي أخذ منها البيعة.

١ - يثرب:

واستقبلت يثرب بجميع قطاعاتها الشعبية نبأ ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام بمزيد من الأفراح والابتهاج، وسارع والي يثرب عبد الجبار المساحقي إلى الجامع النبوي ليأخذ البيعة من أهالي المدينة إلى الإمام بعد أن أمره المأمون بذلك، واعتلى أعواد المنبر فخطب الناس وكان من جملة خطابه: أيّها الناس هذا الأمر الذي كنتم فيه ترغبون، والعدل الذي كنتم تنتظرون، والخير الذي كنتم ترجون، هذا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم.

(١) الإمام علي الرضا ولي عهد المأمون (ص ٦٢ - ٦٥).

(٢) ذكر أبو الفرج ان الإمام الرضا تزوج بابنة المأمون أم الفضل، وهو خطأ والصحيح انه تزوج بأم حبيب.

سنة آباؤهم من خير من يشرب صوب الغمام^(١).

لقد كانت البيعة للإمام الرضا من أهم ما تصبوا إليه الأمة الإسلامية، ومن أغلى أمانيتها، فهي تقترب بفارغ الصبر رجوع الحكم للإمام؛ ليقيم فيها العدل الخالص، وينشر الأمن والرخاء في ربوعها، وينقذها من جور العباسيين وظلمهم.

٢ - مصر:

وكتب المأمون إلى عامله على مصر (السري) يأمره بأخذ البيعة من المصريين لولي عهده الإمام الرضا، وقد ورد الكتاب على (السري) في شهر محرم سنة (٢٠٢ هـ) وقام (السري) بأخذ البيعة إلى الإمام عليه السلام، إلا أن إبراهيم بن المهدي شيخ المعتنّين ببغداد قام في إفساد هذه البيعة فقد كتب إلى وجوه الجند وقادتهم بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولي عهده، وبالوثوب على (السري)، وقد استجاب له جماعة منهم الحارث بن زرة بن محزم بالفسطاط، و عبد العزيز الوزير الجروي بأسفل الأرض، وسلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي بالصعيد، وسليمان بن غالب بن جبريل، و عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الجبار الأزدي فناهضوا (السري)، ودعوا الناس إلى بيعة إبراهيم وجعلوا الوالي على مصر عبد العزيز الأزدي، فحاربهم (السري)، وظفر بعبد العزيز، وجمع من أهل بيته فقتل بعضهم، وبعث ببعضهم مع ابنه عبد العزيز إلى المأمون فقتلهم، وهرب الباقون إلى الحروري وذلك لمنعته^(٢) وأخذت بذلك الثورة، وبايع الناس إلى الإمام.

٣ - مكة:

ووجه المأمون إلى مكة المكرمة عيسى الجلودي ليأخذ البيعة من أهلها للإمام، وكان في مكة مقيماً إبراهيم أخو الإمام الرضا عليه السلام، ودعا عيسى المكيين إلى بيعة الإمام (ع الله السلام) والى لبس اللباس الأخضر، فاستجابوا له فرحين شاكرين، داعين للمأمون على تحقيق أمنيته، وأملهم في هذه البيعة^(٣).

٤ - الكوفة:

وتلقت الأكثرية الساحقة في الكوفة بمزيد من الفرح والسرور نبأ البيعة للإمام،

(١) العقد الفريد ٢٢٦/٥.

(٢) الولاة وكتاب القضاء (ص ١٦٨).

(٣) تاريخ يعقوبي ٢٧٧/٣.

وقد عهد المأمون لأخذ البيعة من الكوفيين العباس نجل الإمام موسى عليه السلام، وأمده إبراهيم بن عبد الحميد بمائة ألف درهم، وقال له: قاتل عن أخيك فإن أهل الكوفة يجيبونك إلى ذلك، وأنا معك، وقام العباس بهذه المهمة فاستجاب له جمهور كبير منهم، وقال له قوم: إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجة لنا في دعوتك، وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبنك، فقال لهم العباس: أنا أدعو إلى المأمون أولاً، ثم من بعده لأخي الرضا.

وامتنع هؤلاء من البيعة للإمام، وأخذوا ينددون بمن بايع، ويدعونهم إلى نكث البيعة، ولمّا علم إبراهيم بن المهدي تحاذل أهل الكوفة أو عزز إلى جيشه المقيم في النيل بقيادة سعيد، وأبي البيط، لإخضاع الكوفة، والقضاء على التمرد، وسرت جيوش إبراهيم حتى انتهت إلى (القنطرة) قرب (دير الأعور) فاعترضتهم قوة عسكرية بقيادة العلوية علي بن محمد بن جعفر، وأبي عبد الله شقيق الزعيم الكبير أبي السرايا فالتحمت معها، وأخيراً انتصرت جيوش إبراهيم بن مهدي.

وزحفت جيوش إبراهيم نحو (الكوفة)، وقد ارتدت اللباس الأسود، وكان شعارها (يا منصور لا طاعة للمأمون) وجبن أهل الكوفة من مناجزتهم فأرسلوا وفداً لطلب الأمان للعباس وجماعته من القائد العام لجيش إبراهيم فأجابهم إلى ذلك، وشرط عليهم أن يخرج العباس وأصحابه من الكوفة، وأقبل الوفد إلى العباس، وهو لا يعلم بذلك فقالوا له: إنّ عامة من معك غوغاء، وقد ترى ما يلقي الناس من الحرب والنهب والقتل فاخرج من بين أظهرنا لا حاجة لنا فيك ^(١).

وخرج العباس من الكوفة وقد انطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير، واستبان له أنّ أهل الكوفة لا ذمة لهم، ولا وفاء لهم بعهد وواعد ودخلت جيوش إبراهيم الكوفة، ولم تحدث أية مصادمات بينها وبين الجماعة التي بايعت الإمام بولاية العهد.

هذه بعض المناطق التي أخذت فيها البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد.

(١) تاريخ الطبري.

ناقدون للإمام:

ووجه جماعة من الشيعة وغيرهم نقداً للإمام الرضا عليه السلام على قبوله لولاية العهد من قبل المأمون العباسي كان منهم:

١ - محمد بن عرفة:

واقبل محمد بن عرفة نحو الإمام، وقال له: (يا بن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟). فأجابه الإمام:

(ما حمل جدّي أمير المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى) ^(١)

لقد أرغم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى التي عقدها عمر بن الخطاب لانتخاب الخليفة من بعده، وقد أعلن الإمام عن أساه

وحزنه لانضمامه مع أعضاء الشورى، قائلاً: (فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر) وكما أرغم جده وأكره على الدخول في الشورى فكذلك أرغم هو على قبول ولاية العهد.

٢ - رجل:

وأنكر عليه رجل تقلده لولاية العهد قائلاً له:

(كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟).

فقال عليه السلام له:

- أيهما أفضل النبي أو الوصي؟

- النبي.

- أيهما أفضل المسلم أو المشرك؟

- لا بل المسلم.

- إنّ العزيز (عزيز مصر) كان مشركاً، وكان يوسف نبياً، وإنّ المأمون مسلم، وأنا وصي، ويوسف

سأل العزيز أن يوليّه حين قال له: اجعلني على خزانن الأرض، وأنا أجبرت على ذلك ^(٢).

(١) وسائل الشيعة ١٢ / ١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة ١٢ / ١٤٦.

٣ - الريّان بن الصلت:

ودخل الريان بن الصلت على الإمام الرضا عليه السلام فقال له: (يا بن رسول الله إنّ الناس يقولون: إنّك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟) فأجابه الإمام:

(قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خيّر بين قبول ذلك، وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويجهّم إنّ يوسف كان نبياً رسولاً، فلمّا دفعته الضرورة إلى تولّي خزائن العزيز، قال له: اجعلني على خزائن الأرض إنّني حفيظ عليم، ودفعني الضرورة إلى قبول ذلك، على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أيّ ما دخلت في هذا الأمر إلاّ دخول خارج منه، فيلّي الله المشتكى، وهو المستعان) ^(١). وأعرب الإمام عن كراهته البالغة وبغضه الشديد لهذا المنصب إلاّ أنّه أرغم وأجبر على ذلك.

٤ - خارجي:

وأقبل خارجي يشتد نحو الإمام فقال له: أخبرني عن دخولك لهذا الطاغية فيما دخلت فيه، وهم عندك كفّار، وأنت ابن رسول الله (ص)، فما حملك على هذا؟ فقال عليه السلام:

وهؤلاء أكفر عندك أم عزيز مصر وأهل مملكته؟ أليس هؤلاء على حال يزعمون أنّهم موحدون، وأولئك لم يوحدوا الله ولم يعرفوه، ويوسف بن يعقوب نبي ابن نبي، فسأل العزيز وهو كافر فقال: (اجعلني على خزائن الأرض إنّني حفيظ عليم) وكان يجلس مجلس الفراعنة، وأنا أنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أجبرني على هذا الأمر، وأكرهني عليه، ما الذي أنكرت، ونقمت عليّ وراح الخارجي يقول: (أشهد أنّك ابن رسول الله، وانك صادق) ^(٢).

وأعرب الإمام عليه السلام في أحاديثه مع الناقدين له عن إرغامه على قبول ولاية العهد، فقد خيّر بينها وبين القتل فاختار ولاية العهد لإنقاذ نفسه من الهلاك الذي لا يعود بأية فائدة على القضية الإسلامية.

(١) وسائل الشيعة ١٢ / ١٤٧.

(٢) وسائل الشيعة ١٢ / ١٤٩ - ١٥٠.

الناقمون على المأمون:

ونقمت القوى المعادية لأهل البيت عليه السلام على المأمون لعقده بولاية العهد للإمام الرضا، واعتبروا ذلك تحويلاً للخلافة عن الأسرة العباسية التي ينعمون في ظلها.

وكان من أشد الناقمين على المأمون الأسرة العباسية، فقد اعتبرت ذلك خطراً على مملكتهم، وقد قامت قيامتهم، وورمت أنوفهم، وقاموا بما يلي من الإجراءات:

خلع المأمون:

وخلع العباسيون بيعة المأمون، واعتبروها لاغية، وأعلنوا أمام الجماهير عصيانهم للمأمون، وطلبوا من المواطنين رفض بيعته، وبيعة ولي عهده، فاستجاب لهم خلق كثير، وبذلك فلم تعد بيعة للمأمون في أعناقهم.

البيعة لإبراهيم بن شكلة:

وعمد العباسيون إلى بيعة عميدهم إبراهيم بن شكلة ^(١) شيخ المغنّين، والموسيقين في بغداد، ودعي له بالخلافة، وسمّي بالمرضي ^(٢) وكانت خلافته موضع استهزاء وسخرية من قبل الأوساط الواعية والمفكرة؛

وذلك لاستهتاره، وتحلّله من جميع القيم والأعراف وفيه يقول الشاعر الاجتماعي الشاعر دعبل الخزاعي:

نصر ابن شكلة بالعراق وأهله فهفا إليه كل أطلس مائق ^(٣)
إن كان إبراهيم مضطجعاً بما فلتصلحن من بعده لمخارق
ولتصلحن من بعد ذلك لزلزل ولتصلحن من بعده للمارق
أني يكون وليس ذلك بكائن يرث الخلافة فاسقاً عن فاسق ^(٤)

لقد سخر دعبل من الخلافة التي تولّاها هذا المائق المتحلّل، وإذا صلحت له فلتصلح من بعده لأقرانه المغنّين أمثال: زلزل ومخارق، ومن سخرية الأقدار أن تؤول الخلافة الإسلامية لإبراهيم، ويتولّى شؤون المسلمين وكان إبراهيم - فيما يقول

(١) شكلة: أم إبراهيم وكانت جارية سوداء، وكان إبراهيم شديد عظيم الجثة حتى قيل له التنين، وفيات الأعيان ١ / ٢٠٠.

(٢) تأريخ يعقوبي.

(٣) نعر: صاح، والأطلس: الذئب، والمائق: المغيظ الباكي.

(٤) وفيات الأعيان ١ / ٢١، تأريخ بغداد لطيفور (ص ١٦٠).

المؤرخون - من أعدى الناس لآل علي عليه السلام، وحينما علم بعقد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ورم أنفه وانتفخت أوداجه غيظاً وغضباً وأثر عنه من الشعر في ذلك هذه الأبيات:

فلا جزيت بنو العباس خيراً على زعمي ولا اغتبطت بري
أتووني مهطعين وقد أتاهم بوار الدهر بالخير الجلي
وحلّ عصاب الأملاك منها وشدّت في رؤوس بني علي
فضجّت أن تشد على رؤوس تطالها بمسيرات النبي ^(١)

وفي عهده أصيبت الخزينة المركزية بالعجز، واجتمع الأجناد على بلاطه مطالبين بأرزاقهم، فخرج إليهم رسوله، وقال لهم: إنّه لا مال عنده، وطلب أحد الظرفاء، فقال: بدلاً من المال فليخرج الخليفة فيغتي لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، ولأهل ذلك الجانب ثلاثة أصوات ^(٢).

ونظم دعبل هذه الصورة المضحكة بقوله:

يا معشر الأجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية يلتذّها الأُمرد والأشمط ^(٣)
والمعبديات لقسوا دكم لا تدخل الكيس ولا تربط ^(٤)
وهكذا يرزق قسواده خليفة مصحفه البربط ^(٥)
قد ختم الصك بأرزاقكم وصحّح العزم فلا تسخطوا
بيعة إبراهيم مشؤومة يقتل فيها الخلق أو يقحطوا ^(٦)

رسالة المأمون للعباسيين:

وتبدلت رسائل السب والقذف بين المأمون وأعمامه وأقربائه العباسيين، وكان من بينها هذه الرسالة التي بعثها المأمون للعباسيين ^(٧)، وهذا نصّها بعد البسمة:

(١) الولاة وكتاب القضاة (ص ١٦٨).

(٢) الأُمرد: الذي لا لحيّة له، الأشمط: الذي له لحيّة.

(٣) المعبديات: أصوات من الغناء تنسب إلى معبد المغني.

(٤) البربط: الطبل.

(٥) عصر المأمون ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦

(٦) وهي جواب عن رسائلهم التي بعثوها للمأمون، وطلبوا منه الإجابة عليها فأجابهم بهذه الرسالة التي جرّدهم من كل محتوى نبيل وشريف.

(الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد على رغم أنف الراغمين، أما بعد:
عرف المأمون كتابكم، وتدبير أمركم، ومخض زبدتكم، وأشرف على قلوب صغيركم وكبيركم، وعرفكم
مقبلين ومدبرين، وما آل إليه كتابكم قبل كتابكم في مروضة الباطل، وصرف وجوه الحق عن مواضعها،
ونبذكم كتاب الله والآثار، وكلما جاءكم به الصادق محمد صلى الله عليه وآله، حتى كأنتكم من الأمم السالفة، التي
هلكت بالحسفة والغرق، والريح والصيحة والصواعق والرجم.

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ والذي هو أقرب إلى المأمون من جبل الوريد، لولا أن يقول
قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزاً لما أجبتمكم، من سوء أخلاقكم، وقلة أخطاركم وركاكة عقولكم، ومن
سخافة ما تأوون إليه من آرائكم، فليستمع مستمع، فليبلغ شاهد غائباً...).

وحفل هذا المقطع من كلام المأمون بما يلي:

١ - إنه ابتداء رسالته بالصلاة على النبي، ثم عطف عليه آله فصلى عليهم وعقب ذلك بقوله: (على
رغم الراغمين) وعنى الراغمين بني العباس الذين جهدوا على محو ذكر آل النبي (ص)، وإزالة أرصدتهم
الروحية والفكرية من دنيا الإسلام.

٢ - إن المأمون مطلع على خفايا نفوس العباسيين، وعالم بدخائل قلوبهم، عرفهم مقبلين ومدبرين،
عرفهم مندفعين نحو الباطل نابذين للحق، تاركين لكتاب الله، وما جاء به الرسول الأعظم (ص).

٣ - إنه إنما أجابهم عن رسائلهم لا عناية بهم، وإنما كي لا يقال إنه عاجز عن الجواب... ولنعد لنقرأ

الفصل الثاني من رسالة المأمون.

(أما بعد: فإن الله تعالى بعث محمداً (ص) على فترة من الرسل، وقريش في أنفسها وأمواها، لا يرون
أحداً يساميه، ولا يباريه، فكان نبينا (ص) أميناً من أوسطهم بيتاً، وأقلهم مالا فكان أول من آمن به
خديجة بنت خويلد، فواسته بماها، ثم آمن به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو ابن سبع سنين، لم
يشرك بالله شيئاً طرفة عين، ولم يعبد وثناً، ولم يأكل ربا، ولم يشاكل الجاهلية في جهالاتهم، وكانت عمومة
رسول الله إنما مسلم مهين أو كافر معاند، إلا حمزة فإنه لم يمتنع من الإسلام،

ولا يمتنع الإسلام منه، فمضى لسبيله على بينة من ربه.

وأما أبو طالب فإنه كفله ورباه، ولم يزل مدافعاً عنه، ومانعاً منه، فلما قبض الله أبا طالب فهم القوم، واجتمعوا عليه ليقتلوه فهاجر إلى القوم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون...).

عرض هذا المقطع إلى بعثة الرسول الأعظم (ص) في مجتمع متكبر يرى أنه لا يدانيه، ولا يساويه أحد، وفي فجر الدعوة المشرقة ما آمن به إلا أم المؤمنين السيدة خديجة، وقد رصدت لدعوته جميع أموالها، ومن بعدها آمن به الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، وكان عمره الشريف سبع سنين، ولم يسجد لصنم ولم يعبد وثناً، وإنما عبد الله تعالى عن إيمان وإخلاص.

أما أعمام النبي (ص) فكان فيهم المشرك والحاقد والضال، وهو أبو لهب.

وكان فيهم بطل الإسلام أسد الله الشهيد حمزة الذي أعز الله به الإسلام، وناصح عن الرسول بكل بسالة حتى استشهد.

وخيرة أعمام النبي (ص) هو أبو طالب الذي آمن بالإسلام واعتنق أهدافه ومبادئه، ووقف إلى جانب الرسول (ص) يحميه، ويدفع عنه كيد المعتدين، ولما انتقل هذا العملاق العظيم إلى حظيرة القدس، فقد النبي (ص) المحامي والمدافع عنه، وهمت قريش بقتله فخرج (ص) مهاجراً إلى (يثرب) فاتخذها مقراً لدعوته، وعاصمة لحكومته، فقد وجد فيها الصفوة الصادقة المتفانية في الذب عنه، ولنعد إلى فصل آخر من فصول هذه الرسالة:

(ولم يقم مع رسول الله ﷺ أحد من المهاجرين كقيام علي بن أبي طالب، فإنه آزره، ووقاه بنفسه، ونام في مضجعه، ثم لم يزل بعد مستمسكاً بأطراف الثغور، وينازل الأبطال، ولا ينكل عن قرن، ولا يولي عن جيش، منيع القلب يؤمر على الجميع، ولا يؤمر عليه أحد، أشد الناس وطأة على المشركين، وأعظمهم جهادا في الله، وأفقههم في دين الله، وأقرأهم لكتاب الله وأعرفهم بالحلال والحرام.

وهو صاحب الولاية في حديث (غدِير خُم) وصاحب قوله (ص): (أنت مَنِّي)

بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي) وصاحب يوم الطائف، وكان أحب الخلق إلى الله تعالى وإلى رسول الله (ص)، وصاحب الباب فتح له، وسد أبواب المسجد وهو صاحب الراية يوم خيبر، وصاحب عمرو بن عبد ود في المبارزة، وأخو رسول الله (ص) حين آخى بين المسلمين.

وهو منيع جزيل، وهو صاحب آية (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً) وهو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وهو ختن خديجة، وهو ابن عم رسول الله (ص) ربه وكفله، وهو ابن أبي طالب في نصرته وجهاده، وهو نفس رسول الله (ص) في يوم المباهلة.

وهو الذي لم يكن أبو بكر وعمر يتقلدان أمراً حتى يسألانه عنه، فما رأى أنفذه، ولم يره رده، وهو دخل من بني هاشم في الشورى، ولعمري لو قدر أصحابه على دفعه عنه، كما دفع العباس رضوان الله عليه، ووجدوا إلى ذلك سبيلاً لدفعوه.

فأما تقديمكم العباس عليه، فإن الله تعالى يقول: (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ).

والله لو كان ما في أمير المؤمنين من المناقب والفضائل والآي المفسرة في القرآن حلة واحدة في رجل من رجالكم أو غيره؛ لكان مستأهلاً للخلافة، مقدماً على أصحاب رسول الله (ص) بتلك الحلة، ثم لم تنزل الأمور تترقى به إلى أن ولي أمور المسلمين فلم يعن بأحد من بني هاشم إلا بعبد الله بن عباس، تعظيماً لحقه، ووصلة لرحمه، وثقة به فكان من أمره الذي يغفر الله له...).

وعرض هذا المقطع إلى بعض فضائل الإمام أبي الحسين رائد الحكمة والعلم في دنيا الإسلام، والتي منها دفاعه عن النبي ﷺ فقد آزره، ووقاه بنفسه ومهجته، وبات على فراشه حينما احتتم قريش على قتله ﷺ، وقد نازل الأبطال، فحصد رؤوسهم دفاعاً عن الإسلام، فكان من أشد الناس وطأة على الكافرين والملحددين، فما أعظم عائدته على الإسلام!

ومن فضائله أنه كان أعلم المسلمين، وأفقههم، وأكثرهم إحاطة ودراية بأحكام الدين، وشرعية سيد المرسلين وقد عقد النبي (ص) له الولاية، وجعله خليفة من بعده في (غدِير خُم) وقال مقاتله الذائعة: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ)

اللهم من والاه، وعاد من عاداه)، وأشاد النبي (ص) به مرّة أخرى فقال له: (أنت مّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي).

وكان من سمّو منزلته، وعظيم شأنه عند النبي (ص) أنّه أمر بسد جميع الأبواب التي كانت على جامعته الأعظم، ولم يستثن منها إلا باب عليّ فإنّها ظلّت مفتوحة، لم تغلق، ومن مناقبه أنّه صاحب الراية (يوم خيبر)، فهو الذي فتح حصون (خيبر) وقضى على اليهود، وهو صاحب عمرو بن عبد ود الذي جبن المسلمون عن منازلته، فلم يبرز إليه سوى بطل الإسلام وحاميه الإمام عليّ عليه السلام.

ومن مناقب الإمام أمير المؤمنين أنّ النبي (ص) لمّا آخى بين المسلمين، فبقي عليّ وحده فأخاه النبي (ص) وقال له: يا عليّ أنت أخي في الدنيا والآخرة.

ومن مناقبه وفضائله أنّه نزلت فيه وفي ولديه وزوجته سيدة نساء العالمين الآية الكريمة (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً).

ومن مناقبه أنّ النبي ﷺ زوجته بسيدة نساء المسلمين وبضعته فاطمة الزهراء عليها السلام فلم يكن لها كفوء سواه.

ومن عظيم مناقبه أنّه نفس النبي (ص) كما دلّت على ذلك بوضوح آية المباهلة، فكان سلام الله عليه بمواهبه وعبقرياته امتداداً ذاتياً لشخصية الرسول الكريم التي ملأت الآفاق نوراً.

ونظراً لسموّ ذاته، وعظيم مكانته كان أبو بكر وعمر لا ينفذان أمراً حتى يأخذوا رأيه فيه، ومن الطبيعي أنّ ذلك الأمر ممّا يتعلّق بأحكام الدين.

وفي هذا المقطع أنّه لو وجدت بعض فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رجل من المسلمين لكان أهلاً ليتقلّد الخلافة والإمرة على المسلمين، هذا بعض ما قاله المأمون في هذا المقطع، ولنستمع إلى فصل آخر من هذه الرسالة يقول:

(ثم نحن وهم يد واحدة - كما زعمتم - حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، وضيقنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بني أمية إيّاهم، ويحكم إنّ بني أمية إنّما قتلوا من سلّ منهم سيفاً، وإنّا معشر بني العباس قتلناهم جملاً فلتسألن أعظم الهاشمية، بأيّ ذنبٍ قتلت، ولتسألن نفوساً ألقيت في دجلة والفرات، ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء، هيهات، إنّّه من عمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال

ذرة شراً يره).

عرض هذا المقطع إلى بعض ما جرى على آل النبي (ص) من المآسي من حكام بني العباس، فقد جهدوا على ظلمهم، وتصفييتهم جسدياً، يقول المنصور الدوانيقي للإمام الصادق عليه السلام: (لأقتلتك، ولأقتلن أهلك، حتى لا أبقى منكم قامة سوط)^(١).

وقال المنصور: (قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون، وتركت سيدهم ومولاهم جعفر بن محمد...)^(٢).

وقال إسماعيل الديباج عندما هرب من المنصور:

لم يروه ما أراق البغي من دمنا في كل أرض فلم يقصر من الطلب
وليس يشفي غليلاً في حشاه سوى أن لا يرى فوقها ابناً لبنت نبي^(٣)
وقد عرض المأمون إلى ألوان رهيبة مما صبه العباسيون على السادة العلويين من المآسي، والتي منها:
أ - إبادة العلويين جملاً.

ب - إلقاءهم وهم أحياء في حوض دجلة والفرات حتى ماتوا غرقاً.

ج - دفنهم وهم أحياء في بغداد والكوفة.

إلى غير ذلك من صنوف الإرهاق والتنكيل الذي عاناه أبناء النبي صلى الله عليه وآله من العباسيين... ولنستمع إلى فصل آخر من هذه الرسالة:

(وأما ما وصفتم في أمر المخلوع، وما كان فيه من لبس، فلعمري ما لبس عليه أحد غيركم، إذ هونتم عليه النكث، وزينتم له الغدر، وقتلتم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيك، وهو رجل مغرب، ومعك الأموال والرجال، نبعث إليه فيؤتى به، فكذبتم ودبرتم، ونسيتم قول الله تعالى: **ثُمَّ بُرِّحَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ**) وأعرّب المأمون - في هذا المقطع - عن الأحداث التي جرت بينه وبين أخيه الأمين، وإثما

(١) المناقب ٣ / ٣٥٧، البحار ٤٧ / ١٧٨.

(٢) الأدب في ظل التشيع (ص ٦٨).

(٣) النزاع والتخاصم للمقريزي (ص ٥١).

تستند إلى العباسيين فهم الذين حَبَّبوا إليه خلع المأمون والنكاية به، ولم يكن ما وقع عن رأي الأمين وتدييره، وهذا فصل آخر من هذه الرسالة:

(وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره، عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً، ولا أظهر عقّة، ولا أروع ورعاً، ولا أزهّد زهداً في الدنيا، ولا أطلق نفساً، ولا أرضى في الخاصة والعامة، ولا أشد في ذات الله منه، وأنّ البيعة له لموافقة رضى الربّ عزّ وجل، ولقد جهدت وما أجد في الله لومة لائم.

ولعمري لو كانت بيعتي محاباة لكان العباس ابني وسائر ولدي أحبّ إلى قلبي، وأحلى في عيني، ولكن أردت أمراً، وأراد الله أمراً، فلم يسبق أمري أمر الله).

وحكى هذا المقطع بيعته للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد، وأنّها لم تكن محاباة، أو اندفاعاً وراء العواطف والأهواء، وإنّما كانت عن اجتهاد وتبصّر، وتدبّر في أمور المسلمين؛ وذلك لما يتمتّع به الإمام العظيم من الصفات الرفيعة، والتي منها:

أ - إنّ الإمام أفضل إنسان على وجه الأرض.

ب - إنّ الإمام أعفّ إنسان.

ج - الورع عن محارم الله.

د - إجماع المسلمين على تعظيمه، وتقديمه بالفضل على غيره.

هـ - إنّ الله عليه السلام لا تأخذه في الله لومة لائم.

وهذه الصفات هي التي دفعت المأمون إلى البيعة للإمام بولاية العهد، ولنستمع إلى فصل آخر من هذه الرسالة يقول:

(وأما ما ذكرتم ممّا مسّكم من الجفاء في ولايتي فلعمري ما كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم علي، ومما يلتكم إياه، فلما قتلته، وتفترقتم عباديد فطوراً أتباعاً لابن أبي خالد، وطوراً أتباعاً لأعرابي، وطوراً أتباعاً لابن شكلة، ثم لكل من سلّ سيفاً عليّ، ولولا أنّ شيمتي العفو، وطبيعتي التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحداً، فكلكم حلال الدم محل بنفسه).

وأعرب المأمون عن الجفاء والحرمان الذي لحق بالعباسيين في عهده، فإنّهم هم السبب في ذلك، فقد أيّدوا الأمين وناصروه، ولما قُتل انضموا إلى كل من أعلن

التمرد على حكومته أمثال: إبراهيم بن شكلة، وغيره؛ وبذلك فقد ملأوا قلب المأمون حقداً عليهم، ولولا أنّ طبيعته التجاوز - كما يقول - لما أبقى عباسياً على وجه الأرض، وهذا فصل آخر من رسالته يقول:

(وأما ما سألتكم من البيعة للعباس ابني... أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ ويلكم إنّ العباس غلام حدث السن، ولم يؤنس رشده، ولم يمهل وحده، ولم تحكمه التجارب، تدبّره النساء، وتكلفه الإماء، ثم لم يتفقه في الدين، ولم يعرف حالاً من حرام إلا معرفة لا تأتي به رعية، ولا تقوم به حجة، ولو كان مستأهلاً قد أحكمته التجارب، وتفقه في الدين، وبلغ مبلغ أمير العدل في الزهد في الدنيا، وصرف النفس عنها ما كان له عندي إلا ما كان لرجل من عك وحمير، فلا تكثرنا من هذا المقال فإنّ لساني لم يزل مخزوناً عن أمور وأنباء كراهية أن تخنث النفوس عندما تنكشف، علماً بأنّ الله بالغ أمره، ومظهر قضاة يوماً).

فإذا أبيت إلا كشف الغطاء، وقشر العطاء، فالرشيد أخبرني عن آبائه، عمّا وجده في كتاب الدولة وغيرها، أنّ السابع من ولد العباس، لا يقوم لبني العباس بعده قائمة، ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودعها، إذا فقدتم شخصي فاطلبوا لأنفسكم معقلاً، وهيهات مالكم إلاّ السيف، يأتيكم الحسني الثائر البائر، فيحصدكم حصداً، أو السفياي المرغم، والقائم المهدي لا يحقن دماءكم إلاّ بحقّها...).

وحفل هذا المقطع بذكر الأسباب التي دعت المأمون إلى عدم ترشيح ولده العباس لولاية العهد، فإنّه لم يستجمع الشرائط التي ينبغي توفّرها في ولي العهد من العلم والفضل والتقوى وغيرها، فقد كان العباس غلاماً لم تهدّبه الأيام، ولم تصقله التجارب، ولم يقيم على تكوينه علم أو ثقافة، وإنّما كان صبيّاً تدير أموره النسوان، وتدبّر شؤونه الأمهات، فكيف يصح أن يرشّحه لهذا المنصب الخطير؟

وأضاف المأمون بعد هذا إلى أنّ الرشيد أخبره عمّا وجده في كتاب الدولة من أنّ نهاية الدولة العباسية تكون بعد الملك السابع من بني العباس، وبعده لا تقوم للعباسيين قائمة.

وقد أخطأ الرشيد فقد استمرت الدولة العباسية بعد السابع من ملوكهم، وكانت نهايتها على يد هولاء التتار، فقد حصد رؤوس العباسيين، وأزال ملكهم

وسلطانهم... ولنستمع إلى فصل آخر من هذه الرسالة يقول:

(وأما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى بعد استحقاق لها في نفسه، واختيار مّي له، فما كان ذلك مّي إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودّة بيننا وبينهم، وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب، ومواساتهم في الفيء بيسير ما يصيبهم منه...).

وأعرب المأمون أنّ بيعته للإمام الرضا عليه السلام كانت من أجل صالح العباسيين، ففي هذه البيعة قد حقن دماءهم، ولعلّ سبب ذلك هو انفجار البلاد

بثورات متصلة تنادي للرضا من آل محمد (ص) ليقوم في ربوع الوطن العدل السياسي والعدل الاجتماعي، وحينما جاء بالإمام الرضا ونصبه ولي عهده خمدت تلك الثورات، ولو استمرت لقصت على الحكم العباسي، وقضت على العباسيين...

ونعود لفصل آخر من هذه الرسالة يقول:

(وإن تزعموا أنّي أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة فإنّي في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم، وأبنائكم من بعدكم وأنتم ساهون، لاهون، تائهون، في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم، وما أظلمتم عليه من النعمة، وابتزاز النعمة، همّة أحلكم أن يمسي مركوباً، ويصبح مخموراً، تباهون بالمعاصي، وتبتهجون بها، وأهتكم البرابط، مختشون مأفونون، لا يتفكّر متفكّر منكم في إصلاح معيشة، ولا استدامه نعمة، ولا اصطناع مكرمة، ولا كسب حسنة يمد بها عنقه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم. أضعتم الصلاة، واتبعتم الشهوات، وأكبيتم على اللذات فسوف تلقون غيًّا، وأيم الله لربّما أفكر في أمركم فلا أجد أمة من الأمم استحقوا العذاب حتى نزل بهم لخلّة من الخلال إلاّ أصبت تلك الخلّة بعينها فيكم، مع خلال كثيرة لم أكن أظن أنّ إبليس اهتدى إليها، ولا أمر بالعمل بها، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن قوم صالح أنّه كان فيهم تسعة رهط يفسدون في الأرض، وقد اتخذتهم شعاراً ودياراً، استخفافاً بالمعاد وقلة يقين بالحساب، وأيّكم له رأي يتبع أو روية تنفع فشاهات الوجوه، وعفرت الحدود...).

لقد وصف المأمون أسرته بأقبح الصفات التي لا يتصف بها إلاّ أراذل البشر، وشذاذ الآفاق، لقد صوّروهم بصورة تشمئز منها النفوس، ويرتفع عنها أقل الناس

إحساساً...

ولنستمع إلى فصل آخر من رسالته يقول:

(وأما ما ذكرتم من العثرة كانت في أبي الحسن نور الله وجهه، فلعمري إنّها عندي للنهضة والاستقلال الذي أرجو به قطع الصراط، والأمن والنجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر، ولا أظن عملاً هو عندي أفضل من ذلك إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، وأين لي بذلك وأين لكم بتلك السعادة...).
لقد رد المأمون على أسرته التي عابت عليه عقده بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وأنه قد عثر بذلك عثرة لا تغفر، فأجابهم أنه قد خطا بذلك خطوة كبرى لنهضة الأمة واستقلالها، فقد رشّح لزعامتها أفضل إنسان على وجه الأرض يقيم الحق، وينشر العدل، ويعيد للإسلام كرامته...

وهذا فصل آخر من هذه الرسالة يقول:

(وأما قولكم: إنّي سفهت آراء آبائكم، وأحلام أسلافكم، فكذلك قال مشركو قريش: **(إِنَّا وَجَدْنَا**
أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) ويلكم إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء، فافقهوا، وما أراكم
تعقلون).

وردّ المأمون بهذا الكلام على ما زعمته أسرته من أنه سفه آراء آبائه، وأفسد أحلام أسلافه، وذلك بيرة وإحسانه إلى آل النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ هذا المنطق الهزيل قد تمسك به المشركون من قبل حينما دعاهم الرسول الأعظم إلى كلمة التوحيد فرفضوا ذلك فقالوا: (انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)...

ولنستمع إلى الفصل الأخير من هذه الرسالة يقول:

(وأما تعييركم إياي: بسياسة المجوس، وإيّاكم فما أذهبكم (الأنفة) في ذلك، ولو ساستكم القردة والخنازير، وما أردتم إلا أمير المؤمنين، ولعمري لقد كانوا مجوساً فأسلموا كآبائنا وأمهاتنا في القديم، فهم المجوس الذين أسلموا، وأنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسي أسلم خير من مسلم ارتد فهم يتناهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف، ويتقربون من الخير، ويتباعدون من الشر، ويذبون عن حرم المسلمين، يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر، ويتباشرون بما نال الإسلام وأهله من الخير... منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله، إمّا مغن، أو ضارب دف، أو زامر، والله لو أنّ بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا فقيلاً لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودفثاراً، وصناعة وأخلاقاً.

ليس منكم إلا من إذا مسّه الشر جزع، وإذا مسّه الخير منع، ولا تأنفون، ولا ترجون إلا خشية، وكيف يأنف من يبيت مركوباً، ويصبح بإثمه معجباً، كأته قد اكتسب حمداً، غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته يقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرّب، أحب الناس من زين له معصية، أو أعانه في فاحشة، تنظفه المخمورة، وتربده المظمورة، مشتت الأحوال، فإن ارتدعتم ممّا أنتم فيه من السيئات والفضائح، وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم وإلا فدونكم تعلق بالحديد، ولا قوّة إلا بالله، وعليه توكلني وهو حسبي...^(١).

وانتهت هذه الرسالة، وقد أدلى المأمون في أواخرها بعيوب أسرته وفضائحها، ولا أعلم أنّ أسرة عربية قد وصمت بمثل الفضائح التي ذكرها المأمون، والتي انتهت بهذه الأسرة إلى مستوى سحيق ماله من قرار.

(١) البحار ٤٩ / ٢٠٨ - ٢١٤ الطبعة الحديثة، حياة الإمام الرضا (ص ٤٥٣ - ٤٦٠) وقد نقلناها منه.

شؤون الإمام في (خراسان)

ولا بد لنا من وقفة قصيرة للحديث عن بعض شؤون الإمام الرضا عليه السلام حينما كان مقيماً في (خراسان)، وفيما يلي ذلك:

وفادة الشعراء على الإمام:

وبادرت كوكبة من أعلام الشعر العربي في ذلك العصر نحو الإمام الرضا عليه السلام تقدّم له تهانيها، وتبريكاتها لتوليّه ولاية العهد، كان منهم: الشاعر الكبير دعبل الخزاعي، الثائر على الظلم والجور، والمعبر عن آلام المظلومين والمضطهدين، ومنهم: الشاعر الملهم إبراهيم بن العباس الصولي نابغة عصره في الأدب نظماً ونثراً^(١)، ومنهم: الأديب الكبير الشاعر رزين بن علي شقيق دعبل الخزاعي.

وقبل سفرهم إلى (خراسان) قال دعبل لإبراهيم:

إني أريد أن أصحبك إلى خراسان؟ فقال له إبراهيم:

(حبذا أنت صاحباً ومصحوباً، إن كنّا على شريطة بشار...).

(١) عرضنا لترجمته في البحث عن أصحاب الإمام ورواة حديثه.

وبادر دعبل قائلاً:

(ما شريطته؟...).

قال قوله:

أخ خير من آخيت أحمل ثقله ويحمل عنيّ إذا حملته ثقلي
أخ إن نبا دهر بناكنت دونه وإن كان كون كان لي ثقة مثلي
أخ ماله لي لست أرهب بخله ومالي له لا يرهب الدهر من بخلي^(١)

وفي أثناء سفرهم قطع عليهم الطريق فاضطّروا إلى ركب حمير تحمل الشوك، فقال إبراهيم:
أعيدت بعد حمل الشوك أحمالاً من الخنزف نشاوى لا من الخمر بل من شدّة الضعف
وقال: لرزين أجز هذا، فقال:

فلو كنتم على هذا تصيرون إلى النصف تساوت حالكم فيه ولم تبقوا على الخصف
ثم قال لدعبل: أجز هذا يا أبا علي، فقال:
إذا فات الذي فات فكونوا من ذوي الظرف وخفوا نقصف اليوم فيأيّ بايع خفي^(٢)

وانتهت قافلة هؤلاء الأعلام تطوي البيداء لا تلوي على شيء حتى انتهت إلى خراسان، وفور
وصولهم، بادروا إلى مقابلة الإمام عليه السلام فأنشده دعبل تائيته الخالدة التي سنذكرها، وأنشده إبراهيم بن
العباس قصيدته التي لم يرو المؤرّخون منها إلاّ هذا البيت:

أزالت عناء القلب بعد التجلّدِ مصارع أولاد النبي محمّدِ
واحتفى بهم الإمام، وقابلهم بمزيد من الحفاوة والتكريم.

جائزة الإمام لدعبل:

ووهب الإمام إلى دعبل صرّة فيها عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه^(٣)، ولم تكن تلك
الدراهم قد وقعت في يد أحد قبل دعبل، فرفض دعبل

(١) تاريخ ابن عساكر ٥ / ٣٣١.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤١ - ١٤٢.

(٣) الأغاني ١٨ / ٢٩، معجم الأدباء ٤ / ١٩٤، وفي رجال الكشي (ص ٣١٤) أنّه أعطاه ست مائة دينار، وفي الإتحاف أنّه
أعطاه مائة دينار وهو بعيد عمّا عرف به الإمام من الكرم والسخاء.

أخذها، وقال: لا والله ما هذا أردت، ولا له خرجت، وإنما جئت للتشرف به، والنظر إلى وجهه، وطلب من خادم الإمام أن يهب الإمام له ثوباً من ثيابه، فأنفذ إليه الإمام بجبة خز^(١) مع الدراهم، وقال له: خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها.

وانصرف دعبل حتى انتهى إلى (قم)، وقد أذيع فيها حديث جبة الإمام عليه السلام فسارع القميون إلى دعبل، وسألوه أن يبيع إليهم الجبة بثلاثين ألف درهم^(٢) فأبى وسار عن (قم) فلحقه قوم من القميين، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال، وإلا فأنت أعلم، فقال لهم: إني والله لا أعطيكم إياها طوعاً، ولا تنفعكم غضباً، فإنها إنما تراد لله عز وجل، وهي محرمة عليكم، وحلف أن لا يبيعها إليهم إلا أن يعطوه بعضها لتكون في كفه فأعطوه كمّاً واحداً فكان في أكفانه^(٣)، ويقول الرواة:

إنّ جارية لدعبل كانت أثيرة عنده قد مرضت فعصبها دعبل بما عنده من جبة الإمام عليه السلام فبرأت^(٤). وأما الدراهم فقد باع دعبل كل درهم منها بعشرة دراهم إلى أهالي (قم) فبلغت حصته مائة ألف درهم^(٥).

جائزة إبراهيم من الإمام:

ومنح الإمام عليه السلام إبراهيم الصولي عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضرب عليها اسمه الشريف، ولم يبيعها إبراهيم وإنما بقيت عنده^(٦) فتصرف في بعضها، وبقي الآخر عنده حتى توفي.

القصيدة الخالدة لدعبل:

وتعد قصيدة دعبل التي ألقاها على الإمام الرضا عليه السلام من ذخائر

(١) مقدمة ديوان دعبل (ص ٥٢).

(٢) في رجال النجاشي (ص ١٩٧) وفي البحار ١٢ / ٧١ أنّ الإمام خلع عليه قميصاً أخضر، وحاتماً فصّه عقيق، وقال له: احتفظ بهذا القميص فقد صليت فيه ألف ليلة بألف ركعة، وختمت فيه القرآن ألف ختمة.

(٣) الأغاني ١٨ / ٢٩. معجم الأدباء ٤ / ١٩٤.

(٤) البحار ١٢ / ٧١.

(٥) أمالي المرتضى ١ / ٤٨٤.

(٦) أمالي المرتضى ١ / ٤٨٤.

الأدب العربي، ومن مناجم التراث الإسلامي، وهي من أشهر قصائد دعبل، وقد أثرت في نفس الإمام تأثيراً بالغاً، حتى بكى، وأغمى عليه ثلاث مرات^(١)؛ لأنه عرض فيها الفجائع القاسية التي حلت بأهل البيت عليهم السلام، وقد كتبها دعبل في ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون في أكفانه^(٢).

وقد انتشرت قصيدة دعبل انتشاراً هائلاً في ذلك العصر، وقد سمعها المأمون فأعجب بها، وطلب من دعبل أن يقرأها عليه، وقال له: لا بأس عليك ولك الأمان من كل شيء فيها، وقد رويتها إلا إني أحب أن أسمعها من فيك، فأنشدها والمأمون يبكي حتى اخضلت لحيته من دموعه^(٣).

ومن طريف ما ينقل عن هذه القصيدة الغزاء أنّ دعبل لمّا سار من (مرو) في قافلة قطع عليهم اللصوص الطريق، وأخذوا كل ما معهم، واتفق أنّ لصّاً كان ينهب ما عند دعبل وينشد بيتاً من قصيدته التي ألقاها على الإمام وهو:

أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات
فقال له دعبل: لمن هذا البيت؟ فقال له لرجل من خزاعة يقال له دعبل، فقال له: أنا دعبل، ثم أنشده القصيدة فذهل ونادى ببقية اللصوص أن يردوا على القافلة ما أخذوه منها تكريماً لشاعر أهل البيت فردّوه عليهم^(٤).

ونظراً لأهمية هذه القصيدة فقد انبرى جمع من الأعلام إلى شرحها، ومن بين هذه الشروح:

- ١ - شرح السيد نعمة الله الجزائري.
- ٢ - شرح كمال الدين محمد بن محمد الشيرازي.
- ٣ - شرح الحاج ميرزا علي التبريزي^(٥).

نصّ القصيدة:

ونقل المغفور له الفاضل عبد الصاحب الدجيلي نصّ القصيدة في ديوان دعبل

(١) الأغاني ١٨ / ٤٢.

(٢) معجم الأدباء ٤ / ١٩٤.

(٣) الأغاني ١٨ / ٤٢.

(٤) نور الأبصار (ص ١٤٧)، الإتحاف (ص ١٦٣) البحار ١٢ / ٧١، مقدمة ديوان دعبل (ص ٥٣).

(٥) الذريعة.

عن جمهرة من المصادر المخطوطة والمطبوعة ونحن نقلها عنه، وهذا نصها:

- ١ - تجاوين بالإرنان والزفرات = نوائح عجم اللفظ والنطقات
- ٢ - يخبرن بالأنفاس عن سرّ أنفسٍ = أسارى هوى ماضٍ وآخر آتٍ
- ٣ - فأسعدن أو أسعفن حتى تقوّضت = صنوف الدجى بالفجر منهزماتٍ
- ٤ - على العرصات الخاليات من المها = سلام شجّ صبّ على العرصات
- ٥ - فعهدني بها خضر المعاهد مألفاً = من العطرات البيض والخفريات
- ٦ - ليالي يعدّين الوصال على القلى = وبعد تدانينا على الغربات
- ٧ - وإذ هنّ يلحظن العيون سوافراً = ويسترن بالأيدي على الوجنات
- ٨ - وإذ كل يوم لي بلحظي نشوة = يبيت لها قلبي على نشوات
- ٩ - فكم حسراتٍ هاجها بمحسر = وقوفي يوم الجمع من عرفات^(١)
- ١٠ - ألم تر للأيام ما جرّ جورها = على الناس من نقصٍ وطول شتاتٍ
- ١١ - ومن دول المستهترين ومن غدا = بهم طالباً للنور في الظلمات^(٢)
- ١٢ - فكيف ومن أتى يطالب زلفاً = إلى الله بعد الصوم والصلوات
- ١٣ - سوى حبّ أبناء النبي ورهطه = وبغض بني الزرقاء والعبلات^(٣)
- ١٤ - وهند وما أدّت سمية وابنها = أولو الكفر في الإسلام والفجرات^(٤)
- ١٥ - هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه = ومحكمه بالزور والشبهات^(٥)
- ١٦ - ولم تك إلاّ محنة كشفتهم = بدعوى ضلالٍ من هن وهنات
- ١٧ - تراثٌ بلا قرى وملكٌ بلا هدى = وحكمٌ بلا شورى بغير هداتٍ^(٦)
- ١٨ - رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرةً = وردّت أجاجاً طعم كل فرات
- ١٩ - وما سهلت تلك المذاهب فيهم = على الناس إلاّ بيعة الفلتات^(٧)

(١) محسر وعرفات: اسمان لموضعين في مكة المكرمة.

(٢) دول المستهترين: هي دول بني أمية، ودول بني العباس، الذين استهانوا بجميع الأعراف والقيم الإسلامية.

(٣) بنو الزرقاء: هم أبناء مروان طريد رسول الله (ص)، والزرقاء أمه، وهي من النساء الفاجرات في الجاهلية، والعبلات إحدى قبائل قريش.

(٤) هند: أم معاوية الصحابي المزعوم صاحب الأحداث والموبقات في الإسلام، وسمية: اسم لام زياد الإرهابي المحرم.

(٥) يشير إلى الحكم الأموي الذي نقض عهد الله، وخاس بجميع القيم الإسلامية.

(٦) يشير إلى أنّ الحكم الأموي لم يستند إلى الشورى ولا إلى القرى.

(٧) يشير إلى بيعة أبي بكر التي وصمها عمر بقوله: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها.

- ٢٠ - وما نال أصحاب السقيفة إمرة = بدعوى تراث، بل بأمر تراث^(١)
- ٢١ - ولو قلّدوا الموصى إليه زمامها = لزمت بمأمون من العثرات^(٢)
- ٢٢ - أخوا خاتم الرسل المصطفى من القذى = ومفترس الأبطال في الغمرات^(٣)
- ٢٣ - فإن جحدوا كان الغدير شهيداً = وبدر وأحد شامخ الهضبات^(٤)
- ٢٤ - وآي من القرآن تتلى بفضلته = وإيثاره بالقوت في اللزيات^(٥)
- ٢٥ - وغرّ خلال أدركته بسبقها = مناقب كانت فيه مؤتلفات
- ٢٦ - مناقب لم تدرك بكيدٍ ولم تنل = بشيء سوى حد القنا الذريات
- ٢٧ - نجى لجبريل الأمين وأنتم = عكوف على العزى معاً ومناة^(٦)
- ٢٨ - بكيّت لرسم الدار من عرفات = وأذريت دمع العين بالعبرات
- ٢٩ - وفك عرى صبري وهاجت صبابتي = رسوم ديارٍ أفقرت وعرات
- ٣٠ - مدارس آياتٍ خلّت من تلاوةٍ = ومنزل وحيٍ مقفر العرصات^(٧)
- ٣١ - لآل رسول الله بالخيف من منى = وبالركن والتعريف والجمرات^(٨)
- ٣٢ - ديار عليّ والحسين وجعفر = وحمزة والسجّاد ذي الثغفات^(٩)

- (١) السقيفة: التي أرادها دعبل هي سقيفة بني ساعدة التي تأمروا فيها على الخلافة، والنبي مسحى لم يدفن، وقد أسفر هذا المؤتمر عن إقصاء الإمام أمير المؤمنين عن مركز الخلافة الأمر الذي جرّ للمسلمين الويلات والدمار.
- (٢) الوصي: هو الإمام أمير المؤمنين وصي رسول الله وباب مدينة علمه، ولو تقلّد الخلافة لسان المسلمين من العثرات.
- أخو خاتم الرسل: وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد قال له النبي: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة.
- (٤) الغدير: هو الموضوع المعروف الذي عقد فيه النبي (ص) البيعة للإمام أمير المؤمنين، وبيعة الغدير جزء من الإسلام فمن أنكرها فقد أنكر الإسلام كما يقول بعض أعلام العصر.
- (٥) الآيات الواردة في الإمام علي منها: آية المباهلة، وآية المودّة، وآية التطهير، وآية التصدّق بالخاتم، وغيرها من الآيات التي أشادت بعملاق الإسلام.
- (٦) العزى ومناة: صنمان لقريش كانوا يعبدونهما من دون الله.
- (٧) يشير إلى بيوت السادة أبناء النبي الذين حصدهم سيوف الأمويين والعباسيين حتى أفقرت بيوتهم من تلك الكواكب المشرفة بنور الإيمان والتوحيد.
- (٨) هذه المواضع المقدّسة التي ذكرها دعبل هي التي كان يقيمون فيها السادة العلويون فيحيون لياليهم فيها بالعبادة إلى الله وتلاوة كتابه.
- (٩) ذو الثغفات: هو لقب لسيد الساجدين والعبادين الإمام زين العابدين فقد كانت له ثغفات كثفتان البعير في مواضع سجوده من كثرة سجوده لله.

- ٣٣ - ديار لعبد الله والفضل صنوه = نجى رسول الله في الخلوات
- ٣٤ - منازل وحي الله ينزل بينها = على أحمد المذكور في السورات
- ٣٥ - منازل قوم يهتدي بهداهم = فتؤمن منهم زلة العثرات
- ٣٦ - منازل كانت للصلاة وللتقى = وللصوم والتطهير والحسنات
- ٣٧ - منازل جبريل الأمين يحلها = من الله بالتسليم والرحمات
- ٣٨ - منازل وحي الله معدن علمه = سبيل رشاد واضح الطرقات
- ٣٩ - ديار عفاها جور كل منابذ = ولم تعف للأيام والسنوات
- ٤٠ - فيا وارثي علم النبي وآله = عليكم سلام دائم النفحات
- ٤١ - قفا نسأل الدار التي خف أهلها = متى عهدتها بالصوم والصلوات
- ٤٢ - وأين الألى شطت بهم غربة النوى = أفانين في الآفاق مفترقات
- ٤٣ - هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا = وهم خير سادات وخير حماة
- ٤٤ - مطاعيم في الإعسار في كل مشهد = لقد شرفوا بالفضل والبركات^(١)
- ٤٥ - وما الناس إلا حاسد ومكذب = ومضطغنون ذو إحنة وترات
- ٤٦ - إذا ذكروا قتلى بيدٍ وخيبر = ويم حنين أسبلوا العبرات^(٢)
- ٤٧ - فكيف يجبون النبي ورهطه = وهم تركوا أحشاءهم وغرات^(٣)
- ٤٨ - لقد لاينوه في المقال وأضمرُوا = قلوباً على الأحقاد منظويات^(٤)
- ٤٩ - فإن لم تكن إلا بقري محمد = فهاشم أولى من هن وهنات
- ٥٠ - سقى الله قبراً بالمدينة غيثة = فقد حل فيه الأمن بالبركات
- ٥١ - نبي الهدى صلى عليه عليه = وبلغ عنه روحه التحفات
- ٥٢ - وصلى عليه الله ما ذرّ شارق = ولاحت نجوم الليل مبتدرات
- ٥٣ - أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً = وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
- ٥٤ - إذن للطمع الحدّ فاطم عنده = وأجريت دمع العين في الوجنات

(١) يشير دعبل إلى كرم أهل البيت، وأتم مطاعيم في الإعسار للفقراء والمحرومين.

(٢) يشير دعبل إلى القوى المعادية لأهل البيت الذين وترهم سيف علي وسيوف المؤمنين، فإنهم إذا ذكروا قتلاهم بكوا عليهم
أحرّ البكاء.

(٣) إن القوى المنحرفة عن أهل البيت كيف يجبون النبي وأهله.

(٤) أراد دعبل أنّ المعادين للإسلام لاينوا النبي بكلامهم ولكن قلوبهم قد انطوت على عداته.

- ٥٥ - أفاطم قومي يا ابنة الخير وانديبي = نجوم سماواتٍ بأرض فلاة
- ٥٦ - قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطيبةٍ = وأخرى بفتح نالها صلواتٍ^(١)
- ٥٧ - وأخرى بأرض الجوزجان محلّها = وقبر بباخرى لدى الغربان^(٢)
- ٥٨ - وقبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زكيّةٍ = تضمّنها الرحمن في الغرفات^(٣)
- ٥٩ - فأما الممضات التي لست بالغا = مبالغها مني بكنهه صفات
- ٦٠ - قبورٌ لدى النهر من أرض كربلا = معرّسهم فيها بشطّ فرات
- ٦١ - توفّوا عطاشا بالفرات فليتنّي = توفّيت فيهم قبل حين وفاقي
- ٦٢ - إلى الله أشكوا لوعةً عند ذكرهم = سقتني بكأس الذلّ والفظعات
- ٦٣ - أخاف بأن أزدارهم فيشوقني = مصارعهم بالجزع فالنخالات
- ٦٤ - تقسّمهم ريب الزمان كما ترى = لهم عفرة مغشية الحجرات
- ٦٥ - سوى أنّ منهم بالمدينة عصبية = مدى الدهر - أنضاءً من الأزمات
- ٦٦ - قليلة زوار سوى بعض زور = من الضبع والعقبان والرخمات
- ٦٧ - لهم كل حين نومة بمضاجعٍ = ثوت في نواحي الأرض مختلفات
- ٦٨ - وقد كان منهم بالحجاز وأهلها = معاوير يختارون في السروات
- ٦٩ - تنكّب لأواء السنين جوارهم = فلا تصطليهم جمرة الجمرات^(٤)
- ٧٠ - حمى لم ترزه المذنبات وأوجه = تضى لدى الأستار في الظلمات

(١) أشار دعبيل إلى مراقد السادة العلويين، وأول مرقد لهم قبر الإمام علي عليه السلام في النجف التي هي في ظهر الكوفة، وقبر الشهيد مسلم بن عقيل، وفي طيبة قبور أئمة البقيع عليهم السلام، وفي فخ قبر الحسين بن علي بن الحسن وغيره من العلويين.

(٢) الجوزجان: فيها قبر الشهيد العظيم يحيى بن زيد الذي استشهد أيام الوليد الأموي، وباخرى: هي موضع بين الكوفة وواسط فيها استشهد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن في أيام الطاغية الدوانيقي.

(٣) أمّا القبر الذي ببغداد فهو قبر باب الحوائج الإمام الكاظم وقبر حفيده الإمام الجواد، ونعت كثير من المصادر أنّ دعبيل لما انتهى إلى هذا البيت قال له الإمام الرضا أفلا الحق لك بهذا الموضع بيتين، فقال: بلى يا بن رسول الله فقال عليه السلام: وقبر بطوس يالها من مصيبة أحتت على الأحشاء بالزفرات إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنّا الغمّ والكربات فقال دعبيل: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟ قال الإمام عليه السلام: هو قبري. جاء ذلك في المناقب ٣ / ٤٥٠ وغيره.

(٤) الأواء: الشدة.

- ٧١ - إذا أوردوا خيلاً تسعّر بالقنا = مساعر جمر الموت والغمرات
- ٧٢ - وإن فخرُوا يوماً أتوا بمحمّدٍ = وجبريل والفرقان والسورات
- ٧٣ - وعدوا عليّاً ذا المناقب والعلّا = وفاطمة الزهراء خير بنات
- ٧٤ - وحمزة والعبّاس ذا المهدي والتقى = وجعفر الطيّار في الحجبات
- ٧٥ - أولئك لا منتوج هند وحزبها = سمية من نوكى ومن قذرات^(١)
- ٧٦ - ستسأل تيم عنهم وعديّها = وبيعتهم من أفخر الفجرات^(٢)
- ٧٧ - هم منعوا الآباء من أخذ حقّهم = وهم تركوا الأبناء رهن شتات^(٣)
- ٧٨ - وهم عدلوهما عن وصي محمّدٍ = فبيعتهم جاءت على الغدرات^(٤)
- ٧٩ - ملامك في أهل النبي فإثمهم = أحيائي ما عاشوا وأهل ثقائي
- ٨٠ - تخيّرتم رشداً لأمري فإثمهم = على كل حال خيرة الخيرات
- ٨١ - نبذت إليهم بالموذّة صادقاً = وسلّمت نفسي طائعاً لولائي
- ٨٢ - فيا ربّ زدني من يقيني بصيرةً = وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
- ٨٣ - سأبكيهم ما حجّ لله راكب = وما ناح قُمْريّ على الشجرات
- ٨٤ - بنفسي أنتم من كهولٍ وفتيةٍ = لفك عناةٍ أو لحمل ديات
- ٨٥ - وللخيل لَمّا قيّد الموت خطوها = فأطلقتهم منهن بالذريات^(٥)
- ٨٦ - أحبّ قصيّ الرحم من أجل حبكم = وأهجر فيكم أسرتي وبناتي^(٦)
- ٨٧ - وأكنتم حبيكم مخافة كاشحٍ = عنيدٍ لأهل الحق غير موات
- ٨٨ - فيا عين بكّيتهم وجودي بعبرة = فقد آن للتسكاب والهملات^(٧)

(١) النوكي: الحمق.

(٢) أراد بتيم: أبو بكر، وأراد بعدي عمر بن الخطاب، ويرى دعبل أنّهما مسؤولان عمّا لحق بأهل البيت من المآسي والنكبات

فهما اللذان أقصيا الإمام أمير المؤمنين عن الخلافة وسببا للعترة الطاهرة ألوانا مريرة من المصائب.

(٣) أشار دعبل إلى أنّ الملوك السابقين هم الذي منعوا السادة العلويين من أخذ حقهم، وتركوا السادة من أبنائهم رهن شتات.

(٤) الوصي هو الإمام أمير المؤمنين وصي رسول الله وباب مدينة علمه وقد شجب دعبل تحوّل الخلافة عنه، وتقليدها لغيره.

(٥) الذريات: الداهيات.

(٦) يريد دعبل أنّه يحب ويخلص لمن أحب وأخلص لأهل البيت عليهم، وإن كانوا بعباداً عنه في النسب، ويعادي من عاداهم،

وإن كانوا أسرته وبناته.

(٧) الهملات: هي الدموع.

- ٨٩ - لقد حَقَّت الأيام حولي بشرّها = وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي^(١)
- ٩٠ - ألم تر أنّي من ثلاثين حجّة = أروح وأغدو دائم الحسرات
- ٩١ - أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً = وأيديهم من فيئهم صفرات^(٢)
- ٩٢ - فكيف أدأوي من جوى بي والجوى = أميّة أهل الفسق والتبعات
- ٩٣ - قال رسول الله نحف جسومهم = وآل زياد حفل القصرات^(٣)
- ٩٤ - بنات زياد في القصور مصونة = وآل رسول الله في الفلوات
- ٩٥ - سأبكيهم ما ذرّ في الأرض شارق = ونادى منادى الخير بالصلوات
- ٩٦ - وما طلعت شمسٌ وحن غروبها = وبالليل أبكيهم وبالغدوات
- ٩٧ - ديار رسول الله أصبحن بلقعا = وآل زياد تسكن الحجرات
- ٩٨ - وآل رسول الله تدمى نحورهم = وآل زياد آمنوا السريات
- ٩٩ - وآل رسول الله تُسبى حرّهم = وآل زياد ربة الحجلات
- ١٠٠ - إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم = أكفّا عن الأوتار منقبضات^(٤)
- ١٠١ - فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ = تقطّع نفسي إثرهم حسرات
- ١٠٢ - خروج إمام لا محالة خارج = يقوم على اسم الله والبركات^(٥)
- ١٠٣ - يميّز فينا كلّ حقٍ وباطلٍ = ويجزي على النعماء والنقمات
- ١٠٤ - سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم = كفاني ما ألقى من العبرات
- ١٠٥ - فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري = فغير بعيد كل ما هو آتٍ
- ١٠٦ - ولا تجزعي من مدّة الجور إنني = أرى قوتي قد آذنت بشتات
- ١٠٧ - فإن قرّب الرحمن من تلك مدّتي = وأخر من عمري لطول حياتي
- ١٠٨ - شفيت ولم أترك لنفسي رزيّة = ورؤيت منهم منصلي وقناتي^(٦)

(١) في رواية: لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها، وفي رواية أنّ دعبل لما أنشد هذا البيت رفع الإمام عليه السلام يديه بالدعاء، وقال له: أمنك الله يا خزاعي يوم الفرع الأكبر.

(٢) في رواية أنّ دعبل لما بلغ إلى هذا البيت جعل الإمام الرضا يقلب كفه ويقول: (أجل والله منقبضات).

(٣) القصرات: جمع مفردة قصرة، وهي أصل العنق.

(٤) في رواية أنّ دعبل لما فرغ من إنشاد هذا البيت جعل الإمام الرضا عليه السلام يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات.

(٥) عندما انتهى دعبل من إنشاد هذا البيت، والبيت الذي بعده قال له الإمام: (يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك)

المناقب ٣ / ٤٥٠.

(٦) المصل: حديدة السهم والرمح والسكين.

- ١٠٩ - فإيَّ من الرحمن أرجوا بحبِّهم = حياةٌ لدى الفردوس غير بتاتٍ ^(١)
- ١١٠ - عسى الله أن يأوي لذا الخلق إنَّه = إلى كل قومٍ دائم اللحظات
- ١١١ - فإن قلت عرفاً أنكروه بمنكرٍ = وغطَّوا على التحقيق بالشبهات
- ١١٢ - أحاول نقل الشمس عن مستقرِّها = وأسمع أحجاراً من الصلداث
- ١١٣ - فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ = يميل مع الأهواء والشهوات
- ١١٤ - قصارى منهم أن أموت بغصّةٍ = تردّد في صدري وفي اللهوات
- ١١٥ - كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها = لِمَا ضُمَّنت من شدّة الزفراث ^(٢)

وانتهت هذه القصيدة العصماء التي نالت رضا الإمام ودعاءه لدعبل بالفوز يوم الفزع الأكبر.

وقد تأثر الإمام كأشدّ ما يكون التأثر في الأبيات التي رثى بها دعبل الإمام الحسين عليه السلام، فقد بكى الإمام أمرّ البكاء، وأغمي عليه غير مرة، فقد نخت قلبه فاجعة كربلاء، وكان يقول: إنَّ أمر الحسين أسهر جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، يا أرض كرب وبلاد أورثتنا الكرب والبلاد إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنَّ البكاء عليه يحط الذنوب والعظام ^(٣).

ويشتد حزن الإمام ويتضاعف أساه إذا حلّ شهر الحرم، وقد قال: كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر محرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكارثة تغلبه حتى تمضي منه عشرة أيام، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتة وحزنه وبكائه، وكان يقول: (هذا اليوم الذي قتل فيه الحسين) ^(٤).

وقال عليه السلام: إنَّ الحرم شهر كان أهل الجاهلة يجرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماءنا، وانتهدت فيه حرمتنا، وسبيت فيه ذرارينا ونساءنا، وأضرمت النيران في مضارينا، وانتهدت ما فيه من ثقلنا، ولم يرعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا ^(٥).

(١) غير بتات: أي غير منقطعة، وإنّما هي حياة خالدة ودائمة.

(٢) ديوان دعبل.

(٣) الأنوار النعمانية ٣ / ٢٣٨.

(٤) الأنوار النعمانية ٣ / ٢٣٨.

(٥) الأنوار النعمانية ٣ / ٢٣٨.

وروى الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا في أول يوم من المحرم فقال لي:
(يا بن شبيب أصائم أنت؟).
(لا...).

وأخذ الإمام يعرفه حرمة ذلك اليوم قائلاً:

(هذه اليوم الذي دعا فيه زكريا ربه عز وجل، فقال: يا رب هب لي من لدنك ذرية طيبة، إنك سميع الدعاء، فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب: إن الله يبشرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم، ثم دعا الله عز وجل استجاب له، كما استجاب لزكريا.

يا بن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان فيه أهل الجاهلية - فيما مضى - يجرمون فيه الظلم والقتال لحرمة، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله ذلك لهم أبداً.

يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك الحسين بن علي بن أبي طالب، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع، والأرضون لقتله، ولقد نزلت إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصرته فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم عليه السلام فيكونون معه من أنصاره وشيعته، وشعارهم: (يا لثارات الحسين) ^(١).

لقد أخلدت كارثة كربلاء الحزن والأسى لأهل البيت عليهم السلام فهم وشيعتهم في حزن مستمر لا ينسون ما حلّ بسبط الرسول صلى الله عليه وآله من عظيم المحن والرزايا، فقد انتهكت في يوم عاشوراء حرمة النبي صلى الله عليه وآله، فلم يرع في ذلك اليوم الخالد في دنيا الأحزان أي حرمة الله، ولا لرسوله صلى الله عليه وآله، فقد عمد جيش ابن مرجانة إلى قتل سبط رسول الله (ص) بتلك القتلة المروعة...
ولنعد بعد هذا إلى متابعة شؤون الإمام في (خراسان).

(١) الأنوار النعمانية ٣ / ٢٣٩.

إنفاق جميع ما عنده:

وأنفق الإمام عليّاً جميع ما يملك (بخراسان) على الفقراء والبؤساء فأنكر عليه الفضل بن سهل، وقال له:

(إنّ هذا المغرم...).

فرد عليه الإمام ببالغ الحجّة قائلاً:

(بل هو المغنم، لا تعدن مغرمًا ما اتبعت به أجراً وكرماً) ^(١).

إنّه ليس من المغرم في شيء إنفاق الإمام جميع ما عنده على الفقراء والمحرومين، وإنقاذهم من غائلة الفقر وويلات البؤس، وإتّما المغرم ما كان ينفقه ملوك العبّاسيين وإخوانهم الأمويون من الأموال الطائلة على شهواتهم ولياليهم الحمراء، ولم ينفقوا أي شيء على فقراء المسلمين.

خطبة الإمام في التوحيد:

وتعتبر هذه الخطبة من غرر خطب أئمة أهل البيت عليّاً، ومن روائع ما أثر عنهم في قضايا التوحيد، ولو لم يكن للإمام الرضا عليّاً من تراث إلا هذه الخطبة لكفى بما للتدليل على إمامته، وبلوغه مرتبة سامية من العلم والفضل لم يبلغها إلا الأئمة المعصومون سلام الله عليهم... ونظراً لأهميتها البالغة فقد تصدى سماحة المغفور له يحيى بن محمد علي إلى شرحها، وقد جاء في مقدمتها:

(إنّ الخطبة المعروفة الواردة في التوحيد إلى جناب الحضرة المقدّسة والساحة المطهّرة... ثامن أئمة الدين إمام الورى علي بن موسى الرضا عليه التحيّة والثناء، لما كانت بحراً عميقاً، محتويّاً على فوائد ومعارف... جامعة من فنون العلم وصنوف المعرفة ما لا يجمعه سواها الخ...) ^(٢).

أمّا سبب إنشاء الإمام لهذه الخطبة فهو أنّ المأمون لمّا أراد أن يوليّ الإمام ولاية العهد حسده بنو هاشم - وهم بنو العباس - وقالوا له:

أتوليّ رجلاً جاهلاً ليس له بصر ^(٣) بتدبير الخلافة؟ فابعث إليه رجلاً يأتينا به

(١) بحار الأنوار ١٢ / ٢٩.

(٢) شرح خطبة الإمام الرضا في التوحيد مخطوطة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّاً تسلسل (١٧٢٨).

(٣) في نسخة ليس له بصيرة.

فترى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فاتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر، وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد المنبر، فقعده ملياً لا يتكلم، ثم انتفض واستوى قائماً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وأهل بيته، ثم قال: (أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أنّ كل صفة وموصوف مخلوق^(١) وشهادة كل مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة، ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف، من عرف بالتشبيه ذاته^(٢) ولا إياه وحده من اكتننه^(٣) ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه^(٤)، ولا صمد صمده من أشار إليه^(٥) ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تدلّل من بعضه، ولا إياه أراد من توهمه. كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته^(٦)، خلق الله الخلق حجاباً بينه وبينهم، ومبايئته إيتاهم مفارقتهم، وابتدأه إيتاهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدئ عن ابتداء غيره، وأدوات إيتاهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المتأدين.

وأسماءه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغبوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله^(٧) وقد أخطأه من اكتننه، ومن قال: كيف فقد شبهه، ومن قال: لم؟ فقد علّله، ومن قال:

(١) أراد كل صفة وموصوف متعددان ذاتاً أو اعتباراً فإحتما من صفات الممكن، أمّا الواجب تعالى فإنّ صفاته عين ذاته، ولا تعدّد بينه وبين صفاته.

(٢) يريد أنّه لا يعرف الله، من يشبه ذات الله تعالى.

(٣) يريد: أنّ من يطلب كنهه تعالى وحقيقته فهو ليس من الموحدين؛ لأنّه قد جعله من الممكنات التي يمكن معرفتها.

(٤) أراد أنّه لم يصدق بالله تعالى من جعل له نهاية.

(٥) يعنى أنّ من أشار إلى الله تعالى فقد ضلّ عن الطريق؛ لأنّ الله ليس له جهة خاصة حتى يشار؛ لأنّه أينما تولّوا فثمّ وجه الله تعالى.

(٦) أراد أن الله معروف ومعلوم بالفطرة الأصيلة وبالعقول النيرة المستقيمة، فإنّ جميع الوجود تدلّل عليه.

(٧) المعنى: إنّه قد توهم، وبعد عن الصواب من تصوّر أنّه أحاط بمعرفة الخالق العظيم.

متى؟ فقد وقته، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: إلام؟ فقد نهاه، ومن قال: حتام فقد غيابه^(١)، ومن غيابه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزّاه ومن جزّاه وصفه، ومن وصفه فقد ألد فيه، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مبائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بحول فكرة^(٢)، مدبّر لا بحركة، مرید لا بهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بحسنة^(٣)، سمیع لا بألة، بصیر لا بأداة.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنوات^(٤)، ولا تحدّه الصفات، ولا تقيده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده^(٥) والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له^(٦)، وبتحيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجلالية بالبهم، والجسو^(٧) بالبلل، والصدرد^(٨) بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقتها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله عزّ وجل: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٩) ففرّق بها بين قبل وبعد، ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغزها، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها.

(١) المعنى: إنّه من سأل عن حد أو نهاية أو غاية ذلك فيما يتعلق بذات الخالق العظيم، فإنّه قد ضل ضلالاً بعيداً، وانحرف عن الحق إذ كيف يصل الإنسان المحدود فكره إلى معرفة الله تعالى.

(٢) لا بحول فكرة: أي لا بقوة الفكر.

(٣) المحسنة: آلة الحس.

(٤) السنة: النعاس.

(٥) أي سبق وجوده العدم.

(٦) عرف أنّ لا مشعر له: يعني أنّه تعالى لعلّوه عن مرتبة المصنوع عرف أن لا مشعر له.

(٧) الجسو: المس.

(٨) الصدرد: بفتح الصاد، وكسر الراء من يجد البرد سريعاً، ومنه رجل مصراد لمن يشتد عليه البرد ولا يطيقه، مجمع البحرين.

(٩) سورة الذاريات: آية ٤٩ والآية استشهاد للمضادة، والمعنى من كل شيء خلقنا ضدّين كالأمثلة المذكورة بخلافة تعالى فإنّه لا ضدّ له.

له معنى الربوبية إذ لا مروب (١)، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه (٢)، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف ولا تغييره من، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعل، ولا توقته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع (٣)، إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها (٤)، وفي الأشياء يوجد أفعالها (٥)، منعتهما قد الأزلية (٦) وجنبتها لولا التكملة افترت فدلّت على مفرقتها، وتباينت فأعربت عن مباينها لما تجلّى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبتت غيره (٧)، ومنها أنيط الدليل، وبها عرفها الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانة إلا بعد المعرفة، ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع أثبات الصفات للتشبيه (٨)، فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه من صانعه لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه.

(١) المراد أنّ كل صفة كمالية في الوجود ثابتة له تعالى بذاته إذ أنّها حاصلة له من غيره وهذا مفاد (أنّ الواجب الوجود لذاته واجب لذاته من جميع الوجوه).

(٢) المراد أنّه تعالى هو المالك للتصرّف، والعبد مألوه له تعالى يتصرّف في شؤونه.

(٣) المراد أنّه كيف لا يستحق الخالق أن يكون قبل الخلق والحال أنّه تغييره من التي هي لا ابتداء الزمان عن فعله أي يكون فعله متوقفاً على زمان حتى يكون غالباً عن فعله بسبب عدم الوصول بذلك الزمان، منتظراً لحضور ابتدائه، كما لا تقره التي هي لتقريب زمان الفعل فلا يقال: قد قرب وقت فعله، لأنّه لا ينتظر وقتاً ليفعل فيه، بل كل الأوقات سواء بالنسبة إليه، ولعلّ لا تحجبه عن مراده، لعلّ التي هي للترجي لأنّه إذ يترجى شيئاً، وإتّما أمر إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، كما لا توقته في مبادئ أفعاله متى، فلا يقال: متى علم متى قدر لان صفاته الكمالية ومبادئ أفعاله، أزلية كوجوده كما لا تشمله ولا تحدّه ذاتاً وصفة وفعلاً (حين) لأنّه فاعل الزمان، كما لا تقارنه بشيء (مع) إذ ليس معه شيء ولا في مرتبته شيء، ومن كان كذلك فهو خالق بارئ قبل الخلق.

(٤) المراد إمّا يتقيد في الفعل والتأثير بالأدوات أمثالها في المحدودية والجسمانية.

(٥) الأمور الممكنة هي التي تتأثر وتؤثر بالآلات وأما الحق فمترّه عن ذلك.

(٦) المراد أنّ أنصاف الأشياء بمعاني منذ وقد ولولا وتقييدها بما يمنعها من الاتصاف بالقدم والأزلية.

(٧) أي في الأشياء أثبت الله التغيير والاختلاف وذلك بحسب حدودها الإمكانية.

(٨) أي لا نفي لتشبيهه تعالى بالمخلوق مع إثبات الصفات الزائدة له. أخذنا هذه التعاليم من هامش الكتاب وهي للسيد هاشم الحسيني الطهراني.

ولمّا كان للباري معنى غير المبروء، ولو حد له وراء إذأ حد له أمام، ولو التمس له التمام إذأ لزمه النقصان، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشيء الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء إذأ لقامت فيه آية المصنوع، ولتحوّل دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حجّة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولا في إباءته عن الخلق ضيم إلاّ بامتناع الأزل أن يثني، وما لا بدء له أن يبدأ، لا إله إلاّ الله العلي العظيم، كذب العادلون بالله، وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خساراً مبيناً، وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين^(١).

وحوت هذه الخطبة العظيمة غوامض البحوث الفلسفية والكلامية، وقد ظهرت فيها القدرات العلمية الهائلة للإمام الرضا عليه السلام، وانكشف للعباسيين زيغ ما ذهبوا إليه من عجز الإمام وعدم قدرته على الخوض في البحوث العلمية، ومن المؤكّد أنّ معظم المستمعين لخطاب الإمام لم يفقهوا هذه المسائل الفلسفية التي عرضها الإمام عليه السلام، والتي تناولت أهم قضايا التوحيد.

الخطبة التي كتبها الإمام للمؤمن:

وطلب المؤمن من الإمام الرضا عليه السلام أن يكتب له خطبة ليقرأها على الناس حينما يصلّي بهم، فكتب عليه السلام له هذه الخطبة الجليلة وقد جاء فيها بعد البسملة:
(الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا على صنع شيء استعان، ولا من شيء خلق، كما كون منه الأشياء، بل قال له: كن فيكون.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، الجليل عن منابذة الأنداد، ومكابدة الأضداد، واتخاذ الصواحب والأولاد، وأشهد أنّ محمداً عبده المصطفى، وأمينه المحتجى، أرسله بالقرآن المفصّل، ووحيه، الموصل، وفرقانه المحصل، فبشّر بثوابه، وحذّر من عقابه، صلى الله عليه وآله.
أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكتمون، فإنّ الله لم يترككم سدى، ولم يخلقكم عبثاً، ولم يمكنكم هدى... الحذر، والحذر عباد الله فقد حذركم الله نفسه، فلا تعرضوا للندم، واستحلاب النقم، والمصير إلى

(١) التوحيد (ص ٣٤ - ٤١).

عذاب جهنم، إن عذابها كان غراماً، إنَّها ساءت مستقراً ومقاماً، لا تطفى، وعيون لا ترقى، ونفوس لا تموت، ولا تحي في السلاسل والأغلال، والمثالث والنكال، كلِّما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، إنَّ الله كان عزيزاً حكيماً، نار أحاط بها سراقها، فلا يسمع لهم نداء، ولا يجاب لهم دعاء ولا يرحم لهم بكاء، ففروا عباد الله إلى الله بهذه الأنفس الفانية، في الصيحة المتوالية، في الأيام الخالية، من قبل أن ينزل بكم الموت، فيغصبكم أنفسكم، ويفجعكم بمهجمكم، ويحول بينكم وبين الرجعة هيئات حضرت آجالكم، وختمت أعمالكم، وجفت أقلامكم، فلا للرجعة من سبيل، ولا إلى الإقامة من وصول عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه الأبرار، وأرشدنا وإياكم لما أرشد له عباده الأخيار... (١)

وحفلت هذه الخطبة بالدعوة إلى فعل الخير، واجتناب الحرام والزهد في الدنيا، والتحذير من عذاب الله وعقابه.

المأمون يطلب من الإمام محاسن الشعر:

وطلب المأمون من الإمام عليه السلام أن ينشده أحسن ما رواه في الحلم، فقال عليه السلام أحسن ما رويته هذه الأبيات:

إن كان دوني من بليت بجهله	أييت لنفسي أن أقابل بالجهل
وإن كان مثلي في محلي من النهي	هربت لحلمي كي أجل عن المثل
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى	عرفت له حق التقدّم والفضل

وأعجب المأمون بهذه الأبيات وانبرى يقول:

(من قائله؟...)

(بعض فتياننا...)

وقال المأمون: أنشدني أحسن ما رويته في السكوت عن الجاهل، فقال عليه السلام هذه الأبيات:

إني ليهجرني الصديق تجنباً	فأريه أن لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغرته	فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا ابتليت بجاهل متغافل	يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما	كان السكوت عن الجواب جوابا

(١) الدر النظيم ورقة ٢١٥.

وبحر المأمون، وقال: ما أحسن هذا؟ من قاله: فقال عليه السلام: لبعض فتياننا، ثم قال المأمون: أنشدني: أحسن ما روئته في استجلاب العدو وحتى يكون صديقاً، فأنشده الإمام هذه الأبيات:

وذي غلّة سألته فقهرته فأوقرتَه مَنِّي لعفو التحمّل
ومن لا يدافع سيئات عدوه باحسانه لم يأخذ الطول من علي
ولم أر في الأشياء أسرع مهلكاً لغمر قديم من وداد معجل^(١)
فقال المأمون:

- ما أحسن هذا من قاله؟

- قاله بعض فتياننا.

- أنشدني أحسن ما روئته في كتمان السر.

فأنشده:

وإني لأنسى السر كي لا أذيعه فيا من رأى سراً يصر بأن ينسى
مخافة أن يجري بيالي ذكره فينبذه قلبي إلى ملتوى الحشا
فيوشك من لم يفش سراً وجمال في خواطره أن لا يطيق له حسبا^(٢)
وراح المأمون بيدي اعجابه بما حفظه الإمام عليه السلام من روائع الشعر

رسالة الإمام إلى ولده الجواد:

وأرسل الإمام الرضا عليه السلام من (خراسان) إلى ولده الإمام الجواد هذه الرسالة وقد جاء فيها بعد البسمة:

(فدتك نفسي بلغني أنّ الموالي إذا ركبت أخرجوك من باب البستان الصغير،
وإنما ذاك من بخل بهم لئلا ينال أحد منك خيراً، فأسألك بحقي عليك، لا يكن
مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت إن شاء الله فليكن معك ذهب وفضة لا يسألك
أحد شيئاً إلا أعطيته، ومن سألك من عمومته أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً، والكثير إليك،
ومن سألك من عمّاتك فلا تعطها أقل من خمسين ديناراً، والكثير إليك، ومن سألك من قريش فلا تعطه
أقل من خمسة

(١) الغمر: الحقد.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٧٤ - ١٧٥.

وعشرين ديناراً، والكثير إليك، إني إنما أريد أن يوفقك الله، فاتق الله، واعط ولا تخف من ذي العرش إقتاراً...^(١).

أرايتم هذه النفس الملائكية التي طبعت على البر والمعروف والإحسان إلى الناس... لقد كان الكرم عنصراً من عناصر الإمام ومقوماً من مقوماته، فقد حثّ ولده الجواد على صلة أرحامه، والبرّ بالبؤساء. لقد حكّت هذه الرسالة لوناً من ألوان التربية الرفيعة لأهل البيت عليهم السلام فقد كانوا يربون أبنائهم على الشرف والفضيلة، ويغرسون في نفوسهم مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، ليكونوا أمثلة للخير، وقدوة حسنة لهذه الأمة.

كتاب الحياء والشرط:

نسب هذا الكتاب إلى الإمام الرضا عليه السلام، وقد حفل بالثناء على الفضل بن سهل، والإشادة بجهوده الجبارة في إقامة ملك المأمون، ودحر الناهضين له من أخيه الأمين وأبي السرايا وغيرهما، فقد بذل جميع طاقاته حتى قضى على تلك الثورات العارمة، وقد جزاه المأمون فمنحه الثراء العريض، ووهبه الأموال الطائلة، كما وهب مثل ذلك لأخيه الحسن بن سهل مجازاة لهما على عظيم إخلاصهما للمأمون، وها هو نص الكتاب بعد البسملة: (أما بعد: فالحمد لله البادئ الرفيع، القادر، القاهر، الرقيب على عباده المقيت على خلقه، الذي خضع كل شيء لملكه، وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته، وتواضع كل شيء لسلطانه، وعظمتته، وأحاط بكل شيء علمه، وأحصى عدده، فلا يؤوده كبير، ولا يعزب عنه صغير، الذي لا تدركه أبصار الناظرين، ولا تحيط به صفة الواصفين، له الخلق والأمر والمثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

والحمد لله الذي شرع للإسلام ديناً، ففضله، وعظمه، وشرفه، وكرمه، وجعله الدين القيم الذي لا يقبل غيره، والصراط المستقيم الذي لا يضل من لزمه، ولا يهتدي من صرف عنه، وجعل فيه النور والبرهان، والشفاء والبيان، وبعث به من

(١) الدر النظيم ورقة ٢١٥ - ٢١٦.

اصطفى من ملائكته إلى من اجتبي من رسله في الأمم الخالية، والقرون الماضية حتى انتهت رسالته إلى محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) فحتم به النبيين وفقى به على آثار المرسلين، وبعثه رحمة للعالمين، وبشيراً للمؤمنين المصدقين، ونذيراً للكافرين المكذّبين لتكون له الحجّة البالغة، وليهلك من هلك عن بينة، وان الله لسميع عليم.

والحمد لله الذي أورث أهل بيته موارث النبوة واستودعهم العلم والحكمة، وجعلهم معدن الإمامة والخلافة، وأوجب ولايتهم، وشرف منزلتهم، فأمر رسوله أمته بمسألة مودّتهم إذ يقول: **(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)** ^(١) وما وصفهم به من إذهاب الرجس عنهم، وتطهيره إياهم في قوله: **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)** ^(٢).

ثم أن المأمون بر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عترته، ووصل أرحام أهل بيته، فردّ ألفتهم، وجمع فرقتهم، ورأب صدعهم، ورتق فتقهم، وأذهب الله به الضغائن والإحن بينهم، وأسكن التناصر، والتواصل والمودة والمحبة قلوبهم، فأصبحت يمينه وحفظه وبركته وبرّه وصلته أيديهم واحدة، وكلمتهم جامعة، وأهواؤهم متفقة، ورعى الحقوق لأهلها، ووضع الموارث مواضعها، وكافأ إحسان المحسنين، وحفظ بلاء المبتلين، وقرب وباعد على الدين، ثم اختص بالتفضيل، والتقديم والتشريف من قدمته مساعيه، فكان ذلك ذا الرياستين الفضل بن سهل، إذ رآه له مؤازرا، وبحقه قائماً، وبحجته ناطقاً، ولنقبائه نقيماً، ولخيلوله قائداً، ولحروبه مدبّراً ولرعيته سائساً، وإليه داعياً، ولمن أجاب إلى طاعته مكافياً، ولمن عدل عنها منابذاً، وبنصرته متفرداً، ومرض القلوب والنيات مداوياً، لم ينهه عن ذلك قلة مال ولا عواز رجال ولم يمل به الطمع، ولم يلفته عن نيته وبصيرته وجل، بل عندما يهول المهولون، ويرعد ويبرق له المبرقون والمرعدون وكثرة المخالفين والمعاندين، من المجاهدين والمخاتلين أثبت ما يكون عزيمته، وأجرأ جناناً، وأنفذ مكيدة، وأحسن

(١) سورة الشورى: آية ٢٠ قال العلامة: روى الجمهور في الصحيحين وأحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره عن ابن عباس رحمه الله قال: لما نزلت: **(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)** قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين أوجب علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٣، قال العلامة: أجمع المفسرون وروى الجمهور كأحمد بن حنبل وغيره أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام.

تديراً، وأقوى في تثبيت حق المأمون، والدعاء إليه حتى غصم أنياب الضلالة، وفلّ حدهم، وقلم أظفارهم، وحصد شوكتهم، وصرعهم مصارع الملحددين في دينهم، والناكثين لعهدده، الوانين في أمره، والمستحقّين بحقه الآمنين لما حذر من سطوته وبأسه مع آثار ذي الرياستين في صنوف الأمم من المشركين، وما زاد الله به في حدود دار المسلمين، ممّا قد وردت أنباؤه عليكم، وقرئت به الكتب على منابركم، وحملة أهل لآفاق إليكم إلى غيركم فانتهى شكر ذي الرياستين بلاء أمير المؤمنين عنده، وقيامه بحقه، وابتداله مهجته، ومهجة أخيه أبي محمد الحسن بن سهل الميمون النقيبة، المحمود السياسة إلى غاية تجاوز بها الماضيين، وفاز بها الفائزون.

وانتهت مكافأة أمير المؤمنين إياه إلى ما حصل له من الأموال والقطائع، والجواهر، وإن كان ذلك لا يفني بيوم من أيامه، ولا بمقام من مقاماته، فتركه زهداً فيه، وارتفاعاً من همته عنه، وتوفيراً له على المسلمين، واطراحاً للدنيا، واستصغاراً لها، وإيثاراً للآخرة ومنافسة فيها.

وسأل أمير المؤمنين ما لم يزل له سائلاً، وإليه فيه رغباً من التخلّي والتزاهد، فعظم ذلك عنده وعندنا، لمعرفتنا بما جعل الله عزّ وجل في مكانه الذي هو به من العز للدين والسلطان، والقوة على صلاح المسلمين، وجهاد المشركين، وما أرى الله به من تصديق نيته، وبمن نقيبته، وصحة تدبيره، وقوة رأيه، ونجح طلبته، ومعاونيه على الحق والهدى، والبر والتقوى، فلمّا وثق أمير المؤمنين وثقنا منه، بالنظر للدين، وإيثار ما فيه صلاحه، وأعطيناه سؤاله الذي يشبه قدره، وكتبنا له كتاب حباء وشرط، قد نسخ في أسفل كتابي هذا، وأشهدنا الله عليه، ومن حضرنا من أهل بيتنا والقواد، والصحابة، والقضاة والفقهاء والخاصة والعامّة.

وأمر أمير المؤمنين بالكتاب إلى الآفاق ليذيع، ويشيع في أهلها ويقرأ على منابرها، ويثبت عند ولائها وقضائها، فسألني أن أكتب بذلك، وأشرح معانيه وهي على ثلاثة أبواب:
ففي الباب الأول:

البيان عن كل آثاره التي أوجب الله بها حقه علينا، وعلى المسلمين.

البيان الثاني:

البيان عن مرتبته في إزاحة علتته في كل ما دبر، ودخل فيه ولا سبيل عليه، فيما

ترك وكره؛ وذلك لما ليس لخلق ممن في عنقه بيعة إلا له وحده ولأخيه، ومن إزاحة العلة تحكيمها في كل من بغى عليهما وسعى بفساد علينا وعليهما وعلى أوليائنا لئلا يطمع طامع في خلاف عليهما، ولا معصية لها، ولا احتيال في مدخل بيننا وبينهما.

الباب الثالث:

البيان عن عطائنا إياه ما أحب من ملك التخلي وحبية الزهد، وحبية التحقيق لما سعى فيه من ثواب الآخرة بما يتقرر في قلب من كان شاكاً في ذلك منه، وما يلزمنا له من الكرامة والعز والحباء الذي بذلناه له ولأخيه في منعهما ما نمنع منه أنفسنا؛ وذلك محيط بكل ما يحتاط فيه محتاط في أمر دين ودينا...).

وانتهت هذه الكلمة، وقد أشادت بالجهود الجبارة التي بذلها الفضل بن سهل في توطيد حكومة المأمون، وإقامة دولته، كما أشادته بنزاهته، ورفضه للجوائز والهبات الكثيرة، وطلبه للتقاعد، وقد رفض ذلك، وكانت هذه الكلمة مقدمة لكتاب الحباء والشرط، وهذا نصه بعد البسمة:

(هذا كتاب حباء وشرط من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وولي عهده علي بن موسى الرضا لذي الرياستين الفضل بن سهل في يوم الاثنين لسبع ليال خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وهو اليوم الذي تم الله فيه دولة أمير المؤمنين، وعقد لولي عهده، والبس الناس اللباس الأخضر، وبلغ أمله في إصلاح وليه، والظفر بعدوه، إننا دعوناك إلى ما فيه بعض مكافأتك، على ما قمت به من حق الله، تبارك وتعالى، وحق رسوله ﷺ وحق أمير المؤمنين، وولي عهده علي بن موسى، وحق هاشم التي بها يرجى صلاح الدين، وسلامة ذات البين بين المسلمين، إلى أن يثبت النعمة علينا وعلى العامة بذلك، وبما عاونت عليه أمير المؤمنين من إقامة الدين والسنة، وإظهار الدعوة الثانية وإيثار الأولى، مع قمع المشركين، وكسر الأصنام، وقتل العتاة وسائر آثارك الممثلة للأمصار في المخلوع - وهو الأمين - وقابل، وفي المسمى بـ (الأصفر) المكتنى بأبي السرايا، وفي المسمى بالمهدي محمد بن جعفر الطالبين، والتارك الحوليه، وفي طبرستان وملوكها إلى بندار هرمز بن شروين، وفي الديلم وملوكها (مهوس) وفي كابل وملوكها هرموس ثم ملكها الأصفهيد، وفي ابن البرم، وحبال بدار بنده، وعرشستان، والغور وأصنافها، وفي خراسان وبلون صاحب جبل التبت، وفي كيما والتغرغر، وفي أرمينية والحجاز،

وصاحب السرير، وصاحب الخزر وفي المغرب وحروبه، وتفسير ذلك في ديوان السيرة. وكان ما دعواك إليه وهو معونة لك ألف ألف درهم، وغلّة عشرة ألف ألف درهم جوهر أسوياً أقطعك أمير المؤمنين قبل ذلك، وقيمة مائة ألف ألف درهم جوهرًا يسيراً عندنا ما أنت له مستحق فقد تركت مثل ذلك حين بذله لك المخلوع، وآثرت الله ودينه، وإتّك شكرت أمير المؤمنين وولي عهده، وآثرت توفير ذلك كلّهُ على المسلمين، وجدت لهم به.

وسألنا أن نبّلك الخصلة التي لم تنزل لها تائقاً من الزهد والتخلّي ليصح عند من شك في سعيك للآخرة دون الدنيا وتركك الدنيا، وما عن مثلك يستغني في حال، ولا مثلك رد عن طلبه، ولو أخرجتنا طلبتك عن شطر النعيم علينا فكيف نأمر؟ رفعت فيه المؤنة، وأوجبت به الحجّة، على من كان يزعم أنّ دعاك إلينا للدنيا لا للآخرة، وقد أجبنك إلى ما سألت به، وجعلنا ذلك لك مؤكّداً بعهد الله وميثاقه اللذين لا تبديل لهما، ولا تغيير، وفوضنا الأمر في وقت ذلك إليك، فما أقمت فعزير مزاح العلة، مدفوع عنك الدخول فيما تكرهه، من الأعمال، كائناً ما كان، نمنعك ممّا تمنع به أنفسنا في الحالات كلها، وإذا أردت التخلي فمكرم، مزاح البدن، وحق لبدنك بالراحة والكرامة ثم نعطيك مما تناوله، ممّا بذلناه لك في هذا الكتاب، فتركته اليوم.

وجعلنا للحسن بن سهل مثل ما جعلناه لك، فنصف ما بذلناه من العطية، وأهل ذلك هو لك، وبما بذل من نفسه في جهاد العتاة، وفتح العراق مرتين، وتفريق جموع الشيطان بيده حتى قوى الدين، وخاض نيران الحروب، ووقانا عذاب السموم بنفسه وأهل بيته، ومن ساس من أولياء الحق، وأشهدنا الله وملائكته وخيار خلقه، وكل من أعطانا بيعته، وصفقة يمينه في هذا اليوم وبعده على ما في هذا الكتاب، وجعلنا الله علينا كفيلاً، وأوجبنا على أنفسنا الوفاء بما اشترطنا من غير استثناء بشيء ينقصه في سر ولا علانية، والمؤمنون عند شروطهم، والعهد فرض مسؤول، وأولى الناس بالوفاء من طلب من الناس الوفاء، وكان موضعاً للقدرة، قال الله تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) ^(١).

(١) سورة النحل: آية ٩١.

وانتهت هذه الوثيقة التي عرفت بوثيقة الحباء والشرط وقد وقع عليها المأمون، والإمام الرضا عليه السلام.

توقيع المأمون:

وقد جاء فيه بعد البسملة: (قد أوجب أمير المؤمنين على نفسه جميع ما في هذا الكتاب، وأشهد الله تعالى، وجعله عليه داعياً وكفياً) وكتب بخطه في صفر سنة (٢٠٢) تشريفاً للحباء، وتوكيداً للشروط.

توقيع الإمام الرضا:

وجاء في توقيع الإمام عليه السلام بعد البسملة (قد ألزم علي بن موسى الرضا نفسه بجميع ما في هذا الكتاب، على ما أكد فيه، في يومه وغده ما دام حياً، وجعل الله تعالى عليه داعياً وكفياً، وكفى بالله شهيداً).

وكتب بخطه في هذا الشهر - أي صفر - وفي هذه السنة - أي سنة (٢٠٢ هـ) والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلّم، وحسبنا الله، ونعم الوكيل ^(١).

وانتهت هذه الوثيقة، وقد حكمت صوراً رهيبه من لاضطراب السياسي الذي مُنيت به البلاد الإسلامية، فقد انتشرت فيها الثورات الشعبية، وعمت فيها الفتن، وهذا مما يؤكّد بعض المصادر من أنّ عصر المأمون كان عصر فتن، واضطراب وقد أحمده هذه الثورات، واستأصل جذورها الفضل بن سهل، فقد كان خبيراً، ومضطرباً بإخماد الثورات وقد أريقته أنهار من الدماء، وانتشر الحزن والحداد في معظم الأقطار الإسلامية، ومن الطبيعي أنّ تلك الثورات كانت ناجمة عن الظلم والجور، السائدين في ذلك العصر، فقد ساس العباسيون العالم الإسلامي سياسة قائمة لا بصيص فيها من نور العدل والحق.

وعلى أيّ حال فإنّ هذه الوثيقة بقسمتها لم تكن من إنشاء الإمام الرضا عليه السلام، وإنما كانت من إنشاء الجهاز الحاكم وأعوانه، ونسبت إلى الإمام الرضا، لتكسب الجهة الشرعية، وتكون غير قابلة للنقض ويدعم ذلك ما يلي:

أولاً: إنّ هذه الوثيقة قد منحت الملايين من الأموال إلى الفضل بن سهل، ووهبته

عيون أخبار الرضا ٢/١٥٤ - ١٥٩.

الثراء العريض جزاءً لخدماته للمأمون وقمعه للثورات المعادية له، ومن الطبيعي أنّ تلك الأموال إنما هي من الخزينة المركزية التي هي ملك لجميع المسلمين، ومما لا شبهة فيه أنه لا يجوز التفريط بأقل القليل من أموال المسلمين ولا يجوز أن تعطى مكافأة أو غير ذلك إلى أي شخص، وإنما يجب انفاقها على صالح المسلمين وتطوير حياتهم، وانعاشهم ونشر الرخاء عليهم، فكيف جاز للإمام ان يجيز ذلك ويقر منح هذه الأموال للفضل.

ثانياً: إنّ هذه الوثيقة قد حوت آيات من المدح والثناء على المأمون والفضل بن سهل، والطعن في ثورة أبي السرايا وثورة جعفر بن محمد الطالبين، وكل ذلك ليس من خلق الإمام الرضا عليه السلام، فهو لا يمدح أحداً حتى يكون جديراً بالمدح والثناء، ولا يذم كذلك أحداً حتى يكون جديراً بالذم والتوهين، كانت هذه سيرته ومنهجه، فكيف يمنح المأمون هذا الثناء، وكيف يمدح هذا الفضل بهذا المدح؟ مع العلم أنّه سلام الله عليه كان يكن في أعماق نفسه ودخائل ذاته الكراهية والبغضاء لهما؛ وذلك لعلمه بما انطوت عليه نفوسهما من الشر، والحقد عليه، وإتّما قام المأمون بتكريم الإمام ومنحه ولاية العهد لمناورة سياسية لم تكن خافية عليه.

ثالثاً: إنّ هذه الوثيقة تتنافى مع ما اشترطه الإمام عليه السلام على المأمون في قبوله لولاية العهد أن لا يتدخل في أي أمر من أمور الدولة، ويكون بمعزل عن جميع الأحداث السياسية، فكيف يتدخل في أمر الفضل، ويجازيه على إخلاصه للمأمون، وعلى سعيه في إخماد الثورات الملتهبة التي اندلعت ضد المأمون؟!!!

هذه بعض المؤاخذات التي تواجه نسبة هذه الوثيقة للإمام الرضا عليه السلام.

مع أخيه زيد:

وانضم زيد إلى الثورة التي أعلنها أبو السرايا داعية محمد بن إبراهيم الحسني، وقد قلّد زيدا ولاية (الأهواز)، فسار إليها ليتولّى مهام منصبه، فاجتاز على (البصرة)، وكانت خاضعة للحكم العباسي فأحرق دور بني العباس، ومن أجل ذلك لقب بزيد النار، ولما فشلت ثورة أبي السرايا، واستتر زيد فطلبه الحسن بن سهل فظفر به، فحبسه، ولم يزل في الحبس حتى ظفر إبراهيم شيخ المغنّيين المعروف بابن شكلة،

فهجم البغداديون على السجن، وأخرجوا زيدا من السجن، ومضى إلى يثرب، ودعا

لبيعة محمد بن جعفر فبعث المأمون جيشاً فقبض على الثورة، وأسر زيد وحجىء به مخفوراً إلى المأمون فقال له:

(يا زيد خرجت بالبصرة، وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا من أمية وثقيف، وغنى، وباهلة، وآل زياد، وقصدت دور بني عمك - يعني بني العباس -).

فقال له زيد بمرح:

(يا أمير المؤمنين أخطأت من كل جهة، وإن عدت للخروج بدأت بأعدائنا).

وضحك المأمون، وبعثه إلى الإمام الرضا عليه السلام وقال له: وقد وهبت لك جرمه فأحسن أدبه ^(١)، ولما مثل أمام الإمام عليه السلام قال له:

ويلك يا زيد، فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت، وتزعم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لأشد الناس عليك رسول الله (ص) يا زيد ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطي به...).

ولما انتهى كلام الإمام إلى المأمون بكى، وقال: هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله (ص) ^(٢).

مع أخته فاطمة:

وكتب الإمام الرضا عليه السلام وهو في (خراسان) إلى السيدة الزكية فاطمة المعروفة بالسيدة معصومة أن تلحق به، فقد كانت أثيرة عنده، عزيزة عليه، ولما انتهى الكتاب إليها تجهّزت وسافرت إليه ^(٣) ولما وصلت إلى (ساوه) مرضت فسألت عن المسافة بينها وبين (قم) فقيل لها: عشرة

فراسخ فأمرت بحملها إلى (قم)، فحملت إليها، ونزلت في بيت موسى بن خزرج بزمام ناقتها، وأقدمها إلى داره فبقيت عنده سبعة عشر يوماً ثم انتقلت إلى حظيرة القدس، فقام موسى بتجهيزها، ودفنها في أرض كانت له، وبني على مرقدها الطاهر

(١) تنقيح المقال ١ / ٤٧١.

(٢) مرآة الجنان ٢ / ١٣.

(٣) جوهرة الكلام (ص ١٤٦).

سقيفة من البواري إلى أن بنت عليها السيدة زينب بنت محمد بن علي الجواد قبة^(١)، وأصبح مرقدتها الطاهر من أعزّ أمكنة العبادة، والمرآد المطهّرة في الإسلام، كما أصبحت تلك المدينة المقدّسة جامعة من جوامع العلم، ومركزاً من مراكز الثقافة في الإسلام.

ويقول الحسن بن محمد القمي: كنت عند الإمام الصادق عليه السلام فقال: (إنّ الله حرماً وهو مكّة، ولرسوله (ص) حرماً وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ولنا حرماً وهو (قم)، وستدفن فيه امرأة من ولدي تسمّى فاطمة، من زارها وجبت له الجنة)^(٢) وقد أعلن الإمام الصادق عليه السلام ذلك قبل ولادتها.

صلاة العيد:

وطلب المؤمن من الإمام الرضا عليه السلام أن يصلي بالناس صلاة العيد، ويخطب بعد الصلاة، لتطمئن بذلك قلوب العامة، ويعرفوا فضله، فامتنع الإمام من إجابته، وقال له: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط، وهي عدم تدخّله في أي أمر من الأمور، فقال المؤمن: إنّما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة والجنود، والشاكرية، هذا الأمر فتطمئن قلوبهم، ويقروا لما فضلك الله به، وأصرّ المؤمن عليه، فاضطرّ إلى إجابته، ولكنّه شرط عليه أن يخرج إلى الصلاة كما كان يخرج جدّه رسول الله ﷺ وجدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له المؤمن: اخرج كيف شئت، وأوعز المؤمن إلى القوات المسلحة، وإلى سائر الناس باستقبال الإمام الرضا عليه السلام، وخرجت الجماهير تنتظر خروج الإمام، وقد غصّت بهم الطرقات وأشرفوا من أعلى منازلهم، ولما طلعت الشمس قام الإمام فاغتسل، ولبس عمامة بيضاء وألقى طرفاً منها على صدره الشريف، وطرفاً بين كتفيه، وأمر موابيه أن يصنعوا مثل صنعه، ثم أخذ بيده عكّازة، وخرج بتلك الحالة التي تعنو لها الجباه، ورفع رأسه الشريف إلى السماء فكبر أربع تكبيرات، وقد تهيأ الجيش، وتزين بأحسن زينة، ثم وقف على الباب فكبر أربعاً وقال: (الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام الحمد لله على ما أبلانا...).

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر ٢ / ٤٣٩.

(٢) تحفة العالم (ص ٣٦) البحار.

وضحّت الأرض بالتكبير، وماج الناس، وعلت أصواتهم بالتكبير وتذكروا في صورة الإمام عليه السلام صورة جدّه الرسول (ص) الذي طوّر الحياة الفكرية في الأرض، وتبيّن لهم زيغ أولئك الملوك الذين حكموهم بالظلم والجور.

وكان الإمام العظيم سلام الله عليه يمشي على قدميه، ويقف في كل عشر خطوات، ويكبر الله تعالى أربع مرات، وتخيّل الناس أنّ السماء والأرض، والحيطان تجاوبه، وصارت (مرو) ضجّة واحدة، وبلغ المأمون ذلك فارتاع، وفرع، وانبرى إليه الفضل بن سهل فقال له:
(يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلّي على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع...).

وبعث المأمون بعض جلاوزته إلى الإمام فسأله الرجوع، فدعا عليه السلام بحقه فلبسه ورجع من دون أن يصلّي بالناس^(١)، وقد أظهرت هذه البادرة روحانية الإمام، وزهده في الدنيا، ورفضه لمباهج الملك والسلطان، ويصف البحري خروج الإمام عليه السلام إلى الصلاة بهذه الكيفية بقوله:

ذَكَرُوا بَطَلَعَتِكَ النَّبِيَّ فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصَّفُوفِ وَكَبَّرُوا
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمَصَلَّى لِابْسَاءً نَوْرَ الْهَدَى يَبْدُو عَلَيْكَ فَيُظْهِرُ
وَمَشِيَتِ مَشِيَةً خَاضِعٍ مُتَوَاضِعٍ اللَّهُ لَا يَزْهَمُ وَلَا يَتَكَبَّرُ
وَلَوْ أَنَّ مَشْتَقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وَسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ^(٢)

ويقول الرواة: إنّ خروج الإمام إلى الصلاة بهذه الكيفية كانت من أهم العوامل التي أدّت إلى حقد المأمون على الإمام، وإقدامه على اغتياله.

استسقاء الإمام:

وحبس المطر عن الناس، فعزى ذلك بعض الحاقدين على الإمام عليه السلام ذلك إلى تولّيه ولاية العهد، وأخذوا يذيعون ذلك وينشرونه في الأوساط الشعبية للطعن بشخصية الإمام عليه السلام وبلغ المأمون ذلك، فثقل

(١) أصول الكافي ١ / ١٨٩ - ١٩٠ عيون أخبار الرضا ٢ / ١٥٠ - ١٥١، المناقب ٤ / ٣٧١ - ٣٧٢، كشف الغمّة.

(٢) المناقب ٤ / ٣٧٢.

عليه، وعرض ذلك على الإمام وطلب منه أن يدعو الله تعالى لينزل المطر على الناس، فأجابه الإمام:
إني أفعل ذلك يوم الاثنين، فقال له المأمون: ولم ذلك، فقال عليه السلام:

(إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة، ومعه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقال: يا بني انتظر يوم الاثنين،
فابرز إلى الصحراء واستسق، فإن الله تعالى سيسقيهم، وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون من حالهم
ليزدادوا علماً بفضلك ومكانك من ربك عز وجل...).

وانتظر المأمون، وباقي حاشيته الاثنين، وقد أوعز إلى جميع الأوساط الشعبية بالخروج إلى الصحراء يوم
الاثنين، ولما حل هذا اليوم هرعت الناس إلى الصحراء، وخرج الإمام عليه السلام وعليه هيئة الأنبياء فلما
انتهى إلى الصحراء نصب له منبر وقد حقت به الجماهير، وقد علت أصواتهم بالتهليل والتكبير.

دعاء الإمام:

واعتلى الإمام المنبر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: (اللهم يا رب أنت عظمت حننا أهل
البيت، فتوسلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلك، ورحمتك، وتوقعوا إحسانك، ونعمتك، فاسقهم سقياً
نافعاً، عاماً، غير رايت^(١) ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم
ومقارهم...)

وأضاف الإمام قائلاً:

(فوالذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً، لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم، وأرعدت وأبرقت...).
ولما سمعت الجماهير كلام الإمام أرادت الرجوع إلى أهلها لئلا يصيبهم المطر، فقال عليه السلام: ليست
هذه السحابة التي أطلت عليكم لكم، وإنما هي لبلد وسماء لهم.
وهكذا أطلت على الجماهير عشر سحب متوالية، ويخبر الإمام عن كل سحابة أتمها تهطل في بلد
وسماء، وأطلت السحابة الحادية عشر، فقال عليه السلام:

(١) غير رايت: أي غير بطيء.

(أيها الناس: هذه سحابة بعثها الله عزّ وجل لكم، فاشكروا الله على تفضّله عليكم، وقوموا إلى مقاركم، ومنازلكم، فإنّها مساقاة لكم، ولرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا إلى مقاركم، ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله...).

ثم نزل من على المنبر، وسارعت الجماهير إلى بيوتها، فلما انتهت إليها هطلت السحابة بوابل من المطر لم يسبق له مثيل فملئت الأودية والحياض، والغدران، والفلوات.
وأيقن الناس بكرامة أهل البيت، وما لهم من المنزلة الوثيقة عند الله تعالى، وقالوا: هنيئاً لولد رسول الله ﷺ كرامات الله عزّ وجل لهم، وكانت هذه الكرامة من كرامات هذا الإمام العظيم.

خطاب الإمام:

وخطب الإمام عليه السلام في حفل كبير حاشد على أثر هذه الكرامة فقال عليه السلام:
(أيها الناس: اتقوا الله في نعم الله عليكم، فلا تنفروها عنكم بمعاصيه بل استديموها بطاعته، وشكره على نعمه وأياديه، واعلموا أنّكم لا تشكرون الله تعالى بشيء بعد الإيمان بالله، وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله ﷺ، أحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لهم إلى جنان ربهم، فإنّ من فعل ذلك من خاصة الله تبارك وتعالى وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك قولاً ما ينبغي لقائل أن يزهد في فضل الله عليه فيه إن تأمله وعمل عليه؟
قيل: يا رسول الله هلك فلان يعمل من الذنوب كيت، وكيت، فقال رسول الله: بل قد نجا، ولا يحتتم الله عمله إلاّ بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيئات، ويبدلها حسنات، إنّه كان يمر مرة في طريق، عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر فسترها عليه، ولم يخبره مخافة أن يخجل، ثم إنّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه^(١) فقال له: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب، ولا ناقشك في الحساب، فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يحتتم الله له إلاّ بخير بدعاء ذلك

(١) المهواة: المطمئن من الأرض ما بين جبلين.

المؤمن، فاتصل قول رسول الله (ص) بهذا الرجل فتاب وأناب، وأقبل على طاعة الله عزّ وجل، فلم تأت سبعة أيام حتى أغير على سرح^(١) المدينة، فوجه رسول الله (ص) في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد...).

وانتهى خطاب الإمام، وقد حفل بالدعوة إلى تقوى الله تعالى والتعاون والتآلف بين المسلمين، واعتبر ذلك من أفضل الطاعات والقربات إلى الله تعالى.

عتاب وتحذير:

وتحدثت الأندية والمجالس عن استسقاء الإمام عليّ^(ع) وهطول الأمطار الغزيرة بدعائه، وقد ورمت أنوف العباسيين وعملائهم، وتميزوا غيظاً وغضباً فقد ظهر فضل العلويين، وما لهم من المنزلة العظيمة عند الله تعالى وقد اشتد وغد خبيث كالكلب نحو المأمون، وجعل يعاتبه، ويحذره من عقده ولاية العهد للإمام وظهور هذه الكرامة له قائلاً:

(يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تكون تأريخ الخلفاء^(٢) في إخراجك هذا الشرف العميم، والفخر العظيم من بيت ولد العباس إلى بيت ولد علي).

لقد أعنت على نفسك وأهلك، وجئت بهذا الساحر، ولد السحرة، وقد كان خاملاً فأظهرته، ومتضعاً فرفعته، ومنسياً فذكرت به، ومستخفاً فتوهت به، وقد ملا الدنيا مخزقة^(٣) وتشوقاً بهذا المطر الوارد عند دعائه، وما أخوفني أن يخرج هذا الرجل هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي، بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك، والتوائب^(٤) على مملكتك، هل جنى أحد على نفسه وملكه مثل جنابتك؟!...).

وحكى هذا منطق الجاهلية الرعناء التي حكمت على الرسول الأعظم أنه ساحر، وذلك لظهور المعاجز والآيات على يده، وكذلك حكموا على حفيده بهذا الحكم.... ولنستمع إلى جواب المأمون:

(١) السرح: المال السائم.

(٢) قوله: أن تكون تأريخ الخلفاء: كناية عن عظيم الواقعة وهي عقده بولاية العهد للإمام، وأنها ستكون موضع تأريخ للناس، ويحتمل أن يكون المراد أنت آخر الخلفاء.

(٣) المخزقة: الشعبة.

(٤) وفي نسخة البحار (الريث).

(وقد كان هذا الرجل - يعني الإمام - مستتراً عنّا، يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا، وليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس ممّا ادعى في قليل ولا كثير، وأنّ هذا الأمر لنا من دونه، وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينفثق علينا منه ما لا نسده، ويأتي علينا منه ما لا نطبقه، والآن فإذا قد فعلناه، وأخطأنا في أمره بما أخطأنا، وأشرفنا من الهلاك بالتنويه على ما أشرفنا فليس يجوز التهاون في أمره، ولكنا نحتاج أن نضع منه قليلاً، قليلاً، حتى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر ثم ندبر فيه بما يحسم عنّا مواد بلائه...) (١).

لقد كشف المأمون الغطاء عن الدوافع التي دعت له لعقد ولاية العهد للإمام عليّ وهو: أولاً: إنّ الإمام عليّ كان يدعو الناس إلى نفسه سرّاً وبتقليده لولاية العهد يكون دعاؤه للمأمون، ويعترف بملكه وخلافته.

ثانياً: إنّّه أراد أن يظهر للملأ أنّ الإمام عليّ لم يكن زاهداً في الحكم، ومبتغياً للدار الآخرة. وقد اعترف أخيراً بالخطأ في ترشيحه لهذا المنصب، وانتدابه للقيام بالاستسقاء وغيره التي ظهرت روحانيته، وعظيم مكانته عند الله، ولكنّه سوف يبغى له الغوائل، ويكيده حتى يقضى عليه.

خشية المأمون من الإمام:

وخشي المأمون من الإمام، وفزع من التفاف الجماهير حوله، وخاف على ملكه من الزوال، فقد استبان للناس فضل الإمام عليّ وروحانيته، وأنّه هو القادر على أن ييسط العدل السياسي، والعدل الاجتماعي في ربوعهم، وأنّ بني العباس لا لايقة لهم لزعامة الأمة والتحكّم في سلطان المسلمين.

قرارات هامّة:

وأخذ المأمون يطيل التفكير، ويقلب الرأي على وجوهه مع مستشاريه للتخلّص من الإمام، فاتخذ من القرارات ما يلي:

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦٩ - ١٧٠.

أولاً: عقد المؤتمرات العلمية التي تضم كبار علماء الدنيا لامتحان الإمام لعلّه يعجز عن الإجابة فيتخذ من ذلك وسيلة للطعن في شخصية الإمام، وإبطال مذهب التشيع الذي ينص على أنّ الإمام لا بد أن يكون أعلم أهل عصره، كما أنه إذا عجز الإمام فإنّه يكون في فسحة من عزله عن ولاية العهد.

وقد فشلت هذه الخطة فشلاً ذريعاً، فقد حلّق الإمام، وارتفع صيته، وأقرّت جميع الوفود العلمية التي سألته بأنّه يملك طاقات هائلة من العلوم لا تحد، وأنّه فوق العلماء في مواهبه وعبقرياته، الأمر الذي أوجب أن يقر بإمامته طائفة من كبار العلماء الذين امتحنوه.

ثانياً: فرض الرقابة عليه، وإحاطته بقوى مكثّفة من الأمن تحصي عليه أنفاسه، وقد أسندت مديرية الرقابة التي تشرف عليه إلى هشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني، وكان إبراهيم فيما يقول الرواة عالماً أديباً، وكانت أمور الإمام الرضا عليه السلام قبل أن يحمل إلى (خراسان) تجري من عنده وعلى يده، كما أنّ الأموال التي كانت ترسل إلى الإمام كانت تبعث على يده، ولمّا حمل الإمام إلى (خراسان) اتصل إبراهيم بذوي الرياستين فأغراه بالمنصب والأموال، فتغلب هوامه على دينه فانحرف عن الحق،

فصار عيناً على الإمام فجعل ينقل جميع أخباره وشؤونه إلى الفضل والى المأمون، وقد أسند إليه المأمون حجابة الرضا، فكان لا يصل إليه إلاّ من أحب، وضيّق على الإمام غاية التضييق، وكان لا يتكلم بشيء قلّ أو كثر إلاّ أوردته على المأمون وعلى وزيره الفضل^(١)؛ وبذلك فقد سيطر المأمون على جميع شؤون الإمام، وعرف جميع من يتصل به.

ثالثاً: طرد الشيعة من الحضور في مجالس الإمام والاستماع إلى حديثه، وقد عهد المأمون للقيام بذلك إلى حاجبه محمد بن عمرو الطوسي فطرد الشيعة، وزيّهم من الالتقاء بالإمام عليه السلام، وقد قابل المأمون الإمام بشراسة فغضب عليه السلام، وقام فصلّى ركعتين، وقال في قنوته:

(اللهم يا ذا القدرة الجامعة والرحمة الواسعة، والمنن والمتابعة والآلاء والمتواليّة، والأأيادي الجميلة، والمواهب الجزيلة، يا من لا يوصف بتمثيل، ولا يمثل بنظير، يا

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٥٣.

مَنْ خَلَقَ فَرَزَقَ، وَأَلْهَمَ فَأَنْطَقَ وَابْتَدَعَ فَشَرَعَ، وَعَلَا فَارْتَفَعَ، وَقَدَّرَ فَأَحْسَنَ، وَصَوَّرَ فَأَتَقَنَ، وَأَجْنَحَ فَأَبْلَغَ، وَأَنْعَمَ فَأَسْبَغَ، وَأَعْطَى فَأَجْزَلَ، يَا مَنْ سَمَا فِي الْعِزِّ فَفَاتَ خَوَاطِفَ الْأَبْصَارِ، وَدَنَا فِي اللَّطْفِ فَجَازَ هَوَاجِسَ الْأَفْكَارِ.

يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْمَلِكِ فَلَا نَدَّ لَهُ فِي مَلَكُوتِ سُلْطَانِهِ، وَتَوَحَّدَ بِالْكَبْرِيَاءِ فَلَا ضِدَّ لَهُ فِي جَبْرُوتِ شَأْنِهِ، يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاءِ هَيْبَتِهِ دَقَائِقُ لَطَائِفِ الْأَوْهَامِ، وَحَسَرَتْ دُونَ إِدْرَاكِ عَظَمَتِهِ خَطَايِفَ أَبْصَارِ الْأَنْامِ، يَا عَالَمَ خَطَرَاتِ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ وَشَاهِدِ لِحِظَاتِ أَبْصَارِ النَّاطِرِينَ، يَا مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِهَيْبَتِهِ وَخَضَعَتِ الرِّقَابَ لَجَلَالَتِهِ، وَوَجَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنْ خَيْفَتِهِ، وَارْتَعَدَتِ الْفَرَايِضُ مِنْ فِرْقِهِ، يَا بَدِيءُ يَا بَدِيعُ، يَا قَوِيَّ يَا مَنِيعُ، يَا عَلِيَّ، يَا رَفِيعُ، صَلَّى عَلَيَّ مَنْ شَرَفَتِ الصَّلَاةُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَانْتَقَمَ لِي مِمَّنْ ظَلَمَنِي، وَاسْتَخَفَّ بِي، وَطَرَدَ الشَّيْعَةَ عَنِ بَابِي وَأَذَاقَهُ مَرَارَةَ الذَّلِّ وَالْهَوَانَ كَمَا أَذَاقْنِيهَا، وَاجْعَلْهُ طَرِيدَ الْأَرْجَاسِ وَشَرِيدَ الْأَنْجَاسِ...^(١)

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ ثَارَتْ الْغَوْغَاءُ عَلَى الْمَأْمُونِ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِ وَلاَقَى مِنَ الرَّعْبِ وَالْهَوَانِ مَا لَا يُوصَفُ.

وَقَامَ الْمَأْمُونُ مَرَّةً أُخْرَى بِطَرْدِ الشَّيْعَةِ، وَحَاوَلَ النِّكَايَةَ بِالْإِمَامِ فَلَمَّا عَلِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ قَامَ فَاغْتَسَلَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَدَعَا فِي قَنُوتِهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ:

(اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، الْحَيُّ الْمَمِيتُ، الْمُبْدِئُ، الْبَدِيعُ، لَكَ الْكَرَمُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الْمَنُّ، وَلَكَ الْأَمْرُ، وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، يَا وَاحِدًا، يَا أَحَدًا يَا فَرْدًا، يَا صَمَدًا، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدًا، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ...)

ثُمَّ دَعَا اللَّهَ بِصَرْفِ مَا أَمَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُ كَيْدَ الْمَأْمُونِ وَبَغِيهِ^(٢).

عدم محاباة الإمام للمأمون:

ولم يجار الإمام عليه السلام المأمون، ولم يصانعه، وإنما وقف منه موقفاً يتسم بالجد والصراحة، والنقد اللاذع لبعض أعماله وكان المأمون يتميز غيظاً، ويكتم ذلك، مجارة للإمام عليه السلام وكان من بين مواقفهم مع المأمون ما يلي:

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) هامش المصباح (ص ٢٩٣).

١ - إنّ المأمون لما عرض الخلافة على الإمام، وقال له: (إني رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، وأجعلها لك، وأبايعك...).

وانظروا إلى صراحة الإمام في جوابه قال عليه السلام:

(إن كانت هذه الخلافة لك، والله جعلها لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله، وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك...)^(١).

أرأيتم هذا المنطق الفياض، والحجة الدامغة الحافلة بالحق والصدق، وقد فقد المأمون إهابه، فلم يدر ماذا يقول فالتجأ إلى الصمت والسكوت.

٢ - ولما امتنع الإمام عليه من قبول الخلافة عرض عليه المأمون ولاية العهد، فأجابه بهذا الجواب قائلاً:

(تريد بذلك - أي بتقليده لولاية العهد - أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى الرضا لم يزهدي في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد؟...).

والتعاضد المأمون، وورم أنفه، وصاح بالإمام عليه السلام قائلاً: (إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلا أجزيتك على ذلك، فان فعلت وإلا ضربت عنقك...)^(٢).

إنّ الإمام عليه السلام في جميع خطواته وأعماله قد أثر رضى الله تعالى، فلم يحاب أحداً، ولم يصانع مخلوقاً، ولو صانع المأمون وتقرب إليه، وأرضى عواطفه لما قدم المأمون على اغتياله وقتله.

٣ - وكان من صراحة الإمام عليه السلام وعدم محاباته للمأمون أنّ المأمون قال له: (يا أبا الحسن إني فكرت في شيء، فنتج لي الفكر الصواب فيه، فكرت في أمرنا وأمركم، نسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية...).

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤٠.

فقال له الإمام:

(إنّ لهذا الكلام جواباً، إن شئت ذكرته لك، وإن شئت أمسكت...).

وسارع المأمون قائلاً:

(إنيّ لم أقله إلاّ لأعلم ما عندك منه...).

وانبرى يقيم له الحجّة على أنّ العلويين أحق بالنبي، وأقرب إليه من العباسيين قائلاً: (أنشدك بالله يا أمير المؤمنين، لو أنّ الله تعالى بعث نبيّه محمداً ﷺ فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام يخطب إليك ابنتك كنت مزوّجه إياها؟

فقال المأمون: (يا سبحان الله!! وهل أحد يرغب عن رسول الله (ص)؟).

وبادر الإمام الرضا قائلاً:

(افتراه كان يحل له أن يخطب إليّ؟...).

وأفحم المأمون ولم يجد منفذاً يسلك فيه لتبرير قريهم من النبي ﷺ، فقد أقام الإمام حجّة دامغة لا مجال لإنكارها والشك فهم أبناء بنته البضعة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وأبناؤها أبنائه، وراح المأمون يقول:

(أنتم والله أمس برسول الله رحماً...)^(١).

وليس استحقاق أهل البيت للخلافة باعتبار أنّهم ألصق الناس برسول الله (ص) وأقربهم إليه، وإنّما لمواهبهم وعبقرياتهم ودراياتهم بما تحتاج إليه الأمة في جميع مجالاتها الإدارية والاقتصادية.

الإمام يرفض تعيين الولاة:

وعرض المأمون على الإمام الرضا عليه السلام تعيين من يشاء ويختار ليكون والياً على بعض الأقاليم الإسلامية، ورفض الإمام عليه السلام الاستجابة لهذا الطلب، وقال له:

(إنيّ إنّما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر ولا أنهي، ولا أعزل ولا أشير حتى

(١) كنز الفوائد (ص ١٦٦).

يقدمني الله قبلك، فوالله إنَّ الخلافة لشيء ما حدثت به نفسي، ولقد كنت بالمدينة أتردد في طرقها على دابتي، وأنَّ أهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فأقضيها لهم، فيصيرون كالأعمام لي وإنَّ كتي لنافذة في الأمصار، وما زدني من نعمة هي عليّ من ربّي^(١).

لقد رفض الإمام عليّ رفضاً تاماً التدخّل في أيّ شأن من شؤون الدولة، وذلك للتدليل على عدم شرعية دولة المأمون، وأنّه إنّما دخل فيها عن كره وإجبار.

الإمام يخبر بعدم دخوله بغداد:

وقال المأمون للإمام الرضا عليّ ندخل بغداد، وعرض عليه ما يفعله فيها، فقال عليّ له: تدخل أنت بغداد، وسمع بعض الشيعة هذا الكلام ففرغ لأنه يؤذّن بعدم دخول الإمام إلى بغداد، واحتلى بالإمام، وقال له: إيّ سمعت شيئاً غمّني، وذكر له ما قاله الإمام، فقال عليّ له: (ما أنا وبغداد، لا أرى بغداد، ولا تراي...)^(٢).

وكان ذلك من دلائل إمامته، فإنّه لم يفارق (خراسان)، حتى اغتاله المأمون، ولم ير بغداد.

الإمام والفضل بن سهل:

أمّا الفضل بن سهل^(٣)، فهو أقوى شخصية في دولة المأمون، ويتمتع

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦٦ - ١٦٧. (٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) الفضل بن سهل السرخسي أسلم على يد المأمون سنة (١٩٠ هـ) وكان من أخير الناس بعلم النجوم، وقد طلب المأمون من والدة الفضل أن ترسل إليه بما خلفه ابنها فأرسلت إليه صندوقاً صغيراً محتوماً ففضّته، فإذا فيه درج، وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطّه بعد البسملة هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه، قضى أنّه يعيش ٤٨ سنة، ثم يقتل ما بين ماء ونار، وقد عاش هذه المدة، ثم قتله غالب خال المأمون بسرخس، ومن بديع ما قاله إبراهيم بن العباس الصولي في مدحه:

لفضل بن سهل يمد	تقاصر عنهما المثمل
فنائله للغني	وسطوتها للأجمل
وباطنه للندي	وظاهره للقبيل

ويقول في مدحه أبو محمد عبد الله بن محمد:

لعمرك ما الأشرف في كل بلدة	وإن عظموا للفضل إلا صنائع
ترى عظماء الناس للفضل خشعاً	إذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضع لِمَا زاده الله رفعة	وكل جليل عنده متواضع

وأصيب الفضل بابن يقال له العباس فجزع عليه جزعاً شديداً فدخّل عليه إبراهيم نجل الإمام موسى بن جعفر عليّ فعزاه وأنشده.

خير من العباس أجرك بعده	والله خير منك للعباس
-------------------------	----------------------

فقال له الفضل صدقت، وجاء ذلك في وفيات الأعيان ٣ / ٢٠٩ - ٢١١.

بصلاحيات واسعة النطاق، فقد سيطر على جميع أجهزة الدولة فكان دوره في حكومة المأمون كدور البرامكة أيام هارون الرشيد وكان ماهراً في الشؤون السياسية، ويقول فيه إبراهيم بن العباس:

وإذا الحروب غلت بعثت لها رأياً تفعل به كئيبها
 رأياً إذا نبت السيف مضي عزم به فشفي مضارها
 أجرى إلى فتنة بدولتها وأقام في أخرى نواديبها^(١)

وحكى هذا الشعر عن مهارة الفضل في الشؤون السياسية، وأنه برأيه يستطيع أن يقضي على دولة ويقوم أخرى كما فعل في إسقاط دولة الأمين، وإقامة دول المأمون.

وعلى أي حال فقد كان الفضل أحد المتفاوضين للإمام الرضا عليه السلام في قبوله لولاية العهد، وقد هدّد الإمام، وتوعّده إن رفض ذلك، ونعرض فيما يلي إلى بعض شؤون الإمام عليه السلام معه.

عرض كاذب لاغتيال المأمون:

وقام الفضل بن سهل وهشام بن إبراهيم بعملية لخداع الإمام الرضا عليه السلام والقضاء عليه، فقد طلبا منه أن يجلي مجلسه من كل أحد، ليفوضاه في سر، وأحلى الإمام مجلسه، فخرج الفضل يميناً مكتوبة بالعتق والطلاق، وما لا كفارة له، وقال له: (إنما جئناك لنقول كلمة الحق والصدق، وقد علمنا أنّ الإمرة أمرتكم، والحق حثكم يا بن رسول الله، والذي نقوله بألسنتنا عليه ضمائرنا، إلّا ينعق ما نملك، والنساء طوالق، وعلينا ثلاثون حجة راجلين، على أن نقتل المأمون، ونخلص لك الأمر، حتى يرجع الحق إليك...).

(١) الأغاني ٩ / ٣١ - ٣٢.

ولم يخف على الإمام خداعيتهما، وزيف قوليهما، فلو كانا صادقين في القول لقاما بذلك، قبل أن يفاوضا الإمام، وهما يعلمان انه عليه السلام يرفض كل محاولة لا يقرها الإسلام، والتي منها عملية الاغتيال، فزجرهما، وقال لهما: (كفرتما النعمة، فلا تكون لكما السلامة، ولا لي إن رضيت بما قلتما...).

وبادرا نحو المأمون فاخبراه بمقالة الإمام فجزاهما خيراً، وسارع الإمام نحو المأمون، وأعلمه بالأمر، وذلك لتبرير ساحته، وتبيّن للمأمون أن الإمام لا يضمّر له سوءاً^(١) وأكبر الظن أنّ هذه العملية كانت بتدبير من المأمون للاطلاع على نوايا الإمام تجاهه.

وشاية بالإمام:

وعرضت البحوث الواعية في دراسة التاريخ الإسلامي إلى أنّ الفضل بن سهل لم يكن علوي الفكر^(٢)، فقد قام بخطوات رهيبية معادية للإمام الرضا عليه السلام، والتي كان منها وشايته بالإمام إلى المأمون، فقد قال له: (إنّك جعلت ولاية العهد لأبي الحسن، وأخرجتها من بني أبيك والعامّة، والعلماء، والفقهاء، وآل عباس لا يرضون بذلك وقلوبهم متنافرة عنك...)^(٣).

أرأيتم كيف حرّض الفضل على النكاية بالإمام، والوشاية به فقد ملأ قلب المأمون حقداً وكرهية للإمام عليه السلام.

معارضته للإمام:

وكان الفضل شديد المعارضة للإمام، فإذا ذهب الإمام إلى رأي عاكسه، ودعا المأمون إلى نقضه، وكان ذلك ما نقله الرواة أنّ المأمون دخل على الإمام، وقرأ عليه كتاباً، فيه أنّ بعض قوّاته فتحت بعض قرى (كابل)، فقال له الإمام:

(أو سرّك فتح قرية من قرى الشرك؟...).

وسارع المأمون قائلاً:

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦٧.

(٢) يراجع في ذلك إلى كتاب الإمام الرضا للسيد جعفر مرتضى، فقد نفى عن الفضل نسبة التشيع بصورة حازمة خلافاً لما ذهب إليه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣ / ٢٠٩ وغيره من أنّه كان شيعياً.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦٠.

(أو ليس في ذلك سرور؟...).

والتفت إليه فأرشده إلى موضع السرور الذي ينبغي أن يسلكه قائلاً:

(يا أمير المؤمنين اتق الله في أمة محمد ﷺ، وما ولاك الله من هذا الأمر، وخصّك به، فإنك قد ضيّعت أمور المسلمين، وفوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، وقعدت في هذه البلاد - يعني (خراسان) - وتركت بيت الهجرة، ومهبط الوحي، وإنّ المهاجرين والأنصار يظلمون دونك، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه، ويعجز عن نفقته، ولا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك).

فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين، وارجع إلى بيت النبوة ومعدن المهاجرين والأنصار، أما علمت أنّ والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط، من أراده أخذه؟...).

وحكت هذه الكلمات الصراحة والنصيحة الخالصة، وليس فيها أيّ محاباة للمأمون ولا مجازاة لعواطفه وميوله، والتفت إلى الإمام فقال له:

(يا سيدي فما ترى؟...).

وأشار الإمام عليه بالحق الذي فيه نجاته قائلاً:

(أرى أن تخرج من هذه البلاد، وتحوّل إلى موضع آبائك وأجدادك وتنظر في أمور المسلمين، ولا تكلمهم إلى غيرك، فإنّ الله تعالى سائلك عما ولاك...).

واستجاب المأمون لرأي الإمام وقال له:

(نعم ما قلت: يا سيدي، هذا هو الرأي...).

وأمر أن تقدم النوايب^(١) للخروج إلى (يثر)، وبلغ ذلك الفضل فغمّه الأمر، وسارع نحو المأمون فقال له:

(ما هذا الرأي الذي أمرت به؟...).

وعرض المأمون بما أشار عليه الإمام عليه السلام، من اتخاذ المدينة المنورة عاصمة للملك، وانبرى الفضل يفند هذه الفكرة، ويشير عليه بعكس ما أشار عليه الإمام قائلاً:

(١) النوايب: هي الجيوش والعساكر المعدة للنوايب.

(يا أمير المؤمنين ما هذا الصواب، قتلت بالأمس أخاك، وأزلت الخلافة عنه، وبنو أبيك معادون لك، وجميع أهل العراق، وأهل بيتك والعرب، ثم أحدثت هذا الحدث الثاني، إنك وليت ولاية العهد لأبي الحسن، وأخرجتها من بني أبيك، والعامّة والفقهاء والعلماء وآل العباس لا يرضون بذلك وقلوبهم متنافرة عنك.

فالرأي أن تقييم بخراسان حتى تسكن قلوب الناس على هذا، ويتناسون ما كان من أمر محمد أخيك، وها هنا مشايخ قد خدموا الرشيد، وعرفوا الأمر فاستشرهم في ذلك، فإن أشاروا بذلك فامضه).

فقال المأمون:

(من هم؟...).

فقال الفضل:

مثل علي بن أبي عميران وأبي يونس، والجلودي - هؤلاء الذين نقموا ببيعة أبي الحسن، ولم يرضوا بها...).

وأخيراً استجاب المأمون لرأي الفضل، وأعرض عمّا أشار عليه الإمام من اتخاذ (يثرب) عاصمة للملك^(١).

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦٠.

نهاية المطاف

ولم يمض قليل من الوقت على تقليد الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد حتى تنكّر له المأمون كأشد ما يكون التنكّر، وأضمر له السوء والغدر، وأخذ يبغى له الغوائل، ويكيده في غلس الليل، وفي وضح النهار، ففرض عليه الرقابة الشديدة، وحبسه في بيته ومنع العلماء والفقهاء من الاتصال به، والانتهاال من غير علومه كما منع سواد شيعته من التشرف بمقابلته.

وقد ورم أنف المأمون، وتميّز غضباً وغيظاً بما يتمتّع به الإمام عليه السلام من المكانة العظمية في نفوس المسلمين، وقد ترسّخت وازدادت حينما أُسندت إليه ولاية العهد، فقد رأوا ترسله، وعدم تكلفه، وبعده عن مغريات الحياة، وزهد في الدنيا، ومشاركته للناس في آلامهم، وحنوّه على الضعفاء، وعطفه على البؤساء، وسعة علومه، وإحاطته بما تحتاج إليه الأمة في جميع شؤونها، وشدة إنباته إلى الله تعالى وتقواه إلى غير ذلك من معالي أخلاقه التي يحار الفكر فيها، والتي هي امتداد ذاتي إلى أخلاق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي طوّر الحياة، وقضى على جميع التخلف والانحراف في دنيا العرب والمسلمين.

رأى الناس الأخلاق العلوية الماثلة في الإمام الرضا عليه السلام فهاموا

بحبّه، وآمنوا بإمامته، في حين أنّ المأمون وسائر ملوك بني العباس قد اتصفوا بضد ما اتصف به الإمام فإنّهم من حين أن تقلّدوا الخلافة لم يؤثّر عن أي أحد منهم مكرمة أو فضيلة فقد انسابوا وراء شهواتهم وملذاتهم، وأنفقوا الملايين من أموال المسلمين على لياليهم الحمراء، ورحم الله أبا فراس الحمداني الشاعر الملهم والتائر على الظلم والجور فقد قارن في رائعته الخالدة بين الحياة الرفيعة التي عاشها السادة العلويون، وبين الحياة الوضيعة المليئة بالإثم والمنكرات التي عاشها العباسيون يقول:

تمسي التلاوة في أيّاتهم سحرًا وفي بيوتكم الأوتار والبنغم
 إذا تلووا آيةً غيّي إمامكم: (قف بالديار التي لم يعفها قدم)
 ومنكم عليه أم منهم وكان لكم شيخ المغنّين إبراهيم، أم لهم؟
 ما في بيوتهم للخمر معتصر ولا يبيوتهم للشعر معتصم
 ولا تبيت لهم خنشى تنادمهم ولا يرى لهم قرد له حشم
 الركن والبيت والأستار منزلهم وزمزم والصفاء والحجر والحرم

إنّ سيرة العلويين مشرقة كالشمس بنور الإيمان، وسيرة خصومهم العباسيين مظلمة قائمة لا بصيص فيها بنور الإيمان، وهدى الإسلام وعلى أي حال فقد جهد المأمون أن يظهر للمجتمع الإسلامي عدم زهد الإمام الرضا عليه السلام في تقليده لولاية العهد إلاّ أنّه باء بالفشل فقد ظهر الإمام عليه كألمع شخصية عرفها العلم الإسلامي في تقواه وورعه، وإقباله على طاعة الله وعبادته، وعدم إشتراكه بأيّ منحى من المناحي السياسية.

ومهما يكن الأمر فإنّ هذا البحث هو الفصل الأخير من هذا الكتاب، ونعرض فيه إلى الشؤون الأخيرة من حياة الإمام عليه السلام ، وفيما يلي ذلك:

نصيحة الإمام للمأمون:

وقدّم الإمام عليه السلام نصيحة خالصة للمأمون، نقيّة من كثير من المشاكل السياسية، فقد أشار عليه أن يعفيه من ولاية العهد ويعفي الفضل بن سهل من الوزارة، وبذلك يتخلّص من كيد العباسيين وبغيهم عليه ^(١) إلاّ أن المأمون لم يعفهما، وإنّما قام باغتيالهما كما سنعرض ذلك.

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤٥.

عزم المأمون على الرجوع إلى بغداد:

وأخذ المأمون يطيل التفكير، ويقلب الرأي على وجوهه في الرجوع إلى (بغداد)، عاصمة آبائه، وزينة الشرق، ولكن يصدّه عن تحقيق هذه الأمنية الغالية أمران:

الأول: وجود الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهده الذي تحقد عليه الأسرة العباسية كأشد ما يكون الحقد، فقد خلعت بيعة المأمون، وبايعت ابن شكلة شيخ المعتنن انتقاماً منه لتقليده للإمام بولاية العهد.

الثاني: وجود وزيره الفضل بن سهل على المسرح السياسي فقد نقم عليه العباسيون، معتقدين أنه هو الذي حبّد للمأمون عقد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام.

ورأى المأمون أن يتخلّص من الإمام والفضل، ويصقّيهما جسدياً ليخلو له الجو، وينال بذلك رضى العباسين، ويزيل عنه سخطهم وانتقامهم، وهذا ما سنعرضه.

حمام سرنخس:

ورأى المأمون أن يتخلّص من الإمام الرضا عليه السلام، ومن الفضل بن سهل دفعة واحدة حتى تخلص له الأسرة العباسية فأوعز إلى عصابة مجرمة من عملائه القيام باغتيال الإمام والفضل في حمام (سرنخس)، وطلب منهما الدخول في الحمام في وقت واحد، ويكون هو معهما، وذلك لتغطية الأمر، وعدم انكشافه لأيّ أحد، وكان الإمام عليه السلام يقظاً حسّاساً فلم تخف عليه هذه المكيدة فرفض إجابته، فكتب المأمون إليه ثانياً يلتمسه، ويطرّجّاه فأجابه الإمام:

(لست بداخل غداً الحمام، فيأتي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام في هذه الليلة يقول لي: يا علي لا تدخل الحمام غداً، فلا أرى لك يا أمير المؤمنين، ولا للفضل أن تدخلوا الحمام غداً...).

فأجابه المأمون:

(صدقت يا سيدي، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله لست بداخل الحمام غداً، والفضل فهو أعلم وما يفعله...).

وتتضح مكيدة المأمون بالنسبة إلى الفضل فقد خلاه وشأنه ليلاقي مصرعه على

أيدي عصابته.

مصرع الفضل:

وبادر الفضل إلى الحَمَام، فحينما دخل فيه تناهبت جسمه سيوف العصابة فخرّ على الأرض صريعاً يتخبّط بدمه، وما هي إلا لحظات وإذا به جثّة هامدة لا حراك فيها، وبذلك فقد حقّق المأمون شطراً من مهمّته.

وحينما قتل الفضل سارع أصحابه نحو المأمون ليأخذوا الثأر منه، فقد علموا أنّه هو الذي أوعز بقتله، وبادر حرّاس قصر المأمون إلى غلق أبوابه خوفاً من هجوم الثوّار على المأمون إلا أنّ الثوّار حملوا أقبسة من النار لحرق أبواب القصر، ولما علم المأمون بذلك فرع، والتجأ إلى الإمام الرضا عليه السلام فاحتفى به، وخرج الإمام عليه السلام إلى الثوّار، وأمرهم بالانصراف فاستجابوا له، ونجا المأمون ببركة الإمام عليه السلام ^(١)، أمّا الذين قتلوا الفضل فكانوا خمسة أشخاص من حاشية المأمون كان من بينهم غالب خاله، وقد قبضت عليهم الشرطة، وجاءت بهم إلى المأمون، فقالوا له: أنت أمرتنا بقتله، فقال لهم: أنا أقتلكم بإقراركم، وأمّا ما ادعيتموه من أني أنا أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل، وأظهر عليه الحزن الكاذب ^(٢).

اغتيال الإمام:

وقام المأمون باغتيال إمام المسلمين، سبط الرسول صلّى الله عليه وآله الإمام الرضا عليه السلام، فندس له سمّاً قاتلاً في العنب، أو الرقمان، كما سنذكره، وبذلك فقد قضى المأمون على ألمع شخصية في العالم الإسلامي، كانت مصدر الوعي والفكر في دنيا الإسلام.

أقوال شاذة:

وحاول بعض المؤرّخين تنزيه المأمون من اقراره هذه الجريمة النكراء، وأنّه لم يقدم على اغتيال الإمام عليه السلام، وهذه بعض أقوالهم:

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٦٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٤٩، الكامل ٥ / ١٩١ حكيا ذلك قولاً، الآداب السلطانية والدول الإسلامية (ص ٢١٨) بحر الأنساب (ص ٢٨).

١ - موته حتف أنفه:

ذهب (ابن خلدون) إلى أنّ الإمام عليه السلام مات حتف أنفه فجأة على أثر عنب أكله ^(١)، وكذا ذهب غيره إلى هذا القول ^(٢).

٢ - اغتيال العباسيين للإمام:

قال ابن الجوزي: لما رأى العباسيون أنّ الخلافة قد خرجت من أيديهم إلى أولاد علي بن أبي طالب سمّوا علي بن موسى الرضا فتوّى في قرية من قرى (طوس) يقال لها (سناباد)... وقد زعم قوم أنّ المأمون سمّه، وليس كما ذكر، فإنّ المأمون حزن عليه حزناً لم يحزنه على أحد، وكتب إلى الآفاق يعزّونه ^(٣).

٣ - موته بالسم:

وذكر فريق من المؤرّخين أنّ الإمام عليه السلام تويّ مسموماً ^(٤) ولم يذكروا غير ذلك. هذه بعض الأقوال التي ذكرت وهي شاذة لا نصيب لها من الواقع، فإنّ من المقطوع به هو أنّ المأمون هو الذي اغتال الإمام لا الأسرة العباسية، ولا غيرها، ولم يمت الإمام حتف أنفه، ولقد قدم المأمون على اقتراف هذه الجريمة للتخلّص من الإمام الذي شاع ذكره في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد ظهرت للعيان دلائل إمامته، وهام المسلمون بحبه؛ وذلك لما يمتّع به من معالي الأخلاق، وسموا الآداب، والإقبال على الله، والزهد في الدنيا، وغير ذلك من صفاته العظيمة في حين أن المأمون وسائر ملوك بني العباس كانوا خالين من كل نزعة كريمة، وصفة رفيعة. وعلى أي حال فقد أجمع معظم المؤرّخين والرواة أنّ المأمون هو الذي دسّ السم إلى الإمام لا غيره، فقد اغتال بهذه الطريقة كوكبة من أعلام عصره خاف منهم ^(٥).

(١) تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٥٠.

(٢) وفيات الأعيان تأريخ الإسلام للذهبي ٨ / ورقة ٣٥.

(٣) تذكرة الخواص (ص ٣٦٤) المنتظم ١٠ / ورقة ٦٧.

(٤) البحار.

(٥) ذكرنا أسماء الذي اغتالهم المأمون في البحوث السابقة.

إلى جنة المأوى:

وامتحن الإمام امتحاناً عسيراً في تقلده لولاية العهد، فقد ضيق عليه المأمون غايد التضيق، ففرض عليه الرقابة الشديدة، وأحاطه بقوى مكثفة من الأمن، وقد سئم الإمام من الحياة، وراح يدعوا الله تعالى أن ينقله من دار الدنيا إلى دار الخلود قائلاً: (اللهم إن كان فرجي مما أنا فيه بالموت فعجل لي الساعة...).

واستجاب الله دعاء وليه العظيم فنقله من دار الدنيا المحفوفة بالمكاره والآلام إلى دار الحق، ونعرض إلى كيفية وفاته، فقد دعا الإمام عليه السلام في غلس الليل البهيم هرثة بن أعين، فلما مثل عنده قال له: (يا هرثة هذا آوان رحيلي إلى الله تعالى، ولحوقى بجدي وآبائي عليهم السلام، وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاعي - يعني المأمون - على سمي في عنب ورمّان مفروك، فأما العنب فإنه يغمس السلك في السم ويجذبه بالخيط بالعنب، وأما الرمان فإنه يطرح السم في كف بعض غلمانة، ويفرك الرمان بيده ليتلطّخ حبه في ذلك السم، وإنه سيدعوني في اليوم المقبل، ويقرب إلى الرمان والعنب، ويسألني أكلها، فأكلها ثم ينفذ الحكم، ويحضر القضاء.

فإذا أنا مت فسيقول: أنا أغسله بيدي، فإذا قال: ذلك، فقل له عني: بينك وبينه، أنه قال لي: لا تتعرض لغسلي، ولا لتكفيني ولا لدفني، فإنك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أضر عنك، وحل بك اليم ما تحذر فإنه سينتهي.

وأضاف الإمام قائلاً:

فإذا خلّى بينك وبين غسلتي حتى ترى، فيجلس في علو من أبنيته مشرفاً على موضع غسلتي لينظر، فلا تتعرض يا هرثة لشيء من غسلتي حتى ترى فسقاطاً أبيض قد ضرب في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاهلني في أثوابي التي أنا فيها، وضعني من وراء الفسقاط، وقف وراءه، ويكون من معك دونك ولا تكشف عني الفسقاط حتى تراني فتهلك.

وإنه - أي المأمون - سيشرف عليك، ويقول لك: يا هرثة أليس زعمتم أنّ

الإمام لا يغسّله إلاّ إمام مثله، فَمَنْ يغسّل أبا الحسن علي بن موسى، وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن ب (طوس)؟

فإذا قال ذلك: فقل له: إنّنا نقول: إنّ الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله، فإن تعدّى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده، بأن غلب على غسله أبيه، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرضا (ع) بالمدينة لغسّله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً، ولا يغسله الآن أيضاً إلاّ هو من حيث يخفى، فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني، فضعني على نعشي، واحملي، فإذا أراد أن يحفر قبري، فإنّه سيجعل قبر أبيه هارون الرشيد قبلة لقبري، ولا يكون ذلك أبداً، فإذا ضربت المعاول ينب عن الأرض^(١) ولم يحفر لهم منها شيء، ولا مثل قلامة ظفر، فإذا اجتهدوا في ذلك وصعب عليهم، فقل لهم عني: إني أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيه هارون الرشيد، فإذا ضربت تقدفه في الأرض إلى قبر محفور، وضريح قائم، فإذا انفرج القبر فلا تنزلي حتى يفور من ضريحه الماء الأبيض فيملئ منه ذلك القبر... فإذا غار الماء فأنزلي في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح^(٢).

وأمر الإمام عليه السلام هرثمة بحفظ ما قاله، فأجابه هرثمة إلى ما أراد، وفي اليوم الثاني بعث المأمون خلف الإمام، فلما حضر عنده قام إليه فعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه إلى جانبه، وأقبل عليه يحادثه، وأمر بعض غلمانته أن يأتيه بعنب ورمّان، قال هرثمة: فلم أستطع الصبر وأصابني رعدة. وناول المأمون الإمام العنقود من العنب، وقال له: (يا بن رسول الله ما رأيت عنبا أحسن من هذا؟...).

فرد عليه الإمام:

(ربّما كان عنبا حسناً منه في الجنة...).

وطلب من الإمام أن يتناول منه شيئاً فامتنع عليه السلام منه، فصاح المأمون:

(١) ينسب عن الأرض أي يمتنع ولا يؤثر فيها.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٤٧، وقريب منه في نور الأبصار (ص ١٤٥).

(لعلك تتهمنا بشيء؟...).

وتناول المأمون ثلاث حبّات، ثم رمى به، وقام، فقال له المأمون:

(إلى أين؟...).

فنظر إليه الإمام، وقال له بنبرات خافته:

(إلى حيث وجهتني...)^(١).

وسارع الإمام إلى الدار، وقد تفاعل السم في جميع أجزاء بدنه، وقد أيقن بنزول الرزء القاصم، وبعث

إليه المأمون يطلب منه وصيته ونصيحة له، فقال عليه السلام لرسوله:

(قل له: يوصيك أن لا تعطي أحداً ما تندم عليه...)^(٢).

وسرى السم في جميع أجزاء بدن الإمام، وأخذ يعاني من أقسى الآلام وقد علم أنّ لقاءه برّبّه لقريب

فأخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم، ويستغفر الله تعالى، ويدعو للمؤمنين، ويقول الرواة: إنّه لما ثقل حاله

امتنع أهل بيته وأصحابه من الأكل والشرب، فالتفت عليه السلام إلى ياسر وقال له:

(هل أكل الناس شيئاً؟...).

فردّ عليه بصوت خافت حزين النبرات قائلاً: (مَن يأكل مع ما أنت فيه).

فانتصب عليه السلام ثم قال: هاتوا المائدة، ولم يدع أحداً من حشمه إلّا أجلسه على المائدة، وجعل يتفقّد

واحدًا بعد واحد، ولمّا فرغوا من تناول الطعام، أمر بحمله إلى النساء، ولمّا فرغوا من الأكل أغمي عليه

^(٣).

وفي غلس الليل البهيم كان الإمام يتلو آيات من الذكر الحكيم، وكان آخر آية قرأها قوله تعالى:

(قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) ^(٤) (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا

مَقْدُورًا) ^(٥) ثم فاضت نفسه الزكية إلى بارئها ^(٦)

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٤٣.

(٢) عيون التواريخ ٣ / ٢٢٧.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٤١.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٥٤.

(٥) سورة الأحزاب: آية ٣٨.

(٦) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٤١.

تحققها ملائكة الرحمن، وتستقبلها في رياض الخلد أرواح الأنبياء والأوصياء، لقد أظلمت الدنيا بفقدته، وأشرقت الآخرة بقدمومه، وكانت وفاته رزواً على

العلماء والفقهاء ورجال الفكر الذين كانوا ينتهلون من نعيم علومه، كما كانت وفاته رزواً شعبياً عاماً، فقد فقدت الأوساط الشعبية من كان يسهر على مصالحهم، ويناضل عن قضاياهم.

لقد انتقل الإمام إلى حضيرة القدس بعد ما أدى رسالة ربّه، فلم يشترك بأي عمل إيجابي في جهاز دولة المأمون، ورفض أي تعاون معه، وقد سلب بذلك شرعية حكومة المأمون وأنها لم تكن قائمة على حكم الله تعالى، وقد عانى من أجل ذلك جميع ألوان الاضطهاد حتى قضى عليه المأمون.

رياء المأمون:

وأظهر المأمون الحزن، والجزع الكاذب، على وفاة الإمام فقد خرج حافياً، حاسراً، يضرب على رأسه، ويقبض على لحيته، ويكي، وقد رفع عقيرته ليسمعه الناس قائلاً:

(ما أدري أي المصيبتين أعظم عليّ، فقدي لك، وفراقي إيتاك، أو تهمّة الناس لي أيّ اغتلتك وقتلتك...) (١).

لقد أظهر المأمون الأسى على وفاة الإمام عليه السلام لتبرير ساحته ودفع التهمة عنه بأنّه هو الذي اغتاله، ولكن سرعان ما انكشف رباؤه، واتضح للمجتمع بأنّه هو المسؤول عن اغتياله.

إخفاء موت الإمام:

وأخفى المأمون موت الإمام عليه السلام يوماً وليلة (٢)، وفيما أحسب أنّه استعد لحالة الطوارئ، والخوف من الانتفاضة الشعبية عليه، فقد أوعز إلى رجال من أمنه، وقوّاته المسلحة بالاستعداد لكل حادث يحدث.

تشجيع جثمان الإمام:

وشجّع جثمان الإمام تشجيعاً حافلاً لم تشاهد مثله (خراسان) في جميع أدوار

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٤١.

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٥٦٧)، إرشاد المفيد (ص ٣١٦).

تأريخها، فقد أغلقت الدوائر الرسمية، والمحلات التجارية، وهرع الناس بجميع طبقاتهم إلى تشييع الجثمان المقدس، وهم ما بين باكٍ وواجم، ورفعت الأعلام السود، وسالت الدموع كل مسيل، وتعالى الصراخ من كل جانب على الفقيه العظيم الذي كان ملاذاً لهم، ويتقدم النعش المأمون وهو حاسر، وخلفه الوزراء وكبار رجال الدولة، وقادة الجيش، وهم يذكرون فضائل الإمام، وما مُنيت به الأمة من الخسارة العظمى بفقده.

في مقرّه الأخير:

وجيء بالجثمان المقدس تحت هالة من التكبير والتعظيم إلى مقرّه الأخير، فحفر له قبر بالقرب من قبر هارون قاتل أبي الإمام فواراه المأمون فيه، وقد وارى معه كل ما تسمو به الإنسانية من الصفات الرفيعة، والنزعات الكريمة.

وأقبلت الجماهير تعزيّ المأمون، وسائر العلويين والعباسيين على مصابهم الأليم، وقد نخر الأسى والحزن قلوب الجميع، فقد فقدوا إمام المسلمين، وسيّد المتقين والمنيبين، ومن الجدير بالذكر أنّ المأمون سئل عن السبب في دفن الإمام إلى جانب قبر أبيه؟ فأجاب: ليغفر الله لهارون بجواره للإمام الرضا عليه السلام، وقد فتّد ذلك الشاعر الملهم دعبل الخزاعي بقوله:

أربع بطوس على قبر الزكي بها إن كنت تربع من دين على وطير
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يدها فخذ ما شئت أو فذر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر

إقامة المأمون على قبر الإمام:

وأقام المأمون عند القبر الشريف ثلاثة أيام صائماً نهاره، قارئاً للقرآن الكريم، ويترحّم على الإمام عليه السلام؛ وذلك لتزنيهه من اقتراف هذه الجريمة، وإظهار إخلاصه وحبّه للإمام، إلا أنّ ثوب الرياء يشف عمّا تحته، فقد ظهر للجميع زيف ذلك، وأنّه لا واقع لحزنه المزعوم.

المأمون مع هرثمة:

ودعا المأمون هرثمة بن أعين، وطلب منه أن يحدثه بما سمع من الإمام وما قاله له في سمّه بالعنب والرمان، وجعل هرثمة يحدثه بذلك والمأمون يصفر وجهه مرة،

ويحمر أخرى وهو يقول بنبرات تقطر أسى وحسرات على ما اقترفه في حق الإمام قائلاً: (ويل للمؤمن من الله، وويل له من رسول الله ﷺ وويل له من علي بن أبي طالب، وويل للمؤمن من فاطمة الزهراء، وويل للمؤمن من الحسن والحسين، وويل للمؤمن من علي بن الحسين، وويل للمؤمن من محمد بن علي، وويل للمؤمن من جعفر بن محمد، وويل له من موسى بن جعفر، وويل للمؤمن من علي بن موسى الرضا... هذا والله الخسران المبين!

وأمر المؤمن هرثمة بكتمان قول الإمام معه، وعدم إذاعته، وتلا قول الله تعالى: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرَوْنَ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا) ^(١).

والويل للمؤمن على ما اقترفه من عظيم الذنب، فقد اغتال سيد المسلمين، وإمام المتقين وفلذة من كبد رسول الله ﷺ.

عمر الإمام:

أمّا عمر الإمام عليه السلام الحافل بالمكرّمات والفضائل فقد اختلف المؤرّحون في مدّته، وهذه بعض الأقوال:

- ١ - ٤٧ سنة ^(٢).
- ٢ - ٤٨ سنة ^(٣).
- ٣ - ٤٩ سنة ^(٤).
- ٤ - ٥٠ سنة ^(٥).
- ٥ - ٥١ سنة ^(٦).
- ٦ - ٥٥ سنة ^(٧).

(١) أعيان أخبار الرضا ٢ / ٢٤٩.

(٢) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٧٨.

(٣) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٧٨.

(٤) عيون التواريخ ٣ / ورقة ٢٢٦ كشف الغمة ٣ / ٥٦.

(٥) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٧٨.

(٦) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٧٨.

(٧) أصول الكافي ١ / ٤٨٦ كفاية الطالب (ص ٤٥٨)، نور الأبصار (ص ١٤٤)، بحر الأنساب (ص ٢٨).

٧ - ٥٧ - و ٤٩ يوماً أو ٧٩ يوماً^(١).

ومنشأ هذا الاختلاف هو الاختلاف في تأريخ ولادته عليه السلام ويرى السيد الأمين أنّ منشأ هذا التضارب هو التسامح بعد السنة الناقصة سنة كاملة^(٢).

رثاء الإمام:

كان نبأ وفاة الإمام كالصاعقة على رؤوس المسلمين، فقد تلقوا النبأ المؤلم بأسى، وحزن عميق، فقد فقدوا بموته ما كانوا يأملونه، ويحلمون به من رجوع الخلافة الإسلامية إلى معدنها الأصيل، ويتخلّصون من ذئاب البشرية، وأئمة الظلم والجور، ويقام في ربوعهم العدل السياسي والعدل الاجتماعي، لقد خابت الآمال بموت الإمام العظيم، وقد نخر الحزن القلوب، وسالت الدموع كل مسيل، وقد انبرت كوكبة من الشعراء فرثوا الإمام بذوب روحهم، وكان من بينهم ما يلي:

١ - أشجع بن عمرو السلمي:

ورثي أشجع بن عمرو السلمي الإمام بقصيدة عصماء حكّت حزنه العميق على فقد إمام المسلمين، وصورت مدى الخسارة الكبرى التي مُني بها العالم الإسلامي، وهذا نصّها:

يا صاحب العيس يحدي في أزقتها
اسمع وأسمع غداً يا صاحب العيس
إقر السلام على قبر بطوس ولا
تقر السلام، ولا النعمى على طوس
فقد أصاب قلوب المسلمين بما
روع وأفرخ فيها روع إبليس
وأخلصت واحد الدنيا وسيدّها
فأيّ مختلس متّا ومخلوس
ولو بدا الموت حتى يستدير به
لاقى وجوه رجال دونه شوس
بؤساً لبطوس فما كانت منازلّه
مّمّا تخوّفه الأيام بالبؤس
معرس حيث لا تعريس ملتبس
يا طول ذلك من نأي وتعريس
إنّ المنايا أنالته مخالبيها
ودونه عسكر جمّ الكراديس
أوفى عليه الردى في خيس أشبله
والموت يلقي أبا الأشبال في الخيس
ما زال مقتبساً من نور والده
إلى النبي ضياء غير مقبوس
في منبت نهضت فيه فروعهم
بباسقٍ في بطاح الملك مغروس

(١) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٧٨.

(٢) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٧٨.

والفرع لا يرتقي إلا على ثقةٍ
لا يوم أولى بتخريق الجيوب ولا
من يوم طوس الذي نادت بروعته
حقاً بأنّ الرضا أودى الزمان به
ذا اللحظتين وذا اليومين، مفترش
بمطلع الشمس وافته منيته
يانازلاً حدثاً في غير منزله
صلّى عليك الذي قد كنت تعبه
لولا مناقضة الدنيا محاسنها
أحلّك الله داراً غير زائلة
أرأيتم هذه الأحزان الموجعة التي حلت بالعالم الاسلامي على فقد واحد الدنيا وسيدها الامام
العظيم؟! العظيم!

لقد صور أشجع السلمى برائعته مدى الخسارة العظمى التي مني بها المسلمون، والتي هي جديرة بشق
الجيوب ولطم الحدود، فقد أودى الزمان بقائد الأمة، وسيدها وإمامها.
وقد ذاعت هذه القصيدة، وحفظها الناس فخاف أشجع فغير ألفاظها وجعلها في الرشيد^(١).

٢ - دعبل الخزاعي:

وبكى دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت الإمام الرضا عليه السلام أمر البكاء ورثاه بذوب روحه، وكان مما قاله
في رثائه له هذه القصيدة:

هو النفس إلا أنّ آل محمّدٍ
أضّرّ بهم إرث النبي فأصبحوا
دعتهم ذئاب من أمية وانتحت
وعاثت بنو العباس في الدين عيثة
وسمّوا رشيداً ليس فيهم لرشده
لهم دون نفسي في الفؤاد كمين
يساهم فيه ميتة ومنون
عليهم دراكماً أزمنة وسنون
تحكّم فيه ظالم وظنين
وهذا ذاك مأمون وذاك أمين

(١) مقاتل الطالبين (ص ٥٦٨ - ٥٧٠).

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٥٦٨).

ولا لولي بالإمامة دين
لهذا رزايًا دون ذاك مجنون
بطوس عليك الساريات هتون
فأبكيك أم ريب الردي فيهون
وإن قلت موت إته لقمين
معالم دين الله وهو مبين
لدي ولكن ما هناك يقين^(١)

ولو فقدت ماء الشؤون لقرت
رؤوس الجبال الشامحات وذلت
وأجمها ناحت عليه وكلت
فأخلفت الدنيا له وتولت
لمرئاة عزت علينا وجلت
ألا لا نباليها إذا ما اضمحلّت
مصيبتنا بالمصطفين تجلّت^(٢)

وعبرة ليس تنفد
بن جعفر بن محمد
مثل الحسام المجرّد
صرت لابن أحمد مشهد
ويافؤادي توقّد^(٣)

وسار بسيره العلم الشريف
كما يتتبع الألف الأليف

فما قبلت بالرشد منهم رعاية
رشيدهم غاو، وطفلاه بعده
ألا أيها القبر الغريب محلّه
شككت فما أدري أمسقى شربة
وأيهما ما قلت: إن قلت شربة
أتعجب للأجلاف أن يتخيّفوا
لقد سبقت فيهم بفضلك آية
وقال في رثاء الإمام:

ألا ما لعيني بالدموع استهلّت
على من بكته الأرض واسترجعت له
وقد أعولت تبكي السماء لفقده
رزينا رضي الله سبط نبينا
فنحن عليه اليوم أحدر بالبكا
وما خير دنيا بعد آل محمّد
تجلت مصيبت الزمان ولا أرى
ومّا قاله في رثاء الإمام:

يا حسرة تتردد
على علي بن موسى
قضى غريباً بطوس
يا طوس طوباك قد
ويافؤوني استهلّي
ومن رثائه للإمام هذه المقطوعة:

لقد رحل ابن موسى بالمعالي
وتابعه والدين طرّاً

(١) مقاتل الطالبين (ص ٥٧١).

(٢) ديوان دعبل (ص ٩٩).

(٣) ديوان دعبل (ص ١٠١).

فيا وفد الندى عودوا خفاف ال
وقد كنتا نؤمّل أن سيبقى
ترى سكناته فتقول: عز
له سمحاء تغدو كل يوم
فأهدى ريحه قدر المنايا
فقل للشامتين به رويداً
سررتم بافتقاد فتى بكاه
وقال في رثائه:

يا نكبة جاءت من الشرق
موت علي بن موسى الرضا
وأصبح الإسلام مستعبراً
سقى الغريب المبتنى قبره
أصبح عيني مانعاً للكبرى
لم تتركن مئتي ولم تبقي
من سخط الله على الخلق
لثلمة باينة الرتقي
بأرض طوس مسبل الودقي
وأولع الأحشاء بالخفي^(١)

وحكى هذا الرثاء لوعة دعبل، وحزنه العميق على وفاة إمام المسلمين وسيد المتقين الإمام الرضا عليه السلام الذي ترك فقهه ثلمة في الإسلام.

٣ - ابن المشيع المدني:

وممن أكتوى بنار الحزن على فقد الإمام عليه السلام ابن المشيع المدني قال في رثاء الإمام:
يا بقعة بها سيدي
مات الهدى من بعده والندى
لا زال غيث الله يا قبره
كان لنا غيثاً به نرتوي
إنّ عليّ بن موسى الرضا
ما مثله في الناس من سيّد
وشمر الموت به يقتدي^(٢)
عليك منه رائحاً مغتدي
وكان كالنجم به نهددي
قد حلّ والسودد في ملحدي

(١) ديوان دعبل (ص ١٠٨).

(٢) ديوان دعبل (ص ١٠٨ - ١٠٩).

(٣) قال المجلسي: في البحار: (وشمر الموت) لعلّ المعنى أنّ الموت شمر ذيلة وتحمياً لإماتة سائر الأخلاق الحسنة، أو الخلائق.

يا عين فابكي بدمٍ بعده على انقراض المجد والسودد (١)

٤ - الخوافي:

ومن الشعراء الذي رثوا الإمام علي بن أبي عبد الله الخوافي قال:

يا أرض طوس سقاك الله رحمته ماذا حويت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك في الدنيا وطيبها شخص ثوى بسناآباد مرموس (٢)
شخص عزيز على الإسلام مصرعه في رحمة الله مغمور ومغموس
يا قبره أنت قبر قد تضمّنه حلم وعلم وتطهير وتقديس
فخرراً فإنّك مغبوط بجثته وبالملائكة الأبرار محروس (٣)

٥ - الضبي:

ومن جيّد ما رثى به الإمام هذه القصيدة للشاعر الضبي قال الشيخ الصدوق وجدتها في كتاب محمد بن حبيب الضبي، وأكبر الظن أنّها له كما أعلن ذلك في آخر القصيدة:

قبر بطوس به أقام إمام حتم إليه زيارة ولمأم
قبر أقام به السلام وإن غدا تهدي إليه تحية وسلام
قبر سنا أنواره تجلو العمى وبتربه قد تدفع الأسقام
قبر يمثّل للعيون محمد ووصيه والمؤمنون قيام
خشع العيون لذا وذاك مهابة في كنهها تتحير الأفهام
قبر إذا حلّ الوفود بربعه رحلوا وحطت عنهم الآثام
وتزوّدوا أمن العقاب وأومنوا من أن يحل عليهم الإعدام
الله عنه به لهم متقبل وبذاك عنهم جفّت الأقسام
إن يغن عن سقي الغمام فإنّنه لولاه لم تسق البلاد غمام
قبر علي بن موسى حلّته بشراه يزهو الحل والإحرام
فرض إليه السعي كالبيت الذي من دونه حق له الإعظام

(١) عيون أخبار الرضا ٣ / ٢٥٠ .

(٢) المرموس: المدفون .

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٥١ .

من زاره في الله عارف حقّه
 ومقامه لا شكّ يجمد في غدٍ
 ولو بذاك الله أوفى ضامن
 صلّى الإله على النبي محمّدٍ
 وكذا على الزهراء صلّى سرمداً
 وعليه صلّى ثم بالحسن ابتدى
 وعلى عليّ ذي التقى ومحمّدٍ
 وعلى المهذب والمطهر جعفر
 الصادق المأثور عنه علم ما
 وكذا على موسى أيبك وبعده
 وعلى الرضا ابن الرضا الحسن الذي
 وعلى خليفته الذي لكم به
 فهو المؤمل أن يعود به الهدى
 لولا الأئمة واحد عن واحد
 كلّ يقوم مقام صاحبه إلى
 يا بن النبي وحجة الله التي
 ما من إمام غاب عنكم لم يبق
 إنّ الأئمة تستوي في فضلها
 أنتم إلى الله الوسيلة والأولى
 أنتم ولاة الدين والدنيا ومن
 ما الناس إلّا من أقرّ بفضلكم
 بل هم أضلّ عن السبيل بكفرهم
 يدعون في دنياكم وكأئهم
 يا نعمة الله التي يجبو بها
 إن غاب منك الجسم عنا إنّّه
 أرواحكم موجودة أعيانها
 الفرق بينك والنبي نبوة

فالس منه على الجحيم حرام
 وله بجنّات الخلود مقام
 قسماً إليه تنتهي الأقسام
 وعلى علي نصرة وسلام
 ربّ بواجب حقّها عالماً
 وعلى الحسين لوجهه الإكرام
 صلّى وكل سيد وهمام
 أركى الصلاة وإن أبي الأقسام
 فيكم به تتمسك الأقسام
 صلّى عليك وللصلاة دوام
 عمّ البلاد لفقده الأظلام
 تمّ النظام فكان فيه تام
 غضّاً وأن تستوثق الأحكام
 درس به واستسلم الإسلام
 أن تنتهي بالقائم الأيام
 هي للصلاة وللصيام قيام
 خلف له تشفى به الإرغام
 والعلم كهل منكم وغلام
 علموا الهدى فهم له أعلام
 لله فيه حرمة وذمّام
 والجاحدون بهمائم وسوام
 والمقتدى منهم بهم أزلام
 في جحدهم أنعامكم إنعام
 من يصطفي من خلقه المنعام
 للروح منك إقامة ونظام
 إن عن عيون غيّبت أجسام
 إذ بعد ذلك تستوي الأقدام

قبران في طوس الهدى في واحدٍ والغى في لحادٍ يراه ضرامٍ
قبران مقتزنان هذا ترعة^(١) جنوية فيها يزار إمام
وكذاك ذلك من جهنم حفرة فيها يجدد للغوي هيام
قرب الغوي من الزكي مضاعف لعذابه ولأنفسه الإرغام
إن يبدن منه فإتته لمباعد وعليه من خلع العذاب ركام
وكذاك ليس يضرك الرجس الذي يدينه منك جنادل ورخام
لا بل يريك عليك أعظم حسرة إذ أنت تكرم واللعين يسام
سوء العذاب مضاعف تجري به الساعات والأيام والأعوام
يا ليت شعري هل بقائمكم غداً يغدو ويكفي للقراع حسام
تطفى يداي به غليلاً فيكم بين الحشا لم ترو منه أوام
ولقد يهيجني قبوركم إذا هاجت سواي معالم وخيام
من كان يغرم بامتداح ذوي الغنى فمدحكم لي صبوة وغرام
وإلى أبي الحسن الرضا أهديتها مرضية تلتذها الأفهام
خذاها عن الضبي عبدكم الذي هانت عليه فيكم الألوام
إن اقض حق الله فيك فإن لي حق القرى للضيف إذ يعتام
فاجعله منك قبول قصدي إنته غنم عليه حداني استغنام
من كان بالتعليم أدرك حبكم فمحبتي إيّاكم إلهام^(٢)

لم اقرأ شعراً ألدّ ولا أطيب من هذا الشعر فقد حفل بروح الولاء والمودّة الخالصة لأهل البيت دعاة الله والأدلاء على مرضاته، مضافاً إلى ما فيه من جزالة الألفاظ وجمال الأسلوب، فليس في هذه القصيدة كلمة غريبة يمجّها السمع، وينفر منها الطبع، وإنما كانت جميع كلماتها متناسقة عذبة خفيفة على الطبع، كما حفلت بحشد من القيم العليا التي تؤمن بها الشيعة في محبتهم لأهل البيت. وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض ما قاله الشعراء في تأبين الإمام، وهو يكشف عن مدى الرزّة الشاملة، والرزء القاصم الذي مُني به المسلمون في فقدهم للإمام العظيم.

(١) الترعة: الروضة، وفي الحديث: إنّ منبري هذا على ترع من ترع الجنة.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٤.

فضل زيارة الإمام:

وأصبح مرقد الإمام الرضا عليه السلام في (خراسان) من أعز المراقد في الاسلام فقد حظي بهالة من الاكبار والتقديس بما لم يحظ به مرقد من مراقد أولياء الله تعالى، فقد تهافتت على زيارته ملايين المسلمين متقربين بذلك إلى الله تعالى، يقول محمد بن المؤمل: خرجنا مع امام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة، وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافدون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيم ابن خزيمة لتلك البقعة، وتواضعه لها، وتضرعه عندها ما حيرنا ^(١).

إن الله تعالى خصّ قبر وليه الإمام الرضا عليه السلام بفضيلة فقد جعله ملاذاً للمنكوبين، وملجأ لذوي الحاجات، وقد شاعت هذه المكرمة عند جميع الأوساط، وقد كتب على بعض جوانب القبر الشريف بيتين من الشعر.

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى قَبْرًا بِرُؤْيَيْهِ يَفْرَحُ اللَّهُ عَمَّنْ رَأَاهُ كَرِيهَ فُلَيْأَتِ ذَا الْقَبْرِ أَنَّ اللَّهَ أَسْكَنَهُ سُلَالَةَ مَنْ رَسُولَ اللَّهِ
منتجة ^(٢).

وقد تواترت الأخبار، بفضل زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وهذه بعضها:

١ - روى جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: حدثني سيد العابدين علي بن الحسين عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستدفن بضعة مني بأرض (خراسان) ما زارها مكروب إلاّ نفس الله كرتته، ولا مذنب إلاّ غفر الله ذنوبه ^(٣).

٢ - روى محمد بن عمارة عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٨٨.

(٢) الدر النظيم ورقة ٢١٤.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٥٨.

(ستدفن بضعة مَيِّ بأرض (خراسان) لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله عزّ وجل له الجنة، وحرم جسده على النار) ^(١).

٣ - روى الحسن بن علي الوشاء قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: إني سأقتل بالسم مظلوماً، فَمَنْ زارني عارفاً بحمّي غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ^(٢).

٤ - روى سليمان بن جفص المروزي قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: إنّ ابني عليّاً مقتول بالسم ظلماً، ومدفون إلى جنب هارون بطوس، مَنْ زاره كَمَن زار رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٣).

٥ - روى الصقر بن دلف ^(٤) قال: سمعت سيدي علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: مَنْ كانت له إلى الله حاجة فليزر قبر جدّي الرضا عليه السلام بطوس، وهو على غسل، وليصلّ عند رأسه ركعتين، وليسأل الله حاجته في قنوته، فإنّه يستجيب له ما لم يسأل في إثم، أو قطيعة رحم، وإنّ موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمن إلا أعتقه الله من النار وأحلّه إلى دار القرار ^(٥).

إلى غير ذلك من الأخبار التي أثرت عن أئمة الهدى عليهم السلام وهي تحت على زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام، وتذكر المزيد من الأجر لمن حظي بزيارته.

ولمرقد الإمام عليه السلام أهمية بالغة عند ملوك المسلمين، فقد قام الملك الشاه عباس بتذهيب القبة الشريفة التي هي على القبر، وقد بذل لها من خالص ماله، وقد استغرقت مدّة بنائها ست سنين، ولما تمّ بناؤها في سنة (١٠١٦ هـ) مضى شاه عباس ماشياً من (أصفهان) إلى (خراسان) لزيارة المرقد الطاهر ^(٦).

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٦١.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٦٠.

(٤) في رواية المصقر بن خلف.

(٥) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٦٢.

(٦) أعيان الشيعة ٤ / ق ٢ / ٢١٤.

وقد حظي المرقد المعظم بعناية بالغة من قِبَل الملوك الإيرانيين ووزرائهم، وسائر المحسنين من ذوي الشراء العريض فأوقفوا له العمارات، والأراضي الواسعة، وأرصدوا له بنوكاً خاصة تدر بملايين الأموال، وقد تولّى فريق من الجيش الإيراني حراسة المرقد والقيام بخدمته، كما أقيمت بالقرب من المرقد مكتبة نفيسة، تعد في طليعة مكتبات الشرق الأوسط، فقد حفلت بما يزيد على أربعين ألف مخطوط، أمّا الكتب المطبوعة فتعد بمئات الآلاف، وقد حوت جميع أنواع العلم القديمة والحديثة، وبالقرب من المرقد الشريف أقيم مضيف للإمام الرضا عليه السلام يتولّى إطعام الزائرين وينفق على جميع ذلك من المصارف والبنوك التي هي وقف للإمام الرضا عليه السلام.

وبهذا تنطوي الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب، وأكثّر ما أعلنته في مقدّمة الكتاب من أنّ فضائل الإمام عليه السلام، وما أثر عنه من روائع الحكم والآداب لم يلم بها هذا الكتاب، وإتّما احتوى على دراسة موجزة ويسيرة عنه، سائلاً من الله أن يتقبّل ذلك، إنّه تعالى وليّ التوفيق.

الفهرس

٨	تقديم
١٠	علل الأحكام وغيرها
١١	المسائل الكلامية:
١٦	علل الأحكام الشرعية:
١٧	غسل العيدين والجمعة:
١٨	غسل الميت:
١٩	غسل مسّ الميت:
١٩	الوضوء:
٢٠	أفعال الوضوء:
٢٢	الصلاة:
٢٣	أذان الصلاة:
٢٣	فصول الأذان:
٢٦	فصول الصلاة:
٣٢	صلاة الجمعة:
٣٥	صلاة المسافر:
٣٥	المسافة الموجبة للقصر:
٣٦	سقوط نوافل النهار:
٣٧	الصلاة على الميت:
٣٧	التكبيرات الخمس على الميت:
٣٨	تغسيل الأموات:
٣٨	تكفين الأموات:
٣٨	دفن الأموات:
٣٩	صلاة الكسوف:
٣٩	الحكمة في كيفية صلاة الآيات:
٣٩	عيد الفطر:
٤٠	صلاة العيد:

٤٠ الصوم:
٤١ شهر رمضان:
٤١ اقتصار الصوم على شهر رمضان:
٤٢ ترك الحائض للصوم والصلاة:
٤٢ قضاء الحائض للصوم:
٤٣ قضاء شهر رمضان:
٤٤ الصوم بدل تحرير الرقبة:
٤٤ صيام شهرين متتابعين:
٤٤ التتابع في صيام شهرين:
٤٤ الحج:
٤٤ وجوب الحج:
٤٥ الحج مرة واحدة:
٤٦ الإحرام:
٤٦ الطواف بالبيت:
٤٧ استلام الحجر:
٤٧ الحج في ذي الحجة:
٤٨ كلمة فيليب حتي في الحج:
٤٨ الزكاة:
٤٩ علل بعض المحرمات:
٥٠ عقوبة الزاني:
٥٠ الشهادة المثبتة للزنا:
٥٨ كراهة أكل لحوم البغال:
٥٨ زواج الرجل بأربعة نسوة:
٥٨ الطلاق ثلاثاً:
٥٩ المطلقة تسع تطليقات:
٥٩ ميراث المرأة:
٦٠ أحوال الأنبياء والأمم السالفة:

- ٦٠ غرق فرعون:.....
- ٦٢ أولو العزم:.....
- ٦٢ الحواريون:.....
- ٦٣ علل بعض الشؤون الإسلامية:.....
- ٦٣ القرآن غض:.....
- ٦٣ علي قسيم الجنة والنار:.....
- ٦٤ عدم إرجاع فدك:.....
- ٦٤ صحابة النبي (ص):.....
- ٦٥ انحراف الناس عن علي (ع):.....
- ٦٥ سكوت الإمام عن أخذ حقه:.....
- ٦٨ جوامع الكلم.....
- ٦٨ فضل العقل:.....
- ٦٩ التفكير في أمر الله:.....
- ٧٠ محاسبة النفس:.....
- ٧٠ الحلم:.....
- ٧٠ الصمت:.....
- ٧٠ التواضع:.....
- ٧١ الخصال الكريمة في المؤمن:.....
- ٧١ أحسن الناس وأسوأ الناس:.....
- ٧٢ العجب المفسد للعمل:.....
- ٧٢ الذنوب:.....
- ٧٣ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:.....
- ٧٣ مَنْ أَحَبَّ عَاصِيًا:.....
- ٧٣ خيار الناس:.....
- ٧٣ شرف العمل:.....
- ٧٤ تمامية العقل:.....
- ٧٤ حقيقة التوكّل على الله:.....

٧٥	أركان الإيمان:
٧٥	خصال كريمة:
٧٥	شكر النعم:
٧٥	وصاياه ونصائحه:
٧٨	صلة الأرحام:
٧٩	من حكم بعض الأنبياء:
٧٩	مناجاة موسى:
٧٩	في صحف إبراهيم:
٧٩	عيسى مع الحواريين:
٨٠	وعظ وإرشاد:
٨٢	كلماته القصار:
٨٦	أصحابه ورواة حديثه
٨٧	إبراهيم بن العباس:
٨٧	وفادته على الإمام:
٨٩	حرقه لديوان شعره:
٨٩	نموذج من كتابته:
٨٩	وفاته:
١٢٤	هجاؤه:
١٢٤	هجاؤه للرشيد:
١٢٥	هجاؤه للمعتصم:
١٢٦	هجاؤه للوائق:
١٢٧	إلى جنة المأوى:
١٧٦	كراهة المسلمين للحكم العباسي:
١٧٨	الفتن والثورات الشعبية:
١٧٨	مفجر الثورة:
١٧٩	انضمام أبي السرايا إلى الثورة:
١٨٠	التقاء أبي السرايا بمحمد:

١٨٠.....	إعلان الثورة:
١٨١.....	وفاة الزعيم محمد:
١٨٥.....	التنكيل بالعلويين:
١٨٧.....	رسالة الخوارزمي:
١٩١.....	مع الواقفية:
١٩٢.....	شجب الامام للواقفية:
١٩٣.....	الإمام مع الحسين بن مهران:
١٩٧.....	مشكلة خلق القرآن:
١٩٨.....	الكذب على الأئمة:
٢٠١.....	في عهد الرشيد والأمين والمأمون
٢٠١.....	هارون الرشيد:
٢٠٢.....	التحلل:
٢٠٤.....	مع الإمام الرضا:
٢٠٥.....	وشاية عيسى بن جعفر بالإمام:
٢٠٥.....	وشاية يحيى بالإمام:
٢٠٥.....	دعاء الإمام على البرامكة:
٢٠٦.....	كبس دار الإمام:
٢٠٧.....	رسالة سفیان لهارون:
٢٠٩.....	حكومة الأمين:
٢١٠.....	احتجابه عن الرعية:
٢١١.....	خلعه للمأمون:
٢١٢.....	الرشيد هو المسؤول عن هذه الأحداث:
٢١٢.....	الحروب الطاحنة:
٢١٣.....	محاصرة بغداد:
٢١٥.....	قتل الأمين:
٢١٧.....	حكومة المأمون:
٢١٨.....	صفات المأمون:

- رد فذك للعلويين: ٢٢٧.....
- إشادته بالإمام أمير المؤمنين: ٢٢٧.....
- انتقاصه لمعاوية: ٢٣٠.....
- استدلّاه على إمامة الإمام علي: ٢٣٠.....
- المأمون: ٢٣٠.....
- علماء الحديث: ٢٣١.....
- مناقشة المأمون: ٢٣٣.....
- جواب المأمون: ٢٣٥.....
- مع علماء الكلام: ٢٤٥.....
- أسئلة المأمون للعلماء: ٢٤٩.....
- عقده بولاية العهد للإمام: ٢٥٢.....
- زيف تشييعه: ٢٥٣.....
- أسباب تظاهرة بالتشييع: ٢٥٧.....
- منهج حكمه: ٢٥٨.....
- الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد: ٢٥٩.....
- دوافع المأمون: ٢٦٠.....
- رسالة الفضل إلى الإمام: ٢٦٢.....
- موقف الإمام: ٢٦٣.....
- رسل المأمون إلى الإمام: ٢٦٣.....
- الإمام يودّع قبر النبي: ٢٦٤.....
- الإمام يأمر أهله بالبكاء عليه: ٢٦٤.....
- إقامة ولده الجواد مقامه: ٢٦٥.....
- إلى بيت الله الحرام: ٢٦٥.....
- إلى خراسان: ٢٦٥.....
- في نيسابور: ٢٦٦.....
- الحديث الذهبي: ٢٦٦.....
- إلى طوس: ٢٦٨.....

٢٦٩.....	استقبال المأمون للإمام:
٢٦٩.....	عرض الخلافة على الإمام:
٢٧٠.....	المبززات المزعومة للمأمون:
٢٧١.....	زيف مبزراته:
٢٧١.....	عرض ولاية العهد على الإمام:
٢٧٢.....	إرغام الإمام:
٢٧٣.....	شروط الإمام:
٢٧٣.....	نص وثيقة ولاية العهد:
٢٧٨.....	محتويات وثيقة ولاية العهد:
٢٧٩.....	محتويات ما كتبه الإمام:
٢٨٠.....	محتوى كتابة الفضل:
٢٨١.....	البيعة للإمام:
٢٨١.....	كيفية البيعة:
٢٨١.....	الإمام يخبر بعدم تمامية هذا الأمر:
٢٨٢.....	خطبة المأمون:
٢٨٢.....	خطبة الإمام الرضا:
٢٨٢.....	خطبة العباس:
٢٨٣.....	الممتنعون من البيعة للإمام:
٢٨٣.....	تنفيذ حكم الإعدام فيهم:
٢٨٤.....	قرارات هامة:
٢٨٦.....	زواج الإمام بابنة المأمون:
٢٨٦.....	البيعة للإمام في جميع الأقطار:
٢٨٩.....	ناقدون للإمام:
٢٩١.....	الناقمون على المأمون:
٢٩١.....	خلع المأمون:
٢٩١.....	البيعة لإبراهيم بن شكلة:
٢٩٢.....	رسالة المأمون للعباسيين:

شؤون الإمام في (خراسان).....	٣٠٣
وفادة الشعراء على الإمام:.....	٣٠٣
جائزة الإمام لدعبل:.....	٣٠٤
جائزة إبراهيم من الإمام:.....	٣٠٥
القصيدة الخالدة لدعبل:.....	٣٠٥
إنفاق جميع ما عنده:.....	٣١٥
خطبة الإمام في التوحيد:.....	٣١٥
الخطبة التي كتبها الإمام للمؤمن:.....	٣١٩
المؤمن يطلب من الإمام محاسن الشعر:.....	٣٢٠
رسالة الإمام إلى ولده الجواد:.....	٣٢١
كتاب الحياء والشرط:.....	٣٢٢
توقيع المؤمن:.....	٣٢٧
توقيع الإمام الرضا:.....	٣٢٧
مع أخيه زيد:.....	٣٢٨
مع أخته فاطمة:.....	٣٢٩
صلاة العيد:.....	٣٣٠
استسقاء الإمام:.....	٣٣١
دعاء الإمام:.....	٣٣٢
خطاب الإمام:.....	٣٣٣
عتاب وتحذير:.....	٣٣٤
خشية المؤمن من الإمام:.....	٣٣٥
عدم محابة الإمام للمؤمن:.....	٣٣٧
الإمام يرفض تعيين الولاية:.....	٣٣٩
الإمام يخبر بعدم دخوله بغداد:.....	٣٤٠
الإمام والفضل بن سهل:.....	٣٤٠
عرض كاذب لاغتيال المؤمن:.....	٣٤١
وشاية بالإمام:.....	٣٤٢
معارضته للإمام:.....	٣٤٢

٣٤٥.....	نهاية المطاف
٣٤٦.....	نصيحة الإمام للمؤمن:
٣٤٧.....	عزم المؤمن على الرجوع إلى بغداد:
٣٤٧.....	حمام سرخس:
٣٤٨.....	مصراع الفضل:
٣٤٨.....	اغتيال الإمام:
٣٤٨.....	أقوال شاذة:
٣٥٠.....	إلى جنة المأوى:
٣٥٣.....	رياء المؤمن:
٣٥٣.....	إخفاء موت الإمام:
٣٥٣.....	تشجيع جثمان الإمام:
٣٥٤.....	في مقره الأخير:
٣٥٤.....	إقامة المؤمن على قبر الإمام:
٣٥٤.....	المؤمن مع هرثمة:
٣٥٥.....	عمر الإمام:
٣٥٦.....	رثاء الإمام:
٣٦٣.....	فضل زيارة الإمام: